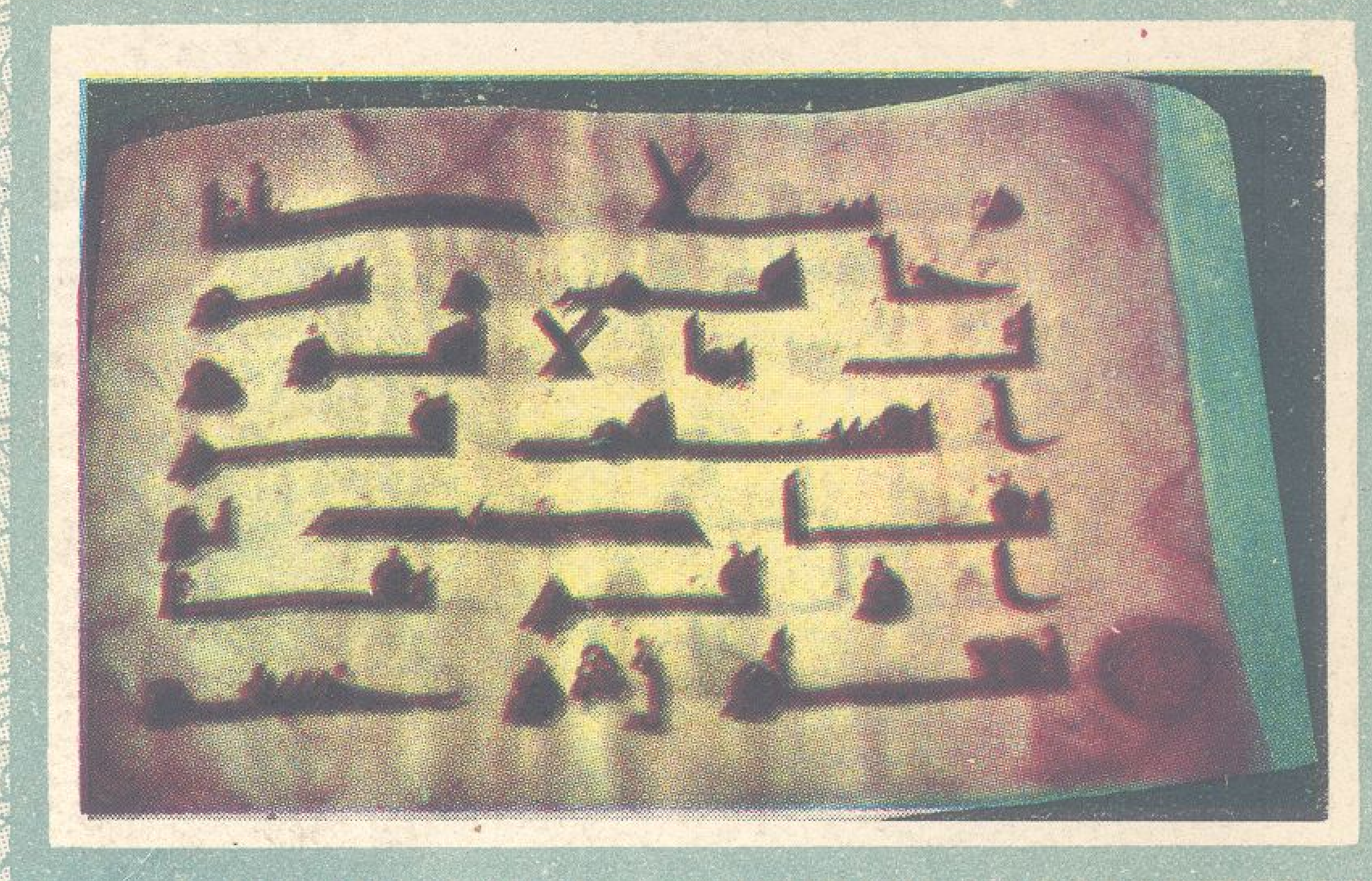
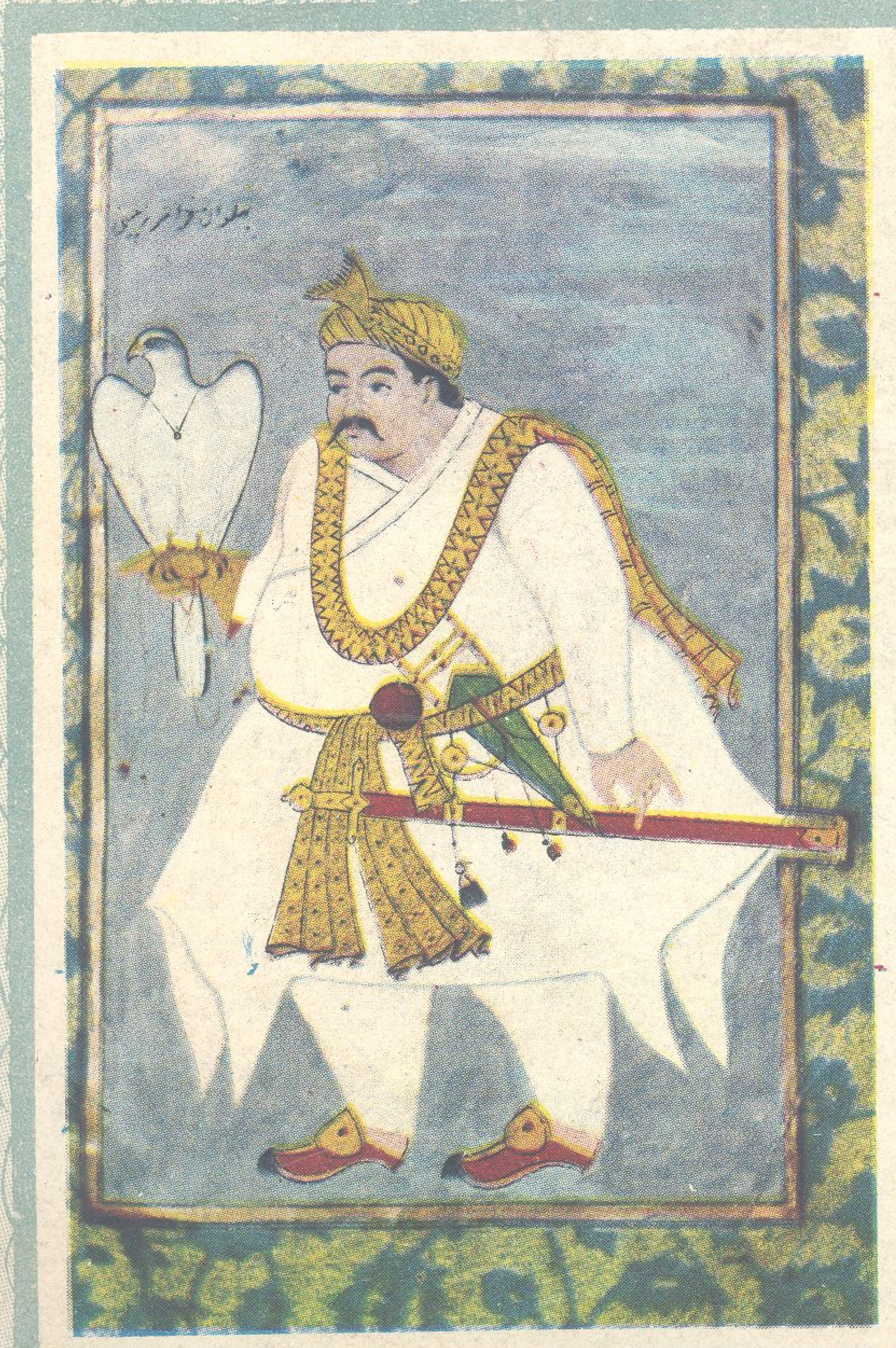


تصوير وتجميل الكتب العربية في الإسلام

ونوابغ المصورين والرسامين من العرب في العصور الإسلامية



محمد عبد الجواد الأصمعي



دار المعارف بمصر

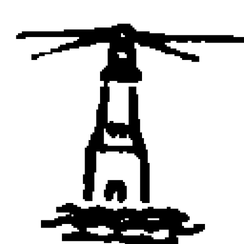
تصوير وتجميل الكتب العربية في الإسلام

ونوابغ المصورين والرسامين من العرب في العصور الإسلامية

تأليف

محمد عبد الجواد الأصمعي

الموظف بدار الكتب والوثائق القومية سابقاً



دار المعارف بمصر

الناشر : دار المعارف بمصر – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج. ع. م.

بسم الله الرحمن الرحيم

دار الإفتاء

(فتــوى)

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبيّ بعده .

اطلعنا على الطلب المقدم من السيد : محمد عبد الجواد الأصمعى الموظف بدار الكتب سابقاً والمقيم بالمنزل رقم ١ بميدان السيدة عائشة بقسم الخليفة المقيد برقم ٨٥١ سنة ١٩٦٣ المتضمن أنه توجد مخطوطات مصوّرة فى العصور الإسلامية . كالكتب الطبية ففيها تصوير الحشائش فى كتاب (الأدوية المفردة) وتصوير بعض الحيوانات فى كتاب (بيطر نامة) ورسوم العقاقير النباتية والأعشاب الدوائية فى كتاب (الإقربازين والمفردات الطبية) ورسم يبين طبقات العين وتشريحها فى كتاب (العين) وكذا الخرائط والمصوّرات الجغرافية فى كتاب (صور الأقاليم السبعة) وهو أول مصوّر جغرافى فى الإسلام . وصور الأرض وأشكالها وطبيعتها واستدارتها وأطوالها فى كتاب (نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق) للشريف الإدريسى . وكتاب (المسالك والممالك) لابن حوقل فهو يشتمل على عدة صور . وأمثالها من المراجع الإسلامية وكلها تمثل ذخيرة علمية وحضارة إسلامية تسامى أعظم الحضارات والثقافات العلمية . ويعتبر نشرها من أعظم الواجبات لنشر حضارة الإسلام وثقافته والتعريف بما كان له من فضل على الإنسان . ويريد الطالب نشر نماذج من هذه الكتب فى مؤلفه عنها المسمى (تصوير وتجميل الكتب العربية فى الإسلام) .

وطلب السائل الإفادة عن حكم الشريعة الإسلامية فى نقل ونشر هذه النماذج الموضحة بالرسوم والصور كما هى فى أصولها المخطوطة .

الجواب

ورد فى التصوير أحاديث كثيرة منها ما رواه البخارى عن أبى ذرعة قال : دخلت مع أبى هريرة داراً بالمدينة فرأى فى أعلاها مصوراً يصور فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى فليخلقوا حبة وليخلقوا ذرة) قال فى فتح البارى شرح صحيح البخارى قال ابن بطال فهم أبو هريرة أن التصوير يتناول ما له ظل وما ليس له ظل فلهذا أنكر ما ينقش فى الحيطان قلت هو ظاهر من عموم اللفظ ويحتمل أن يقصر على ما له ظل من جهة قوله كخلقى فإن خلقه الذى اخترعه ليس صورة فى حائط بل هو خلق تام .

ومنها ما رواه البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر وقد سترتُ بقرام لى على سهوة لى فيها تماثيل فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم هتكه وقال : أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله. قالت . فجعلناه وسادة أو وسادتين . قال فى فتح البارى : واستدل بهذا الحديث على جواز اتخاذ الصور إذا كانت لا ظل لها وهى مع ذلك مما يوطأ ويداس أو يمتهن بالاستعمال كالمخاد والوسائد .

ومنها ما رواه البخارى عن زيد بن خالد عن أبى طلحة قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة إلا رقماً فى ثوب . قال فى فتح البارى قال ابن العربى : حاصل ما فى اتخاذ الصور أنها إن كانت ذات أجسام حرم بالإجماع . وإن كانت رقماً فأربعة أقوال . الأول يجوز مطلقاً على ظاهر قوله فى حديث الباب إلا رقماً فى ثوب . الثانى المنع مطلقاً حتى الرقم . الثالث إن كانت الصورة باقية الهيئة قائمة الشكل حرم وإن قطعت الرأس أو تفرقت الأجزاء جاز ، قال وهذا هو الأصح . الرابع إن كان مما يمتهن جاز وإن كان معلقاً لم يجز .

وقال صاحب الهداية : ولا يكره تمثال غير ذى روح لأنه لا يعبد وعلله صاحب العناية بما روى عن ابن عباس أنه نهى مصوراً عن التصوير فقال : كيف أصنع وهو كسبى ؟ قال : إن لم يكن بدّ فعليك بتمثال الأشجار .

٥

والذى نختاره أنه لا بأس باتخاذ الصورة التى لا ظل لها ، وكذلك الصورة إذا كانت رقماً فى ثوب ويلحق بها الصور التى ترسم على حائط أو نحوه أو على الورق قياساً على رسم وتصوير ما لا روح له كالنبات والأشجار ومناظر الطبيعة .

وبناء على ذلك يكون الرسم والتصوير الشمسى المعروف الآن للإنسان والحيوان وأجزائهما إذا كان لأغراض علمية مفيدة تنفع المجتمع وتعود عليه بالفائدة مع خلوّها من مظاهر التعظيم ومظنة التكريم والعبادة حكمه حكم تصوير النبات والأشجار ومناظر الطبيعة وغيرها مما لا حياة فيه وهو الجواز شرعاً . . .

ومما ذكر يعلم الجواب عن السؤال والله تعالى أعلم . . .

مفتى الديار المصرية
أحمد هريدى

وتعزيزاً لهذه الفتوى ، ننشر ما ورد فى عدد جريدة الأهرام الصادر بتاريخ ٢٢ محرم سنة ١٣٨٨ (٢١ أبريل ١٩٦٨) تحت عنوان « الأزهر والفن » مشفوعاً بالصور .

« هل الفن حلال أم حرام ؟

سؤال أثاره موضوع دخل مكتب شيخ الأزهر عندما عرض عليه افتتاح معرض لرسوم رسمها طلاب وفتيات الأزهر . . وكان على شيخ الأزهر قبل أن يفتتح المعرض أن تكون هناك إجابة صريحة للسؤال : هل الرسم حلال أم رجس من عمل الشيطان ؟

وحتى تكون هناك صورة واضحة فى الرد على السؤال ، فإن الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر رأس مؤتمراً شرعيًّا فى وكالة الغورى حضره أربعون عميداً من عمداء المعاهد الأزهرية فى أنحاء الجمهورية يمثلون المذاهب الإسلامية الأربعة : الحنفى والمالكى والشافعى والحنبلى . .

وكانت جميع الآراء متلاقية على وجوب تنمية المواهب الفنية فى الأزهر وأنها تمثل أدق المشاعر وأرق الأحاسيس العاطفية والروحية . .

وبعد هذا الاجتماع اتجه شيخ الأزهر إلى حيث معرض رسوم الطلبة والفتيات معلناً افتتاحه . . .

ولقد قدم الطلبة فى رسومهم نماذج تمثل مقام السيد البدوى ورقصة التحطيب الصعيدى . . والزحام فى محطة الأتوبيس . . واستقبال الرئيس فى قنا ومقام سيدى عبد الرحيم القناوى . . والزرافة مصنوعة من عيدان الخيزران . . ومجموعات من الصور الضوئية . .

كما برز (ركن معهد الفتيات الأزهرى بالمعادى) فى المعرض بما قدمه من نماذج لتحف نادرة من صنع الطالبات . وقد شمل لوحات تمثل الرقص البلدى . . و « شيخ على المعاش » .

وباخرة الحجاج . . ونماذج من عقود الخرز . . وحقائب السيدات و (اللدمى) ولعب الأطفال . . والفلاحة المصرية .

وبهذا المعرض تنتهى ثورة الأزهر ضد النحت . . والتصوير والفنون التشكيلية . . ولكن بشرط واحد . . هو احترام الدين . . والأدب والتقاليد القومية . .

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمده سبحانه وتعالى على واسع كرمه ، وجزيل نعمه ، وأصلى وأسلم على سيدنا محمد رسول الحق ونبىّ الصدق .

وبعد ، فإن من أطرف الموضوعات وأندر الأبحاث هذا الذى يقدمه اليوم الأستاذ محمد عبد الجواد الأصمعى عن تصوير وتجميل الكتب العربية فى الإسلام . وقد تناول فيه نوابغ المصورين والرسامين من العرب ، وتكلم عن تاريخ التصوير فى الإسلام والأطوار التى تقلب فيها ، وأفرد أبواباً للتصوير فى المساجد والقصور ، ثم تكلم عن الصّور الطبية ، وعن المصوَّرات الجغرافية ، وعن كتب الرحلات والأقاليم ، وعن الرسوم الهندسية والصور التاريخية والعلمية ، وعن زخرفة المصاحف ، ثم تكلم عن المداد وعن صناعته وتكوينه وألوانه . وكلها أبواب شائقة لم يتكلم عنها الكثيرون ، ولم يتناولها قبله الباحثون ، ولا غرو ، فقد سبق أن أتحفنا الأستاذ الأصمعى بمؤلفه الطلىّ عن « أبى الفرج الأصبهانى وكتابه الأغانى » فأبدع فى تنسيقه وأجاد فى تنميقه ، وأضاف إلى الأدب العربى كتاباً قيماً له شأنه .

أما هذا الكتاب « تاريخ التصوير » فهو سهل الألفاظ ، واضح العبارة ، حافل بالطرف والأخبار ، عامر بالصور والآثار ، جامع لشتات ما ورد فى الكتب النادرة عن هذا الموضوع ، مع عرض جميل لأبدع الصور والأشكال ، التى تفنن فيها مصورو الإسلام فى شتى عهوده ، وسجلوا فيها الكثير من مظاهر حياتهم وأذواق معاشهم .

هذا إلى نماذج علمية ، فمن صور للنباتات بالألوان إلى تصوير قطع الساعات واللعب ، ووضع أسماء قطعها إلى صور على الخزف والخشب والنسيج والجدران والكتب والأقداح ، إلى إبداع فى تصوير السحن وتبيين المعانى فى النظرات ، إلى تصوير فلكى لأوجه القمر ، إلى صور بديعة للمصاحف الشهيرة التى حلاها كبار الرسامين .

ولئن فاتنا رؤية تلك الصور والآثار ، بعد أن طمست معالمها على كرّ السنين ، فقد بقي لنا في هذا الكتاب الجليل تصوير كتابيّ لما فاتنا رؤيته .

أسأل الله القدير ، أن يجزى واضع الكتاب خير الجزاء على طيب عمله ، وأن ينفع القراء بدقيق بحثه ، وحسن اختياره ، والله يجزى المحسنين . . .

١٥ نوفمبر سنة ١٩٦٢

أحمد رامى

القسم الأول

تصوير وتجميل الكتب العربية فى الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

مقدمة

فى تاريخ التصوير وتطوراته فى الإسلام

التصوير فى الإسلام

إن الكلام فى هذا الموضوع من أهمّ البحوث وأخطرها دقة وعناية ، إذ لا يخفى على من عانى أمثال هذه المباحث الدقيقة اعتياص هذا الموضوع والتواءه على محاوله ، لتشتته بين ثنايا تضاعيف المراجع بعد ذهاب ما كتب عنه وجمع فيه — وهذا دأبنا فى كتابة الموضوعات التى نعانى البحث فيها — فلا غرو أن يعدّ صغيره كبيراً ، ويسيره كثيراً ، وأن يستهان بما يظفر به عنده ، فإنه إن لم ينقع غلة ويصرح عن المحض ، فلا أقلّ من أن يتخذ أساساً يبنى عليه .

* * *

ولقد نبغ من العرب فى التصوير والرسم والنقش فى العصور الإسلامية عدد عظيم : فمن المصوِّرين على الخزف ، ومن المصوِّرين على الخشب ، ومن المصوِّرين على النسيج ، ومن المصوِّرين على النحاس والحديد ، ومن المصوِّرين على الجدران ، ومن المصوِّرين فى الكتب والتفنُّن فى تحليتها ، يتناقلون ذلك خلفاً عن سلف .

وفى دار الكتب والوثائق القومية ، ومتحف الفنّ الإسلامىّ آثار خالدة ، وآيات باهرة لهؤلاء جميعاً ، تنطق بما عملته أيديهم الساحرة ، وأنتجته عقولهم الجبّارة من روائع مدهشة ، ولوحات بديعة ، تبهر الناظرين ، وتدهش الفنانين .

* * *

ولما كان موضوع هذا الكتاب هو تصوير الكتب العربية ، والتفنن فى تجميلها خصوصاً الدينية ، فيجب أن نتكلم عليه بقدر ما يسمح لنا البحث ، مجتهدين أن نوفّيه حقه من الاستدلال والتحقيق بالبراهين الملموسة .

ونبدأ الآن بكلمة عن صناعة التصوير وانتشارها فى الإسلام .

* * *

قليل من الناس من يعلم وجود صناعة التصوير فى الأقطار الإسلامية ، وانتشارها فى عصور الإسلام ، ولو أنهم ليسوا على العلم التامّ فى ذلك ، والسواد الأعظم من المسلمين يحفظون فى أذهانهم أن صناعة التصوير من الذنوب العظيمة التى يحرّمها الدين ،ويمنع الناس من الاشتغال بها ، مراعاة لما جاء عنها من الأحاديث النبوية فى صحيح البخارى وغيره من كتب الحديث ، فيتجنبون صناعتها إطاعة لذلك . ولكن بعض العلماء رأوا أن تلك الأحاديث إنما جاءت فى أوّل نشأة الإسلام ، وقالها النبىّ صلى الله عليه وسلم تحذيراً من اتخاذ الصور للعبادة ، كما كانت حال العرب قبل بعثته ، لأن ذلك مخالف للدين بسبب شغله عن عبادة الله تعالى ، فكان نهيه عن اتخاذ الصور لهذه الوجهة ، على أنهم لم يروا فى القرآن الكريم آية تدلّ على حرمة التصوير ، إلا أنهم استنكروا صناعة التماثيل لقربها من هيئة الأصنام والأوثان .

وقد صنعت الصور المرقومة فى بداية القرن الأوّل الهجرىّ ، ثم انتشرت الصناعة فى البلاد فاستعدت العقول لملاقاتها ، ورحبت الصدور بها فرأى التصوير فى الإسلام أزهى عصوره وأزهرها ، وتفنن أرباب صناعته فيه ، فأبلغوه شأواً عظيماً من الجمال والبهجة ، وأصعدوه أسمى مراتب الرقىّ ، واستنبطوا فيه فنوناً جديدة حفظها لهم التاريخ ، فضلاً عن أن الكثير من المؤرخين اتفقوا على أن صناعة التصوير فى الإسلام كانت أساساً لترقية الفنّ الإيطالى المعروف .

* * *

كانت الفنون الجميلة عند العرب تعرف بـ « الآداب السامية الرفيعة » : وهى الشعر والموسيقى والتصوير والغناء . وكان النابغ فى أحد هذه الفنون يذيع صيته فى البلاد فى طولها وعرضها ، ويصبح أشهر من نار فوقها علم .

ولعبيد الله بن عبد الله بن طاهر المتوفى سنة ١٠٢ هـ (٧٢٠ م) كتاب فى النغم وعلل الأغانى سمّاه : « الآداب الرفيعة » . قال صاحب الأغانى : « إنه كتاب

مشهور جليل الفائدة دالٌ على فضل مؤلفه » [١] .

ولم تكن الفنون الجميلة عندهم مقتصرة على عشاقها ، محصورة فى أربابها ؛ بل كان يشاركهم فى التمتع بجمالها العامة ؛ وتحضر أنديتهم الناس من مختلف الطبقات ، يتنوّرون بمعلوماتهم ، وينهلون من موارد أفكارهم وخيالاتهم ؛ وكان يعضدهم الخلفاء والملوك والوزراء والأمراء .

* * *

قد انتشر التصوير فى البلاد العربية من ابتداء القرن الأول الهجرى — ولو أن العقول انصرفت عنه فترة من الزمان بعد تحذير النبىّ صلى الله عليه وسلم المسلمين من اتخاذ الصور كما بيّنّا — وابتدءوا يصنعون صور الأشخاص والمناظر ، وأشكال البلدان والحيوان على صفحات الكتب ، وفوق جدران البيوت والقصور ، فضلاً عن استعمالهم التصوير فى نقش النقود : (الذهبية والفضية والبرنزية) ، ورقم الستور ، وتزويق الأوانى ، وزركشة الأثاث .

فقد ذكر المسعودىّ[٢] : « أنه كان فى دار الخلافة العباسية فى أيام المنتصر المتوفى سنة ٢٤٨ هـ (٨٦٢ م) بساط عليه صور ملوك فى جملتهم يزيد بن الوليد ابن عبد الملك وشيرويه بن أبرويز » .

وورد أيضاً فى كتابه « مروج الذهب»[٣] أن رحالة قرشيًّا أخرج درجاً فيه « صور الأنبياء عليهم السلام وصورة النبىّ صلى الله عليه وسلم » .

كما ورد مثل هذا فى كتاب « نهاية الأرب فى فنون الأدب »[٤] للنويرى فذكر «صورة النبىّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه » .

وناهيك ببساط أمّ المستعين وما عليه من الصُّور المرصَّعة . غير ما كانوا يستخدمونه من الآنية المصوّرة كالأقداح عليها الصور الملوّنة تمثل الوقائع أو

(١) ج ٩ ص ٤١ طبع دار الكتب والوثائق التومية .

(٢) راجع كتابه « مروج الذهب » ج ٢ ص ٣١٢ طبع بولاق .

(٣) ج ١ ص ٦٨ طبعة بولاق .

(٤) راجع (ج ١٤ قسم أول ص ٤٩) من النسخة المأخوذة بالتصوير الشمسى المحفوظة بدار الكتب والوثائق القومية برقم (٥٤٩ معارف عامة) (وص ١٥١ من الجزء السادس عشر من هذا الكتاب طبع دار الكتب والوثائق القومية سنة ١٣٧٤ هـ — ١٩٥٥ م)

العادات ؛ فكان العرب فى العصور الإسلامية يقتنون الأثاث والرياش عليها صور الآدميين إذا صوَّرها سواهم .

وكان المعزّ لدين الله أمر بعمل مقطع من الحرير الأزرق التسترى القرقوبى سنة ٣٥٣ هـ (٩٦٤ م) وهو غريب الصنعة ، منسوج بالذهب وسائر ألوان الحرير ، وفيه صور أقاليم الأرض وجبالها وبحارها ومدنها وأنهارها ومسالكها شبه الخريطة . وفيه صورة مكة والمدينة مبينة للناظر ، وعلى كل مدينة وجبل وبلد ونهر وبحر وطريق اسمه بالذهب أو الفضة والحرير وكتب فى آخره :

« مما أمر بعمله المعزّ لدين الله شوقاً إلى حرم الله وإشهاراً لمعالم رسول الله فى سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة والنفقة عليه اثنان وعشرون ألف دينار »(١) .

ولم يخل عصر من العصور الإسلامية من المصوِّرين العرب الذين أبدعوا التصوير على الذهب الإبريز أو الفضة ، أو رسامين ونقاشين تفننوا فى النقش على الحجر ، أو النقش بالأصباغ الملوّنة على الجدران وعلى الخشب يتناقلون ذلك خلفاً عن سلف .

وهذا يدلّ على نبوغ العرب الفائق فى الفنون الجميلة ، وأنهم عباقرة فى التصوير والرسم والنقش لا يجاريهم فى العصور الإسلاميّة التى عاشوا فيها منافس .

ومما يبهر الطرف لرؤيته ، ويعجز اللسان عن نعته ، ما حكاه ابن الأثير فى تاريخه عندما وصلت رسل ملك الروم إلى بغداد فى سنة ٣٠٥ هـ (٩١٧ م) فى خلافة المقتدر قال :

« وزينت دار الخلافة بأنواع الأسلحة ، وغرائب الزينة ، وغشيت جدرانها بالستور ، وفرشت أرضها بالبسط ، وكانت عدة البسط اثنين وعشرين ألف بساط ، وعدة الستور المعلقة ثمانية وثلاثين ألف ستر ، منها اثنا عشر ألف ستر من الديباج المذهب .

وكان من جملة الزينة شجرة من الذهب والفضة ، بأغصانها وأوراقها ، وطيور الذهب والفضة على أغصانها ، وأغصانها تمايل بحركات موضوعة ، والطيور تصفر بحركات مرتبة »(٢) اهـ .

---

(١) الخطط للمقريزى (ج ١ ص ٤١٧ طبع بولاق) .
(٢) صبح الأعشى للقلقشندى (ج ٣ ص ٢٧٢) .

أليس منظر هذه الشجرة العجيب ، بهذا الشكل الجميل ، وذلك الوصف الرائع البديع ، لممَّا يبهر العقول حقًّا ، ويدهش الأنظار ، ويملأ القلوب هيبة وروعة .

وكان جعفر بن يحيى البرمكى قد أمر أن تضرب دنانير فى كل دينار ثلثمائة مثقال ، ويصوّر عليها صورة ؛ فضربت فبلغ أبا العتاهية فأخذ طبقاً فوضع عليه بعض الألطاف فوجّه به إلى جعفر وكتب إليه رقعة فى آخرها :

وأصفر من ضرب دار الملـــو ك يلوح على وجهه جعفر
ثلاث مئين يـــكن وزنـــه متى يلقـــه معسر يوسر

فأمر بقبض ما على الطبق وصير عليه ديناراً من تلك الدنانير وردّه إليه[١] .

ومن روائع الفنون الجميلة فى العصور الإسلامية ما أنتجته يد المصور العربىّ العبقرى الماهر وهى : « صورة عنقاء فضة مذهبة مملوءة بالطيب »[٢] .

وورد فى كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة : « أن عبد الله بن زياد صوّر فى دهليزه كلباً وأسداً وكبشاً وقال : كلبٌ نابح وكبشٌ ناطح وأسدٌ كالح »[٣] .

وفى أخبار الفاطميين ذكر كثير من الأبسطة والستائر المطرّزة بينها ستور من الحرير منسوجة بالذهب ، فيها صور الدول وملوكها والمشاهير فيها ، وعلى صورة كل واحد اسمه ومدّة أيامه وشرح حاله ، فإن قيل : إنها ستائر مجلوبة من الخارج لم يأمر الفاطميون برسمها أو أنها لم ترسم فى خلافتهم ؛ ففى أخبارهم أن الآمر بأحكام الله لما بنى المنظرة على بركة الحبش[٤] جعل فيها دكة من خشب مدهونة فيها طاقات تشرف على خضرة البركة ، صوّر فيها كل شاعر وبلده ، واستدعى من كل واحد منهم قطعة من الشعر فى المدح كتبها عند رأس ذلك الشاعر ، وبجانب صورة كل شاعر رفّ لطيف مذهب . فلما دخل الآمر وقرأ الأشعار أمر أن يحطّ على كل رفّ صرّة مختومة فيها خمسون ديناراً وأن يدخل كل شاعر ويأخذ صرّته .

* * *

(١) تاريخ بغداد للخطيب (ج ٧ ص ١٥٦ طبع مصر) .
(٢) معجم الأدباء لياقوت (ج ٥ ص ٢٥٩ طبعة هندية) .
(٣) ج ١ ص ٤٧ طبع دار الكتب والوثائق القومية .
(٤) راجع عيون الأخبار (ج ١ ص ١٤٧ طبع دار الكتب والوثائق القومية) .

وفى ميدان كتب التاريخ متسع للباحثين المدققين لاستخراج أمثال هذه البراهين القاطعة التى تثبت اشتغال العرب فى العصور الإسلامية بالنقش والتصوير والنحت وأنهم عملوا الأصباغ الزاهية ومزجوها فى صورهم بزلال البيض أو الصمغ أو الزيت .

وكانوا يتقنون نسب تركيبها وتكوينها والتلوين بها حتى أدهشت كل من رآها إعجاباً.

وقد قال المستشرق (كليمان هوار) :

« لا يعرف المرء بماذا يعجب : من صناعة مزج الذهب بالألوان بدقة الرسم ولطفه ، أو بالذوق السليم الذى أوجد ألوفاً من التراكيب المزينة الهندسية » .

وهذا أكبر برهان وأقوى دليل من أجنبىّ يدلّ على أن العرب بلغوا فى عمل النقوش والتصوير شأواً بعيداً حتى إن مصوّرهم يصوّر الإنسان ولا يغادر شيئاً إلا الروح ، ثم لا يرضى بذلك حتى يصوّره ضاحكاً ، ثم لا يرضى بذلك حتى يفصل بين ضحك الشامت وضحك الخجل ، وبين المبتسم والمستغرب ، وبين ضحك السرور وضحك الهازئ ، فيركب صورة فى صورة ، وصورة فى صورة ! .

ولا عجب فالمباراة التى كانت بين مصوّرين عربيين من زعماء مصورى الشرق فى أيام الدولة الفاطمية أمام سيد الوزراء الحسن بن على بن عبد الرحمن البازورىّ[1] وكان أحبّ ما إليه كتاب مصوّر ، أو النظر إلى صورة أو تزويق ، وكان يشترى الصور من تصوير المصوّرين الشرقيين بأثمان فاحشة ! وهما : ابن عزيز والقصير . وقد ساق المقريزى فى خططه[2] نبأ هذه المباراة التى تؤيد فخر العرب وتفوّقهم ،

(١) هو سيد الوزراء ، تاج الأصفياء ، قاضى القضاة ، وداعى الدعاة ، علم المجد ، خالصة أمير المؤمنين ، أبو محمد الحسن بن على بن عبد الرحمن البازورى . نسبة إلى بازور : قرية من عمل الرملة . ولى وزارة المستنصر بالله الفاطمى فى القرن الخامس الهجرى .

(٢) ج ٢ ص ٣١٨ طبع بولاق وهذا نص تلك المباراة :

« أحضر البازورى سيد الوزراء الحسن بن على بن عبد الرحمن بمجلسه : القصير وابن عزيز ، وهما من فحول مصورى الشرق ، وحرّض بينهما ، وأغرى بعضهما على بعض ، فقال ابن عزيز : أنا أصور صورة إذا رآها الناظر ظن أنها خارجة من الحائط ! . فقال قصير : ولكن أنا أصورها ، فإذا نظرها الناظر ظن أنها داخلة فى الحائط ! . فقال الحاضرون : هذا أعجب .

فأمرهما البازورى أن يصنعا ما وعدا به . فصورا صورة راقصتين فى صورة حنيتين مدهونتين متقابلتين ، هذه ترى كأنها داخلة فى الحائط . وتلك ترى كأنها خارجة من الحائط . =

وذكر استحسان البازروى لصورتيهما ، وخلع عليهما ووهبهما كثيراً من الذهب .

وللمقريزى كتاب ورد ذكره عرضاً فى خططه سمّاه : « ضوء النبراس وأنس الجلاّس فى أخبار المزوّقين من الناس» سجل فيه أخبار مصوّرى العرب فى العصور الإسلامية وشرح فيه من أمرهم عجباً ، ولكنّه مع الأسف الشديد ضاع ضمن ما ضاع من كنوز الذخائر الإسلامية ، وتراث مفاخر العرب التى سجلت أعمالهم فى هذا السبيل .

* * *

ولنبحث الآن فى تاريخ التصوير وتطوّراته فى الإسلام، ونتكلم عليه بالتفصيل . وقبل البدء فى هذا الموضوع نتكلم على التصوير من الوجهة الدينية ، معتمدين فى هذا على كتب السنّة ، وفتاوى علمائنا المسلمين الأجلاء القدامى والمعاصرين ، أمثال فقيدى الشرق والإسلام المرحومين الشيخ محمد عبده[1] مفتى الديار المصرية فى عصره ، والسيد محمد رشيد رضا منشئ ومحرر مجلة المنار ، وكانت أكبر مجلة إسلامية فى الشرق .

* * *

جاء الإسلام للقضاء على الوثنية وعبادة الأصنام ، فحاذر المسلمون إذ أجازوا الرسم المجسَّم أن يكون فى عملهم مدرجة للعرب إلى الرجوع إلى عبادة الأصنام ، فجعلوا فى التجويز بعض القيود الخفيفة ، ولما ذهبت تلك الخشية أخذت مسألة التصوير تنحلّ شيئاً فشيئاً ويعمد إلى ما فيه مصلحة منه .

فمن الأدلة على اشتغال العرب بالتصوير فى صدر الإسلام ما رواه البخارىّ ومسلم عن رجل جاء إلى ابن عباس — رضى الله عنهما — فقال : « إنى رجل أصور هذه الصور فافتنى[2] . . . إلخ » .

= فصور القصير راقصة بثياب بيض فى صورة حنية دهنها أسود كأنها داخلة فى صورة الحنية .

وصورة ابن عزيز راقصة فى ثياب حمر فى صورة حنية صفراء كأنها بارزة من الحنية . فاستحسن البازورى ذلك وخلع عليهما ووهبهما كثيراً من الذهب» اهـ .

(١) انتقل إلى رحمة الله فى سنة ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) .

(٢) روى فى باب «بيع التصاوير التى ليس فيها روح وما يكره من ذلك » من كتاب البيوع عن سعيد بن أبى الحسن أنه قال : «كنت عند ابن عباس — رضى الله عنهما — إذ أتاه رجل فقال : " يا أبا=

وقد ورد أن زيد بن خالد الصحابىّ — رضى الله عنه — استعمل الستر الذى فيه صُور ولم ينكر الناس عمله .

ومن الآثار التى وردت فى حكم التصوير وصنع الصور والتماثيل اتخاذ أحد أعاظم أئمة التابعين القاسم بن محمد بن أبى بكر — رضى الله عنه — الحجلة التى فيها تصاوير القندس والفسيفساء ، وهو ربيب عمَّته عائشة الصِّدِّيقة ، وأعلم الناس بحديثها وفقهها . ومنها استعمال يسار بن نمير مولى عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — وخازنه الصور فى داره . ومنها صنع الصور فى دار مروان بن الحكم وسعيد ابن العاص ، وكل منهما وَلِىَ إمارة المدينة وكانا من التابعين . وعمل مروان يدلّ على أن التصوير كان مستعملاً فى عصر الصحابة — رضوان الله عليهم — .

فمن عرض مسألة التصوير واتخاذ الصور على هذه القواعد الشرعية علم منها أن دين الفطرة الذى قرن كتابه الكريم ، ووصف بالحكمة ، ورفع منه الحرج والعسر عن الأمة لم يكن ليحرّم صناعة نافعة فى كثير من العلوم والأعمال ، ويحتاج إليها فى حفظ الأمن وفنون القتال ، وإنما يحرّم ما فيه مفسدة ، أو ما كان ذريعة إلى مفسدة .

ومما يناسب ذكره فى هذا المقام قصة المرأة التى قادت الجاحظ — وكان قبيح الصورة — إلى الصائغ لتريه الشيطان فيصوِّره لها .

وقد وجد الأثرى موسيل التشكى فى قصر غزة ، وهو على بعد سبعين كيلومتراً من قصر المشتى فى البلقاء ، كتابات ونقوشاً تشير إلى فتح الأندلس فى أيام الوليد ، وفيه من النقوش الزاهية ، والتصاوير العجيبة ما يأخذ بالأبصار . قال صاحبنا شيخو :

« وفى هذه القصور من الآثار الهندسية ، ومن التصاوير ، ومن تمثيل أحوال البادية كالصيد والغزوات والمآدب والمصانع ما أذهل العلماء لوجوده فى البرارى .

=عباس ، إنى إنسان إنما معيشتى من صنعة يدى ، وإنى أصنع هذه التصاوير " ؛ فقال ابن عباس : " لا أحدثك إلا ماسمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من صور صورة فإن الله معذبه حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فيها أبداً . فربا الرجل ربوة شديدة ، واصفر وجهه ، فقال : ويحك ! إن أبيت إلا أن تصنع فعليك بهذا الشجر ؛ كل شىء ليس فيه روح " » . (راجع صحيح البخارى ج ٢ ص ١٩ طبع بولاق) .

ويقول ريسون : إن العرب قد نهجوا فى الفنون الجميلة نهج البيزنطيين ، ولم يخالفوهم إلا بعدم تجسيم الحيوان ، ولكنهم استعاضوا عنه بالنقش النباتى من تشبُّك أوراق وأقواس باهرة ، وقصقصة زاهرة ، وآكام ومعاهد ساحرة .

وفى التاريخ العام : أن الإسلام حظَّر تمثيل الصور الآدمية ، ولكن هذا الحظر يمنع الخلفاء من أن يكون فى قصورهم صور وتماثيل ، ومع هذا لم يخلف العرب فى النقش ولا فى الرسم آثاراً خارقة للعادة ، ومابقى من آثارهم وعادياتهم الحجرية ، وأنواطهم المنقوشة ، وعاجهم ومجوهراتهم يشهد باستعدادهم الفنىّ ، فإنهم نقلوا عن غيرهم فى هذا الشأن أوّلاً ، ثم أخذوا يمرِّنون أنفسهم على حُسْن الهندسة بالنقل عما عثروا عليه بادئ بدء ولا سيما عن الآثار البيزنطية ، فكانوا يخشون أوّل أمرهم ، ثم أخذوا يجرؤون فيعدِّلون ما يريدون احتذاءه ، بل يخترعون ويبدعون ، فظهر لهم علم جديد مستقلّ على غير مثال .

قال : ولا نعلم هل كان للعرب قبل الإسلام طرز من البناء الخاصّ بهم لأنه لم يبق من الزمن السابق للإسلام سوى خرائب مبعثرة ، ومن الهجرة إلى القرن العاشر كان عهد الطرز اليونانى العربىّ ، وعلى مثاله جاء بناء المسجد الأقصى فى القدس ، والجامع الأموىّ فى دمشق ، والجامع الأعظم فى قرطبة ، والتأثيرات اليونانية ظاهرة فيها [١] » اهـ .

* * *

فكيف ينكر الكثيرون بعد ما ذكرناه من الأدلّة القاطعة اشتغال العرب بالتصوير ويرون أن ما كان عندهم منه ليس من صنع أيديهم ؛ وهو لعمرى رأى قائل لم يصدر عن رويّة ، وقول جزاف ألقوا به على عواهنه ؛ وهب أن بعض ذلك كان من عمل غيرهم كما هو الواقع ، فوجود مثله شىء عامّ مألوف فى الأمم ، لا يقتصر على صناعة دون صناعة ، ولا تنفرد به أمة عن أمة ، فالحكم به عليهم خاصّة حكم معتبط وشطط لا يسوِّغه مسوِّغ .

ليت شعرى لمَ لمْ يصوِّر العرب ؟ أتحرّجاً دينيًّا كان إحجامهم عنه ، وقد

(١) خطط الشام للمرحوم الأستاذ محمد كرد على (ج ٤ ص ١١٧) .

٢٠

رأيناه على ثيابهم وأثاثهم وجدرانهم وفى دورهم وأقنيتهم ؟ أم عجزاً خصُّوا به فيه دون صنوانه من الصناعات : كالنحت والحفر والنجر والنقش وغيرها ، وقد بلغوا فيها الشأو والمعجز ، وخلدوا بأيديهم صفحات الفخر المجيدة التى لا يمحوها كرّ الدهور ، ومرّ العصور .

فتاوى علمائنا المسلمين الأجلاء القدامى والمعاصرين عن التصوير من الوجهة الدينية

١ — فتوى الإمام المرحوم الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية فى عصره عن الصور والتماثيل وفوائدها وحكمها .

كتب المرحوم الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية فى وصف رحلته إلى صقلية عام ١٣٢٢ هـ (١٨٩٤ م) فى مجلة المنار ، وقد ذكر تنافس الغربيين فى حفظ الصور المرسومة على الورق والنسيج فقال :

« إذا كنت تدرى السبب فى حفظ سلفك للشعر وضبطه فى دواوينه ، والمبالغة فى تحريره — خصوصاً شعر الجاهلية — وما عنى الأوائل — رحمهم الله — بجمعه وترتيبه ، أمكنك أن تعرف السبب فى محافظة القوم على هذه المصنوعات من الرسوم والتماثيل ، فإن الرسم ضرب من الشعر الذى يرى ولا يسمع ، والشعر ضرب من الرسم الذى يسمع ولا يرى .

إن هذه الرسوم حفظت من أحوال الأشخاص فى الشئون المختلفة ، ومن أحوال الجماعات فى المواقع المتنوِّعة ما تستحقّ أن تسمى : " ديوان الهيئات والأحوال البشرية " . يصوِّرون الإنسان أو الحيوان فى حال الفرح والرضا والطمأنينة والتسليم وهذه المعانى المدرجة فى هذه الألفاظ متقاربة ، ولا يسهل عليك تمييز بعضها من بعض ، ولكنك تنظر فى رسوم مختلفة فتجد الفرق ظاهراً باهراً ، يصوِّرونه مثلاً فى حال الجزع والخوف والخشية ، والجزع والخوف مختلفان فى المعنى ، ولم أجمعهما ههنا طبعاً فى جمع عينين فى سطر واحد ، بل لأنهما مختلفان حقيقة . ولكنك ربما يقتصر ذهنك لتحديد الفرق بينهما وبين الخوف والخشية ، ولا يسهل عليك أن تعرف متى يكون الفزع ؟ ومتى يكون الجزع ؟ وما الهيئة التى يكون عليها الشخص فى هذه الحال أو تلك ؟ أما إذا نظرت إلى الرسم — وهو ذلك الشعر الساكت — فإنك تجد الحقيقة بادرة لك ، تستمتع بها نفسك كما يتلذّذ بالنظر فى حسِّك . . .

ربما تعرض لك مسألة عند قراءة هذا الكلام . وهى : ما حكم هذه الصور فى

الشريعة الإسلامية إذا كان القصد منها ما ذكر من تصوير هيئات البشر فى انفعالاتهم النفسية ، أو أوضاعهم الجثمانية : هل هذا حرام أو جائز أو مكروه أو مندوب أو واجب ؟ فأقول لك :

إن الراسم قد رسم والفائدة محققة لا نزاع فيها ، ومعنى العبادة وتعظيم الصور أو التمثال قد مُحِيَ من الأذهان، فإما أن تفهم الحكم من نفسك بعد ظهور الواقعة، وإما أن ترفع سؤالاً إلى " المفتى " وهو يجيبك مشافهة ، فإذا أردت حديث " إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصوّرون "(١) أو لمّا فى معناه مما ورد فى الصحيح ، فالذى يغلب على ظنى أنه سيقول لك : إن الحديث جاء فى أيام الوثنية ، وكانت الصّور تتخذ فى ذلك العهد لسببين : الأوّل اللهو . والثانى التبرك بمثال من ترسم صورته من الصالحين . والأوّل مما يبغضه الدين . والثانى مما جاء الإسلام لمحوه . والمصوِّر فى الحالين شاغل عن الله ، أو ممهد للإشراك به ، فإذا زال هذان العارضان وقصدت الفائدة ، كان تصوير الأشخاص بمنزلة تصوير النبات والشجر فى المصنوعات . وقد صنع ذلك فى حواشى المصاحف وأوائل السور ، ولم يمنعه أحد من العلماء مع أن الفائدة فى نقش المصاحف موضع النزاع . أما فائدة الصور فما لا نزاع فيه على الوجه الذى ذكر . وأما إذا أردت أن ترتكب بعض السيئات فى محل فيه صور طمعاً فى أن الملكين الكاتبين ، أو كاتب السيئات على الأقل لا يدخل محلاً فيه صور ، كما ورد فى حديث : " إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب ولا صورة " فإياك أن تظن أن ذلك ينجيك من إحصاء ما تفعل ، فإن الله رقيب عليك وناظر إليك حتى فى البيت الذى فيه صور ، ولا أظن الملك يتأخر عن مرافقتك إذا تعمدت دخول البيت لأن فيه صوراً ، ولا يمكنك أن تجيب " المفتى " بأن الصورة على كل حال مظنة العبادة ، فإنى أظن أنه يقول لك : إن لسانك أيضاً مظنة الكذب ، فهل يجب ربطه مع أنه يجوز ربطه ومع أنه يجوز أن يصدق كما يجوز أن يكذب .

---

(١) أورد البخارى فى باب التصاوير — بمعنى التماثيل والصور — من كتاب اللباس فى صحيحه عن مسلم أنه قال : كنا مع مسروق فى دار يسار بن نمير فرأى فى صفّته تماثيل ، فقال : سمعت عبد الله قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « إن أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة المصورون » . المصورون هنا بمعنى صانعى التماثيل ، وصانعى الصور (راجع صحيح البخارى ج ٤ ص ٢٩ طبع بولاق) .

وبالجملة إنه يغلب على ظنى أن الشريعة الإسلامية أبعد من أن تحرّم وسيلة من أفضل وسائل العلم ، بعد تحقيق أنه لا خطر فيها على الدين لا من جهة العقيدة ولا من جهة العمل، على أن المسلمين لا يتساءلون عن زيارة قبور الأولياء أو ما سمّاهم بعضهم بالأولياء ، وهم ممن لا نعرف لهم سيرة ، ولا يطلع لهم أحد على سريرة ، ولا يستفتون فيما يفعلون عندها من ضروب التوسل والضراعة ، وما يعرضون عليها من الأموال والمتاع ، وهم يخشون منها كخشية الله أو أشدّ ، ويطلبون منها ما يخشون أن لا يجيبهم الله فيه ، ويظنون أنهم أسرع إلى إجابتهم من عنايته سبحانه وتعالى ، ولا شكّ أنهم لا يمكنهم الجمع بين هذه العقائد وعقيدة التوحيد ، ولكن يمكنهم الجمع بين عقيدة التوحيد ورسم صور الإنسان والحيوان لتحقيق المعانى العلمية وتمثيل الصور الذهنية .

هل سمعت أننا حفظنا شيئاً حتى غير الصور والرسوم مع شدّة حاجتنا إلى حفظ كثير مما كان عند أسلافنا . لو حفظنا الدراهم والدنانير التى كان يقدّر بها النصاب الزكاة ولا يزال يقدر إلى اليوم ، أفما كان يسهل علينا تقدير النصاب بالجنيهات والفرنكات ونحو ذلك ما دام المثال الأوّل موجوداً بين أيدينا ؟ ولو حفظ الصاع والمدّ وغيرهما من المكاييل ، أفما كان ذلك مما ييسر لنا معرفة ما يصرف فى زكاة الفطر وما تجب فيه الزكاة من غلاّت الزرع بعد تغيير المكاييل ؟ وما كان علينا إلا أن نقيس مكيالنا بتلك المكاييل المحفوظة فنصل إلى حقيقة الأمر بدون خلاف . أظنك توافقنى على أنه لو حفظ درهم كل زمان وديناره ومدّه وصاعه لما وجد ذلك الخلاف الذى استمر بين الفقهاء يتوارثونه خلفاً عن سلف ، كل منهم يقدّر المكيال والميزان بما لا يقدّر به الآخر . . .

لو نظرت إلى ما كان يوجب الدين علينا أن نحافظ عليه لوجدته كثيراً لا يحصى عدّه ولم نحفظ شيئاً منه ، فلنتركه كما تركه من قبلنا ، ولكن ما تقول فى الكتب وودائع العلم ، هل حفظناها كما ينبغى أن نحفظها ، أو أضعناها كما لا ينبغى أن نضيعها ؟

ضاعت كتب العلم وفارقت ديارنا نفائسه ، فإذا أردت أن تبحث عن كتاب نادر ، أو مؤلف فاخر ، أو مصنّف جليل ، أو أثر مفيد فاذهب إلى خزائن أوربا

تجد فيها ذلك . أما بلادنا فقلما تجد فيها إلا ما تركه الأوربيون ولم يحفلوا به من نفائس الكتب التاريخيّة والأدبية والعلمية . وقد تجد بعض النسخة من كتاب فى دار الكتب المصرية مثلاً وبعضها الآخر فى دار الكتب بمدينة كمبردج فى البلاد الإنجليزية ، ولو أردت أن أسرد لك ما حفظ . أو ضيّعنا من دفاتر العلم لكتبت لك فى ذلك كتاباً يضيع كما ضاع غيره وتجده بعد مدّة فى يد أوربى فى فرنسا أو غيرها من بلاد أوربا .

نحن لا نعنى بحفظ شىء نستبقى نفعه لمن يأتى بعدنا . ولو خطر ببال أحد منّا أن يترك لمن بعده شيئاً جاء ذلك الذى بعده أشدّ الناس كفراً بتلك النعمة ، وأخذ فى إضاعة ما عنى السابق بحفظه له .

فليست ملكة الحفظ مما يتوارث عندنا . وإنما الذى يتوارث هو ملكات الضغائن والأحقاد تنتقل من الآباء إلى الأولاد حتى تفسد العباد وتخرب البلاد ، ويلتقى بها أربابها على شفير جهنم يوم المعاد » ا هـ .

* * *

٢ ـ فتوى الأستاذ المرحوم السيد محمد رشيد رضا [١] :

« إنى أرى أن علة ما ورد من الأحاديث أمر دينىّ محض يتعلق بصيانة العقيدة فى لوازم الشرك وشعائره ، إذ لم يكن يعهد فى صدر الإسلام وقبله اتخاذ العرب للصور والتماثيل إلا للعبادة . كالذى كان من ذلك على الكعبة الشريفة ، فأزاله النبىّ صلى الله عليه وسلم يوم الفتح . فعلى هذا يحرّم ما كان فيه التعظيم الدينىّ ، وما كان شعار دينيًّا للكفار إذا قصد به التشبه بهم . أو كان بحيث يظنّ أنه منهم ، أو يذكر بعبادتهم وشعائرهم . فمقصد الإسلام إزالة الشرك وشعائره والتشبه بأهله فيما كان عبادة دون موافقتهم فيما حسن من عادة . ولذلك كان النبىّ صلى الله عليه وسلم يلبس مثل ما كان يلبس قومه . ويدلّ على أمْر النبىّ عائشة [٢] بهتك

---

(١) هذه الفتوى مقتطفة من فتوى نشرت فى مجلة المنار جواباً لمستفت فى أمر الصور وحلها وحرمتها فى عددها الصادر فى ٣٠ ذى الحجة سنة ١٣٣٠ هـ .

(٢) أورد البخارى فى باب « ما وطىء من التصاوير » من كتاب اللباس أن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : « قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سترت سهوة ـ السهوة : هى الرف أو الطاق ـ لى =

الستار الذى كان فيه الصور ، لأن المشركين كانوا يعلقون الصور وينصبونها بتلك الهيئة ، فلما جعلت منه وسادة استعملها النبيّ ولم يبال بالصور التى فيها لأنها غير ممنوعة لذاتها ، ولا لأنها محاكاة لخلق الله تعالى .

ومن يقول : إن علة تحريم التصوير واتخاذ الصور هو محاكاة خلق الله تعالى يلزمه تحريم تصوير الشجر " والجبال والأنهار والأراضي والشمس والقمر والنجوم والآلات والأدوات والدوائر والخطوط . . . إلخ" ولم يحرّموه وكلها من خلق الله ، وما استدلّ به على ذلك لا يدلّ عليه ، بل معناه أن الله تعالى يظهر للمصوّرين عجزهم يوم القيامة تمهيداً لعقابهم على مساعدة الناس بتصاويرهم على عبادة غيره .

وللتصوير منافع فى هذا الزمان كثيرة فى العلوم كالطبّ والتشريح والتاريخ الطبيعيّ ، وفى الصناعات ، وفى السياسة والإدارة والحرب ، وفى اللغة ؛ فإن كثيراً من أسماء النباتات والحيوان ألاّ تعرف مسمّياتها فى اللغة لعدم تصويرها ، وكتب اللغة لا تزيد فى تعريفها على كلمة " نبات م" و " حيوان م" أى معروف . وما كلّ معروف عند أناس يكون معروفاً عند غيرهم ، ولا كلّ معروف فى زمن يكون معروفاً فى جميع الأزمان .

فالتصوير ركن من أركان الحضارة ، ترتقى به العلوم والفنون والصناعات والسياسة والإدارة ، فلا يمكن لأمة تتركه أن تجارى الأمة التى تستعمله ، ولكنه إذا استعمل فى العبادات يفسدها ، لأنه يحولها إلى وثنية .

وقد كان النّهْيُ عن اتخاذ الصور من الوصايا العشر التى كانت فى ألواح موسى عليه السلام . وهو نصٌّ لا يزال ثابتاً فى التوراة التى فى أيدى أهل الكتاب ، لأن التوحيد الذى هو أساس دين جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يتفق مع اتخاذ الصور اتخاذاً دينيًّا .

ولكنّ القرآن الكريم اكتفى بإثبات التوحيد بالبراهين العقلية والكونية ، والأمثال التى تجعل المعنى المعقول كالشيء المرئىّ بالعيون الملموس بالأكفّ ، وأوضحه بذلك

=بقرام – القرام : هو الستر – فيه تماثيل – بمعنى الصور – فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم تلوّن وجهه وقال : يا عائشة ، أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله . قالت : فقطعناه فجعلنا منه وسادة أو وسادتين » . (راجع صحيح البخارى ج ٤ ص ٣٠ طبع بولاق) .

وبفنون من البلاغة تستولى على القلوب ، وتحيط بالفكر والوجدان من جميع نواحيها ، فلم تبق مع هذا حاجة للنهى عن اتخاذ الصور والتماثيل ، وإنما نهى عنها النبيّ قبل نزول جميع القرآن ووصوله إلى الناس ، لقرب عهدهم بالوثنية ، ولو كان اتخاذ الصور والتصوير الذى هو ذريعة من المحرّم لذاته على الإطلاق ، أو لضرر فيه لا ينفكّ عنه مطلقاً لكان محرماً على ألسنة جميع الأنبياء .

ولما امتنّ الله على سليمان عليه السلام بقوله :

(يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وتماثِيلَ) إلى قوله : (اعْمَلُوا آلَ دَاودَ شُكْرًا وقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ[1]) .

فجعل ذلك من النعم التى يشكر الله تعالى عليها » اهـ .

---

(١) الآية ١٣ من سورة سبأ مكية وآياتها أربع وخمسون .

الأطوار التى تقلّب فيها التصوير الإسلامى

تقلب التصوير فى الإسلام فى أطوار مختلفة ، متتبعاً سير السياسة فى معظم الأحيان ، سائراً مع الحضارة جنباً لجنب .

وقد تقسم هذه الأطوار إلى ما يأتى :

١ – طوْر الاقتباس والتقليد ويشتمل عصر الخلفاء الراشدين والدولة الأموية وأوائل العباسية .

٢ – طوْر الممارسة والابتكار ويشتمل عصر العباسيين بالعراق وعصر أحمد بن طولون بمصر .

٣ – طوْر الرقىّ والإبداع ويشتمل عصر الدولة الفاطمية بمصر .

٤ – طوْر الانحطاط ويبتدئ من القرن السابع الهجرى إلى القرن العاشر .

١ – كانت صناعة التصوير فى أوّل الأمر لا تتجاوز حدّ الاقتباس والتقليد حيث كان العرب يقلدون ما كان بين أيديهم من صناعة اليونان والرومان ويقتبسون منها دروساً ساعدتهم على ممارسة فنهم ، وإنتاج صناعة جديدة عرفت بالصناعة العربية ؛ وقد كانت الحروب الطويلة والفتوحات لنشر الدين الإسلامىّ مما شغل قرائح العرب عن التصوير والفنون الجميلة عامة التى بقيت فى ذلك الوقت فى أيدى الأمم الخاضعة لهم . على أنهم وإن كانوا قد تركوا التصوير ، لم يأنفوا من استخدام المصوِّرين من الأجانب واستيراد الأقمشة المصورة والمزركشة من الأمم الأخرى .

٢ – ولما تقدّمت المدنية العربية بعد ذلك تقدّم معها فنّ التصوير ، فابتدأت تنظر إليه العقول ببعض العناية ، وتقلب فى طوْر الممارسة والابتكار حيث استقلت العرب بصناعته ، فاستعدّت الأمة لاحتضانه ، واجتهدت فى ترقيته وإنهاضه . وقد انتشر فى عصر أحمد بن طولون بمصر حتى نافس الشعر وسار إلى بلاد المغرب والأندلس ، فلاقى عصوراً زاهرة ، ونجاحاً كبيراً .

٣ – وفى عصر الدولة الفاطمية زها فنّ التصوير وبلغ درجة عالية من الروعة والجمال ، ونبغ فيه مصورون كثيرون ، صوّروا الخلفاء والقوّاد والشعراء وكبار الدولة صوراً حقيقية وقد حلّ التصوير محلّ كل شىء . وأدخل فى الزخارف العربية أشكال الناس والحيوان . ولا غرو أن يسمّى هذا العصر بطور الرقىّ والإبداع .

٤ – ولكنه ابتدأ فى التأخير والانحطاط من النصف الأخير من القرن السابع الهجرىّ . ومرّت عليه سنوات لم يكن فيها شيئاً مذكوراً ، إلا أنه فى القرن العاشر ابتدأ ينهض نهضة ضعيفة حتى انتعش قليلاً فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر وكان آخر مشهد من مشاهد بهائه فى القرن الثالث عشر .

التصوير فى المساجد والقصور والمبانى

وقد كان للخلفاء والأمراء على اختلاف الدول – فى العصور الإسلامية – عناية فى بناء المساجد والمصانع والقصور ، يتأنقون فى هندامها وإتقانها فضلاً عن المتنزهات والحدائق مما ينفقون فيه الأموال الطائلة ، فيجلبون إليه الأغراس من أطراف المعمور ويتفننون فى تزيين مجالسهم بالأشعار والتصاوير المموّهة بالذهب وبينها رسوم الحيوانات والآدميين والأزهار وغيرها[1] .

ولما كان التصوير فى المساجد من أهمّ ما ورد فى مراجع التاريخ الإسلامىّ ، فيجدر بنا أن نذكر فى هذا المقام أسماء تلك المساجد وما قيل عنها فى هذه الناحية بتلك المصادر .

---

(١) التمدن الإسلامى للمرحوم جورجى زيدان (ج ٥ ص ٩٢) .

التصوير فى المساجد

من أغرب ما حفظه التاريخ الإسلامىّ وجود صور الأحياء على جدران المساجد الإسلامية . فإن ذلك يدعو للريب فى أمر تحريم التصوير الذى يجاهر به البعض ؛ وإن السماح بمثل هذه الصور فى المساجد — وهى موضع إقامة الشريعة الإسلامية — لدليل على رضاء الدين بها وشدّة رغبة الناس فيها . ولم تصلنا معارضة لعلماء الدين القدماء فى أمر تلك الصور ، وقد أقيمت فى مساجد متعددة نذكر منها : « جامع دمشق» الذى وصفه الشيخ شمس الدين المقدسي وكان قد زاره فى سنة ٣٧٥ ﻫ (٩٨٥م) فقال : إن حيطانه كانت مبلطة إلى قامتين بالرخام المجزّع ، ثم إلى السقف بالفسيفساء الملوّنة المذهبة ، فيها صور أشجار وأمصار وكتابات على غاية الحسن والدقة ولطافة الصنعة ، وكل شجرة أو بلد مذكور إلا وقد مثل على تلك الحيطان .

وقال صاحب محاسن الشام فيه أيضاً : « إن الرخام كان فى جدران الجامع سبع وَزَرات ، ومن فوقه صفات البلاد وما فيها من العجائب ، وإن الكعبة المشرفة وضع صفاتها فوق المحراب ، ثم فوق تلك البلاد يميناً وشمالاً وما فيها من الأشجار المثمرة والمزهرة » .

هذا وقد ذكر الجامع « ابن جبير » و « ابن بطوطة » فى رحلتيهما بما لا يقلّ عن ذلك الوصف .

وكذلك « جامع عبد الملك » الذى بناه فى القدس فإن داخله كان مزيناً بالنقوش والرسوم البديعة .

وقد ذكرت جريدة « لغة العرب » فى عددها الصادر بتاريخ سبتمبر سنة ١٩١١ فى مقال فى آثار سامرّاء (سُرَّ من رأى) التى بناها المعتصم العباسىّ فى أوائل القرن الثالث الهجرى بالقرب من بغداد ، خبر اكتشاف قام به العالم البحاثة الدكتور هرتسفيلد فى تلك المدينة الأثرية فقالت :

« . . . وأوّل ما شرع به فى سامرّاء كان رَفْع كل ما يغشى « الجامع الأعظم » الذى بناه المتوكل على الله والمنارة الغريبة البناء الموجودة فيه ، وهى المنارة المعروفة

باسم « الملوية » وبعد ما ظهر للعيان صحن الجامع ، بانت كل البناية الداخلية وعمد الرخام وما يزينه فى الداخل من نقوش مطبوعة ، وتصاوير ملوّنة ، وفسيفساء .

ولقد دقق الدكتور هرتسفيلد نظره فى بعض دور الخاصة المجاورة للمدينة ، فإذا هو أمام مدينة مدفونة فى الشرق دَفْن بمباى فى الغرب . ووجد غرفاً وحجراً وردهات قد زينت جدرانها وغشيت حيطانها بتصاوير شرقية ، منقوشة نقشاً بارزاً أو غائراً فى الجصّ ، وهى فى غاية البهاء والجمال ، وكلها محفوظة أحسن الحفظ ، كأنّ البناة غادروها قبل أن يدخلها أهل البحث. هذا ولا ترى النقش على الجصّ فقط ، بل إنك تشاهد تصاوير ملوّنة فى مواضع الجصّ الفارغة من النقوش . وهناك أيضاً تصاوير مختلفة الألوان ، وصور أناس كلها ملوّنة على أبدع مثال ، وهو أمر فى غاية الندرة فى تاريخ الصناعة الإسلامية[١] » .

فهذه الصور التى رآها العالم البحاثة الأثرى الدكتور « هرتسفيلد » على أنقاض مدينة « سامرّاء » هى أقدم ما وقفوا عليه من آثار العرب فى العصور الإسلامية فى فنّ التصوير . وهذه الرسوم من صنع مصوّرى القرن الثالث الهجرى وقت بناء سامرّاء ، لأن هذه المدينة أهملت فى زمن المعتضد بالله المتوفى سنة ٢٩٨ هـ (٩١٠ م) وخربت من ذلك الحين وغشيها الخراب حتّى أخذ أهل البحث بالتنقيب عن أطلالها فعثروا على ما ذكرناه هنا .

وقال المقريزى عند ذكر « جامع الفيلة » الذى أنشأه الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالى فى أواخر القرن الخامس الهجرى ما نصه :

« وإنما قيل له جامع الفيلة لأن فى قبلته تسع قبّات فى أعلاه ذات قناطر إذا رآها الإنسان من بعد شبهها بمُدرّعين على فيلة كالتى تعمل فى المواكب أيام الأعياد وعليها السرير وفوقها المدرّعون أيام الخلفاء»[٢] .

وفى سنة ٣٦٦ هـ (٩٧٦ م) بنت السيدة أمّ العزيز بالله نزار الخليفة الفاطمىّ جامعاً بقرافة القاهرة أبدع فيه الفنيون من المعماريين والمصوّرين ما شاءوا فجاء آية الآيات ، وحسبى أن أنقل شيئاً مما ذكره عنه المقريزى ــ وقد أشار إلى أسماء

---

(١) مجلة الهلال (ص ١١٧ سنة ٢٠) .

(٢) راجع خطط المقريزى (ج ٢ ص ٣١٨ — ٣٢٠ طبع بولاق) .

أرباب الفنون المشهورين فى ذلك العصر. وقد أوردناهم عند ذكر مناسباتهم فى غير هذا الموضع :

قال المقريزى فى خططه[١] عن هذا الجامع :

« كان فيه أربعة عشر باباً مربعة مطوية الأبواب قدّام كل باب قنطرة قوس على عمودى رخام ثلاثة صفوف وهو مكندح مزوّق باللازورد والزنجفر والزنجار وأنواع الأصباغ ، وفيه مواضع مدهونة والسقوف مزوّقة ملوّنة كلها ، والحنايا والعقود التى على العمد مزوّقة بأنواع الأصباغ من صنعة البصريين وبنى المُعلّم المزوّقين شيوخ الكتّامىّ والنازوك .

وكان قبالة الباب السابع من الأبواب قنطرة قوس مزوّقة فى منحنى حافتها شاذوران مدرّج بدرج وآلات سود وبيض وحمر وخضر وزرق وصفر إذا تطلع إليها من وقف فى سهم قوسها شائلاً رأسه إليها ظنّ أن المدرّج المزوّق كأنه خشب كالمقرنص ، وإذا أتى إلى أحد قطرى القوس نصف الدائرة ووقف عند أول القوس منها ورفع رأسه رأى ذلك الذى توهمه كالمقرنص مسطحاً لا نتوء فيه . وهذه من أفخر الصنائع عند المزوّقين . وكانت هذه القنطرة من صنعة بنى المعلّم وكان الصناع يأتون إليها ليعملوا مثلها فما يقدرون » اهـ .

ولما فرغ المعتصم من بناء قصره بالميدان الذى كان للعباسية جلس فيه وجمع الناس من أهله وأصحابه وأمر أن يلبس الناس كلهم الديباج ، وجعل سريره فى الإيوان المنقوش بالفسافسا (الفسيفساء) الذى كان فى صدره صورة العنقاء[٢] ، فجلس على سرير مرصّع بأنواع الجواهر ، وجعل على رأسه التاج الذى فيه الدرّة اليتيمة ، وفى الإيوان أسرّة آبنوس عن يمينه وعن يساره من عند السرير الذى عليه المعتصم إلى باب الإيوان ، فكلما دخل رجل رتبه هو بنفسه فى الموضع الذى يراه ، فما رأى الناس أحسن من ذلك اليوم[٣] . . . إلخ .

---

(١) راجع (ج ٢ ص ٣١٨ – ٣٢٠ طبع بولاق) .

(٢) هو شعار الدولة فى ذلك العصر ، ويدل على القوة ، كما هو شعار كثير من الدول الآن ، ومنها الجمهورية العربية المتحدة .

(٣) راجع كتاب الصناعتين لأبى هلال العسكرى (ص ٣٤٤) .

قصر خُمَارَوَيه وبُسْتانه الرائع العجيب

وعمل « خُمارَوَيْه » فى قصره مجلساً برواقه سمّاه : « بيت الذهب » طلى حيطانه كلها بالذهب المجاول باللازود والمعمول فى أحسن نقش وأظرف تفصيل ، وجعل فيه على مقدار قامة ونصف صوراً فى حيطانه بارزة من خشب معمول على صورته وصور حظاياه والمغنيات اللاتى تغنّيه بأحسن تصوير وأبهج تزويق ، وجعل على رءوسهن الأكاليل من الذهب الخالص الإبريز الرزين والكوادن المرصعة بأصناف الجواهر فى آذانها الأخراص الثقال الوزن المحكمة الصنعة ، وهى مسمَّرة فى الحيطان ولوّنت أجسامها بأصناف أشباه الثياب من الأصباغ العجيبة ؛ فكان هذا البيت من أعجب مبانى الدنيا[1] .

بستان ابن طولون الرائع العجيب

ذكر ابن تَغْرى بَرْدى فى النجوم الزاهرة [2] عن هذا البستان ما نصه :

« ولما ملك خُمارَوَيه الديار المصرية بعد موت أبيه أحمد بن طولون أقبل على عمارة قصر أبيه وزاد فيه محاسن كثيرة ؛ وأخذ الميْدانَ الذى كان لأبيه المجاورَ للجامع فجعله كله بستاناً ، وزرَع فيه أنواع الرياحين وأصنافَ الشجر ، وحمل إليه كل صنف من الشجر المطعم وأنواع الورد ، وزرَع فيه الزعفران ، وكسا أجسامَ النخل نحاساً مُذْهباً حسن الصنعة ، وجعل بين النُّحاس وأجسام النخل مزاريب الرَّصاص ، وأجرى فيها الماءَ المدبَّر ؛ فكان يخرج من تضاعيف قائم النخل عيون الماء فينحدر إلى فساقىَّ معمولة ، ويفيض الماء منها إلى مجار تسقى سائرَ البستان ؛ وغرس فى أرض البستان من الريحان المزروع فى زىّ نقوش معمولةٍ وكتابات مكتوبة ، يتعاهدها البستانىّ بالمقاريض حتى لا تزيدَ ورقةٌ على ورقة لئلا يشكلَ ذلك على القارئْ ، وحمل إلى هذا البستان النخلَ من خراسان وغيرها ؛ ثم بنى فى البستان برجاً من

(١) المقريزى (ج ١ ص ٣١٦ – ٣١٧ طبعة بولاق) .

(٢) ج ٣ ص ٥٣ طبع دار الكتب والوثائق القومية .

الخشب الساج المنقوش بالنقر النافذ ، وطعَّمه ليقوم بهذا البرج مقام الأقفاص ؛ وبلَّط أرضه وجعل فيه أنهاراً لطافاً يجرى فيها الماء المدبَّر من السواقى ؛ وسرَّح فى البُرْج من أصناف القمارىّ والدباسىّ(١) والنونيات (٢) وما أشبهها من كل طائر يستحسن صوته ، وأطلقها بالبرج المذكور ، فكانت تشرب وتغتسل من تلك الأنهار ؛ وجعل فى البرج أوكاراً فى قواديسَ لطيفة ممكنة فى جوف الحيطان ليُفْرخ الطيور فيها ؛ وعارض لها فيه عيداناً ممكنة فى جوانبه لتقف عليها إذا تطايرت حتى يجاوب بعضها بعضاً بالصياح ؛ وسرّح فى البستان من الطير العجيب كالطواويس ودجاج الحبش ونحو ذلك شيئاً كثيراً » ا هـ .

المنظرة ببركة الحبش

وكانت لهم « الفاطميون » منظرة تشرف على « بركة الحبش » . قال الشريف أبو عبد الله محمد الجوّانى فى كتاب « النقط على الخطط » :

(إن الخليفة الآمر بأحكام الله بنى على المنظرة التى يقال لها : « بئر دكة الحزكة » منظرة من خشب مدهونة ، فيها طاقات تشرف على خضرة « بركة الحبش » وصوّر فيها الشعراء ، كل شاعر وبلده ، واستدعى من كل واحد منهم قطعة من الشعر فى المدح وذكر « الحركاة »(٣) وكتب ذلك عند رأس كل شاعر ، وبجانب صورة كل منهم رفّ لطيف مذهب . فلما دخل الآمر وقرأ الأشعار أمر أن يحط على كل رفّ صرّة مختومة فيها خمسون ديناراً ، وأن يدخل كل شاعر ويأخذ صرّته

(١) الدباسى جمع دبسى (بالضم) : طائر صغير منسوب إلى دبس الرطب ، لأنهم يغيرون فى النسب ، كالدهرى والأدبس من الطير : الذى فى لونه غبرة من السواد والحمرة . وهذا النوع قسم من الحمام البرى وهو أصناف : مصرى وحجازى وعراق ، وهى متقاربة ، لكن أفخرها المصرى ولونه الدكنة ، وقيل : هو ذكر اليمام (راجع حياة الحيوان للدميرى ج ١ ص ٤٠٨ طبع بولاق) .

(٢) كذا فى المقريزى والخطط التوفيقية . وورد فى النجوم « النوبيات » ولم نعثر فى المراجع التى تحت أيدينا على تفسير لهذين اللفظين .

(٣) الحركاة (بالخاء المعجمة والراء المهملة) : الخيمة أو النجع . (راجع خطط المقريزى ج ١ ص ٣١٧ طبعة بولاق) .

بيده من جنب صورته ، ففعلوا ذلك ، وأخذوا صررهم ، وكانوا عدّة شعراء)[١].

والسلطان الملك الأشرف خليل بن قلاوون أنشأ بالقلعة مشرفاً أسماه « الرفرف » وجعله عالياً بحيث يشرف على الجيزة كلها وبيّضه ، وصوّر فيه أمراء الدولة وخواصّها ، وعقد عليه قبّة على عمد وزخرفها ، وكان مجلساً يجلس فيه السلطان ، واستمرّ جلوس الملوك به حتى هدمه الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٢ هـ (١٣١٢ م) .

* * *

وإلى هنا قد وفينا تاريخ التصوير حقه . ولما كان موضوع كتابنا هو تصوير الكتب العربية ، والتفنن فى تجميلها وتحليتها وزخرفتها خصوصاً المصاحف الشريفة والكتب الدينية فى العصور الإسلامية ؛ فنبدأ بجوهر الكتاب .

تصوير الكتب العربية
والتفنن فى تجميلها وتحليتها وزخرفتها

حفظ العرب فى كتبهم تاريخاً مجيداً لصناعة التصوير الملوّنة ويمكن تقسيم تلك الكتب بحسب اختلاف موضوعاتها إلى الأبواب الآتية :

الباب الأول : الصور الطبيّة .

الباب الثانى : الخرائط والمصوّرات الجغرافية .

الباب الثالث : الرسوم الهندسية والميكانيكية .

الباب الرابع : الصور الأدبية والتاريخية .

الباب الخامس : الصور العلمية .

الباب السادس : زخرفة المصاحف الشريفة وتجميلها وتحليتها والكتب الدينية .

---

(١) المقريزى (ج ١ ص ٤٨٦ طبعة بولاق) .

الباب الأول

الصور الطبية

وهى قديمة وإن لم يصلنا منها شىء قديم ، لأن العرب لما نقلوا الطبّ عن اليونان والفرس فى العصر العباسىّ الأوّل يغلب أنهم نقلوا معه صور بعض الأعضاء التشريحية ، أو الحشائش والنباتات الدوائية لتمييز بعضها عن بعض ، كما فعل بعد ذلك رشيد الدين الصورىّ المتوفى سنة ٦٣٩ هـ (١٢٤١ م) بتصوير الحشائش فى كتاب « الأدوية المفردة » ، فإنه كان كثير البحث والتدقيق ، يخرج لدرس الحشائش فى منابتها . ويستصحب مصوراً معه الأصباغ والليق على اختلافها وتنوّعها ، ويتوجّه إلى المواضع التى بها النبات فى لبنان وسوريا فيشاهد النبات ويحققه ويريه للمصور ، فيعتبر لونه ومقدار ورقه وأعضائه ويصور بحسبها بالدقة . وذلك غاية ما يفعله العلماء والباحثون فى هذا العصر اليوم .

وفى دار الكتب والوثائق القومية كتاب فى الطب البيطرىّ اسمه : « بيطرنامة » يشتمل على ما يتعلق بالحيوانات ، وفيه بعض الصور ، وهو محفوظ برقم (٤٩ طب م) وقد نقلنا منه صفحة .

وفى الخزانة التيمورية بدار الكتب مخطوط تركىّ اسمه : «كتاب الأقراباذين والمفردات الطبية » كتب فى أوائل القرن الثانى عشر للهجرة ، فيه رسوم للعقاقير النباتية والأعشاب الدوائية فى غاية الإتقان تمثل بها الطبيعة تمثيلاً مدهشاً بالأصباغ على اختلاف أنواعها ، ورسوم الآلات الكيميائية ، ومواعين صنع الأدوية كالأنابيق والأنابيب والأباريق والحمامات والكواوين والأجران والآلات الجراحية كالنيشترات والمباضع والسكاكين والمقصّات والكلاليب وغيرها . وقد لوّنت نصالها بما يشبه الفولاذ اللامع فى أتقن ما يكون .

أما الصور التشريحية فأقدم ما وصل إلينا منها « تشريح العين » لحنين بن إسحاق مرسومة فى كتابه المسمى : « تركيب العين وعللها وعلاجها على رأى أبقراط وجالينوس »

فى مجموعة خطية نفيسة فى الخزانة التيمورية كتبت سنة ٥٩٢ هـ (١١٩٥ م) تشتمل على تسعة كتب فى أمراض العين من جملتها : كتاب « تركيب العين » لحنين بن إسحاق ، فيه بضع صور ملوّنة تمثل أشكال العين ورطوبتها وحركاتها . وقد نقلنا صورة منها تبين طبقات العين وتشريحها ، وهى من مصنوعات مصوّرى القرن السادس الهجرىّ .

وقد عنى المستشرق الألمانى العالم المشهور صديقنا المرحوم الدكتور « مايرهوف » طبيب العيون بالقاهرة بطبع هذا الكتاب النفيس القيِّم بمطبعة بولاق سنة ١٩٢٨ م وحلاه ببعض الصور .

كان الدكتور « مايرهوف » عالماً جليلاً فى فنّه ، باحثاً مدققاً فى علمه ، يقوم بأدقّ وأعمق العمليّات الجراحيّة للعين التى يعجز عن أدائها مشاهير أطبّاء العيون فى عصره .

الباب الثانى

الخرائط والمصوّرات الجغرافية

وهى تشمل الخرائط وتخطيط البلدان وصور المدن والأقاليم ، ويبتدئ تاريخها من القرن الرابع للهجرة تقريباً منذ أوّل تأليف الجغرافية .

وأوّل من دوّن الجغرافية من العرب على نحو ما عند اليونان العالم الجغرافى الشيخ أبو زيد البلخىّ . ألّف فى أوّل القرن الرابع للهجرة كتاباً فى الجغرافية سمّاه : « صور الأقاليم السبعة » — وهو أوّل مصوّر جغرافى فى الإسلام — ذكر فيه أمثلة منها بعد أن قسمها إلى عشرين جزءاً ثم شرح كل مثال منها . وقد وضّح كل ذلك بالصور .

ويوجد جزء منه بدار الكتب والوثائق القومية ويشتمل على عدّة صور لبعض الأقطار الفارسية والعراقية ، وهو محفوظ برقم (١٩٩ جغرافية) . وقد نقلنا صورة منه.

ونذكر هنا لمناسبة ذكر هذا الكتاب ما قاله المؤرخ ياقوت الحموىّ فى كتابه : « إرشاد الأريب » يصف فيه نسخة نفيسة اقتناها قال :

« كنت فى سنة ٦٠٧ هـ (١٢١٠ م) قد توجهت إلى الشام وفى صحبتى كتب من كتب العلم أتّجر فيها ، وكان فى جملتها كتاب « صور الأقاليم للبلخى » نسخة رائقة مليحة الخط والتصوير ، فقلت فى نفسى : لو كانت هذه النسخة لمن يجتدى بها بعض ويكتب معها هذه الأبيات — وقلتها ارتجالاً — لكان حسناً ، والأبيات فى معنى أبيات قابوس ، ولم أكن — شهد الله — وقفت عليها ولا سمعتها ؛ وهى :

ولما رأيت الدهر جار ولم أجد ... من الناس من يعدى على الدهر عدواكا
ركبت الفلا يحدو بى الأمل الذى ... يدنى على بعد التنائف مثواكا
ورمت بأن أهدى إليك هدية ... فلم أر ما يهديه مثلى لشرواكا
فجئتك بالأرضين جمعاً تفاؤلا ... لعلمى بأن الفال رائد عقباكا
فخذ هذه واستخدم الفلك الذى ... يراه إلهى كى يدور ببغياكا

ثم إننى بعت النسخة من الملك الظاهر غازى بن صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب حلب بتخيير المشترى من غير مكسب ، وجرت لى فيها قصة طريفة أنزه هذا السلطان عن ذكرها ، فإنه و إن كان الحظ حرمنى فإنه جواد من غيرى[1]»اه.

وكتاب « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » تأليف العالم الجغرافى محمد بن محمد الشريف الإدريسى الذى ابتدأ تأليفه فى شوال سنة ثمان وأربعين وخمسمائة (١١٥٣ م) ، وافتتحه برسم صورة الأرض المسماة « جغرافيا » ، ثم أخذ فى وصف أشكال الأرض وطبيعتها واستدارتها وأطوالها وغير ذلك مجملاً ثم فصله تفصيلا .

وكانت جغرافية الإدريسى هذه أصدق مرجع يعول عليه أهل أوربا فى تقويم البلدان ، واستمروا أجيالاً يعتمدون عليها ، وقد رسموا خرائطها وتناقلوها وترجموها إلى ألسنتهم وطبعوها .

ويوجد بدار الكتب والوثائق القومية نسخة كاملة منها مأخوذة بالتصوير الشمسى ، وهى ضمن الكتب النادرة التى نقلها المرحوم أحمد زكى باشا من مكتبات الآستانة . وقد نقلنا عن هذا الكتاب صورة الأرض من مجلد مخطوط تمت كتابته سنة ٧٤٨ هـ (١٣٤٧ م) ويشتمل على صور عدة خرائط ملونة ، وهو محفوظ بدار الكتب والوثائق القومية برقم (١٥٠ جغرافية) .

وكتاب « قانون الدنيا وعجائبها من مشرقها لمغربها » تأليف العلامة أحمد ابن على زنبل المحلى المنجم الرمال. قال : « إنه ألف كتاباً مختصراً ومتوسطاً ثم هذا هو الكتاب الكبير . . . » .

وقد تكلم فيه على المعمور من الأرض ، وما جرى قديماً وحديثاً ، والحكماء وأخبارهم من القبط والإسلام والعالم العلوى ، وعلى الأدوية المفردة ، وعلى النباتات ، والحشرات ، وحيوان الماء ، والأحجار وخواصها ، والبحار وجزائرها وعجائبها .

وعند كلامه على كل شىء من هذه الأشياء يرسمه رسماً بديعاً محلًّى بالذهب ، ففيه مئات الصور من خرائط ، وصور للوقائع ، وصور للحكماء المسلمين منهم وغير المسلمين ، وعصور للنجوم والعالم العلوى ، وصور للنباتات والحشرات والحيوانات والأحجار والبحار . والصور كلها ملونة .

---

(١) معجم الأدباء (ج ٦ ص ١٤٧ طبعة هندية) .

والكتاب ضخم يبلغ نحو ألف ورقة بالقطع الكبير . كتبه أحمد بن على ابن حسن المسعودىّ فى يوم الأربعاء ٢٣ من ذى القعدة سنة ٩٧٠ هـ (١٥٦٢ م) وهو محفوظ بمكتبة طوب قبو سراى قصر الروان تحت (رقم ١٦٣٨)[١] .

وكتاب « المسالك والممالك » تأليف العالم الجغرافى أبى القاسم أحمد بن حوقل من علماء القرن الرابع الهجرىّ أوّله : « الحمد لله المحمود بنعمه ، المشكور على آلائه وقسمه . . . إلخ » . قال فيه : « قد عملت هذا الكتاب على صفة أشكال الأرض ، ومقدارها بالطول والعرض وأقاليم البلدان ، ومحل الغامر منها والعمران ، من جميع بلاد الإسلام ، بتفصيل مدنها ، وتقسيم ما يفرد بالأعمال المجموعة إليها ، ولم أقصد الأقاليم السبعة التى عليها قسمة الأرض ، لأن الصور الهندسية وإن كانت صحيحة فكثيرة التخطيط ، وقد جعلت لكل قطعة أفردتها تصويراً وشكلاً يحكى موضع ذلك الإقليم ، ثم ذكرت ما يحيط به من الأماكن والبقاع ، وما فى أضعافها من المدن والأصقاع ، وما فيها من القوانين والارتفاع ، وما فيها من الأنهار والبحار ، وما يحتاج إلى معرفته من جوامع ما يشتمل عليه ذلك الإقليم على وجوه الأموال والجبايات والأعشار والخراجات والمسافات فى الطرقات .

اعتمد فى تأليفه على كتاب « المسالك والممالك » لابن خرداذبة ، و « كتاب الخراج وصنعة الكتابة » لأبى الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادى .

نسخة فى مجلدين مأخوذة بالتصوير الشمسى عن نسخة مخطوطة بقلم نسخ جديد ، كتبها على بن الحسين بن بنداد ، وفرغ منها فى مستهل شهر رجب سنة ٤٧٩ هـ (١٠٨٦ م) فى ٢٧٣ لوحة ، تشتمل على عشرين خريطة . الأولى منها فى أربع لوحات ، تشتمل على صورة جميع الأرض . والثانية فى ديار العرب فى لوحتين . والثالثة فى بحر فارس فى لوحتين . والرابعة فى صورة بلاد المغرب ، ومكان كل عمل منه وموقعها من شماله وجنوبه وشرقيه وغربيه فى ستّ لوحات . والخامسة فى صورة البلاد المصرية فى أربع لوحات . والسادسة فى صورة البلاد الشامية فى

(١) من تقرير للأستاذين العالمين الجليلين المرحومين أحمد أمين وعبد الحميد العبادى وكانا — رحمهما الله تعالى — أرسلا فى بعثة إلى الآستانة للبحث عن الكتب المخطوطة النادرة فى مكتباتها ، وهو محفوظ بدار الكتب والوثائق القومية برقمى ٢٤٠ ، ٤١٢ مكتبات .

لوحتين . والسابعة فى صورة بحر الروم ونواحيه وشكله فى لوحة . والثامنة فى صورة الجزيرة وبلادها فى لوحتين . والتاسعة فى صورة العراق فى لوحتين . والعاشرة فى صورة خوذستان فى لوحتين . والحادية عشرة فى صورة فارس فى لوحتين . والثانية عشرة فى صورة كرمان فى لوحتين . والثالثة عشرة فى صورة بلاد السند فى لوحتين . والرابعة عشرة فى صورة أرمينية وأذربيجان والران فى لوحتين . والخامسة عشرة فى جبال السند وما فيها من المدن المشهورة وبها لوحتان . والسادسة عشرة فى جبل الديلم وطبرستان فى لوحتين . والسابعة عشرة فى صورة الخزر فى لوحتين . والثامنة عشرة فى صورة مفازة بين فارس وخراسان فى لوحتين . والتاسعة عشرة فى صورة سجستان فى لوحتين . والخريطة العشرون فى صورة خراسان فى أربع لوحات . وهو محفوظ بدار الكتب والوثائق القومية برقم (٢٥٨ جغرافية) . وقد نقلنا منه صورة .

وفى « كتاب الأقاليم » للعالم الجغرافى الإصطخرى عدّة صور وخرائط ، رسمت فى أواسط القرن الرابع للهجرة ، وتشتمل على حدود الممالك وصور أقاليم الأرض ومدنها وبحارها وأنهارها والمسافات بينها مفصّلاً . فيبدأ ببلاد العرب فبحر فارس ، وديار المغرب والأندلس ومسافاتها ، ومصر وأقسامها وبلادها ، وأرض الشام وبيت المقدس والمسافات بينها ، وصفة بحر الروم وأرض الجزيرة والعراق ومسافاتها وأنهارها ، وخوزستان ، وبلاد فارس ومسافاتها ، وبلاد كرمان والسند وأرمينية وأذربيجان والجبال وطبرستان أو الديلم وبحر الخزر وخراسان وسجستان وأفغانستان وما وراء النهر ومسافاتها . وقد وضح ذلك كله بالخرائط ، ويسميها : « الصور » وجملتها تسع عشرة صورة كبيرة . وقد نقلنا منه صورة .

وقد طبع هذا الكتاب على الحجر فى غوطا سنة ١٨٣٩ م بعناية الدكتور « مولر الألمانى » ومعه الخرائط المشار إليها ملوّنة مثل الأصل تماماً .

ومثل هذه الخرائط كثير فى كتب الجغرافية والأقاليم بعد هذا التاريخ .

* * *

كتب الرحلة أو الأقاليم

ويدخل فى هذا الباب كتب الرحلة أو الأقاليم ، فإن من يطالعها يتبادر إلى ذهنه أن الرحالة لابدّ له من تصوير بعض ما يصفه فيها ، كما فى كتاب « نخبة الدهر » لشمس الدين الدمشقى ، فإن فيه رسوماً تمثل الأسماك الغريبة ، وآلة استقطار العطريات وكروية الأرض وأقسامها ، وغرائب الأبنية فى الصين وطواحين الهواء فى سجستان ونحو ذلك ، لكنها غير متقنة ، وإلى القارئ وصفه :

يشتمل هذا الكتاب على العلم بهيئة الأرض وأقاليمها واختلاف القدماء فى ذلك ، وما فيها من البحار والجزائر والجبال والطرق والرساتيق والآثار والعمائر والعيون والآبار والحيوان النادر والنبات الغريب والمعادن الذاتية والأحجار الكريمة وطبائعها ومساحات الأرضين ومسافاتها وأنساب الأمم واختلاف طبائعهم وخواصّ الإنسان بالنسبة إلى الحيوان وغير ذلك .

طبع فى بطرسبورج سنة ١٨٦٥ م وبعضه فى باريس سنة ١٨٩٨ م ، وقد ترجم إلى الفرنسية وطبع فى كوبنهاجن سنة ١٨٧٤ م ، زينه مؤلفه بالخرائط والصور المختلفة كالرحلة المزينة بالرسوم .

تصوير الحركات الحربية
فى ميادين القتال أو ساحات السباق

ويدخل فى هذا النوع من الصور تصوير الحركات الحربية فى ميادين القتال أو ساحات السباق كما فى :

١ — كتاب : « تعبئة الجيوش » .

٢ — كتاب : « الأنيق فى المجانيق »

٣ — كتاب : « السؤل والأمنية »

٤ — كتاب : « الجهاد والفروسية »

٥ ــ كتاب : « العزّ والمنافع للمجاهدين بالمدافع »

٦ ــ « تحفة الموازين لمن أراد الرئاسة من أهل القوانين »

وإلى القارئ وصفها :

١ ــ تعبئة الجيوش :

وقف المستشرق « وستنفيلد » على مجموعة خطية فى مكتبة غوطا فيها قطعة عربية كبيرة تبحث فى تعبئة الجيوش والحركات العسكرية فى الحروب ، هى عبارة عن ثلاثة فصول من كتاب « الحركات العسكرية » لأليانوس ليس عليه اسم واضعه فى العربية ، ولكن يظهر أنه من أهل النصف الأوّل من القرن الثامن للهجرة ، وعنى « وستينفيلد » بنشر هذه القطعة مع ترجمتها الألمانية فى غوتنجن سنة ١٨٨٠ م . ويشتمل الأصل العربى على التعليم الثامن فى عقد الجيوش وجمعها وولاتها وأمرائها وتنظيم المعسكر وترتيبه ومنزلة كل قسم فى مكانه منه. والتعليم التاسع فى تعبئة الأمير للصفوف فى القتال ، وفصول فى الصفوف وأسمائها وإعدادها والعمل بالسيوف وأنواعها على اختلاف أصولها وغير ذلك فى ٣٢ صفحة كبيرة موضحة بالأشكال الحربية من تنظيم الجند فى مربعات أو أهلة أو مثلثات أو دوائر ، ومن جملة ذلك صور المعسكر الكامل فى تعبئته . وقد نقلنا صورته .

٢ ــ الأنيق فى المجانيق :

كتاب « الأنيق فى المجانيق » تأليف أرنبغا الزردكاش سنة ٨٦٧ هـ (١٤٦٢ م) وصف به أنواع المجانيق وكيف يرمى بها على اختلاف أنواعها ، وأوضح ذلك بالأشكال التفصيلية ، نعنى أنه وصف كل نوع من المجانيق وصوّره وصوّر كل جزء منه ، ولكل قطعة اسم عربىّ ، نرى كتابنا ومترجمينا اليوم فى حيرة عند نقل وصف الآلات الحديثة فلا يعثرون على مسمّيات لها . وفى هذا الكتاب كثير من هذه المصطلحات . منها نسخة محفوظة بدار الكتب والوثائق القومية ، فى جملة كتب « الخزانة الزكية » فى ١٠٩ صفحات أكثرها رسوم ميكانيكية للمجانيق وأجزائها وصور القلاع وأماكن وضع المجانيق فيها ، ووصف سقى السيوف وسائر الآلات القاطعة .

ألفه لشمس العلاء منكلى بغا الشمسى . وربما بلغت الرسوم التى فيه نحو خمسمائة رسم . وقد نقلنا منه صورتين .

٣ ـ كتاب السُّؤْل والأمنيَّة فى تعليم أعمال الفروسيَّة :

كتاب « السؤل والأمنية فى تعليم أعمال الفروسية » ، وهو كتاب جامع فى هذا الفنّ ، ويشتمل على رسومات كثيرة وأشكال ، وهو محفوظ بدار الكتب والوثائق القومية . وأول الموجود منه الكتاب الثالث فى تعليم الرمح ، وهو بخط محمود بن زين الدين حيدر بن زين الدين اليمانى . فرغ منه سنة ٨٠١ هـ وقد نقلنا منه صورتين .

٤ ـ ويدخل فيه أيضاً كتب الفروسية لأنها تحتاج إلى تمثيل الفرسان على خيولهم ، كما فى كتاب « الجهاد والفروسية » لطيبغا الأشرفى البكلمشى اليونانى .

وهو كتاب مطوّل فى علم ركوب الخيل ولا سيما فى الحرب منذ يعتلى الفارس صهوة الجواد حتّى يتحوّل عنه ، وفيه فوائد جزيلة عن الأسلحة بالنسبة إلى الفارس .

وقد أفرد فصلاً خاصًّا لكل جزء من أجزاء السرج كالعنان والركاب والمقرعة ، وكيف يعتلى الفارس متن الفرس ، وكيف ينقل الرمح بيديه وفى الميادين والجرى فيها والحيل الحربية ، ونصب الميادين على أشكالها ، وقد وضع للميادين رسوماً هندسية ودلّ بالخطوط على طريق جرى الأفراس باختلاف ضروب السباق أو طرق الهجوم ؛ فمنها الميدان المستدير والمربع والمستطيل ، ولها أسماء تعرف بها ، كقولهم : « ميدان الكلابين المشقوقة المقلوبة » و « ميدان المقابلة » وجملتها أحد عشر ميداناً .

ويشتمل على تفاصيل لضروب الحرب من الكرّ والفرّ ورسم له شكلاً خاصًّا كبيراً أوضح فيه طريقته وكيفية جولان الفرسان فى ساحة الحرب ، وقس على ذلك سائر ضروب الفروسية ورمى النشّاب ولعب السيف والرمح وغيرها . وقد نقلنا منه صورة .

وتوجد منه نسخة محفوظة بدار الكتب والوثائق القومية فى ٢١٤ صفحة كبيرة برقم (٣ فنون حربية م) .

* * *

انتقال علم ركوب الخيل فى الحرب
من العرب إلى الفرس والمغول

وقد انتقل علم ركوب الخيل – ولا سيا فى الحرب – من العرب إلى الفرس والمغول . وكان الفرس أهل تصوير قبل الإسلام ، ثم شغلهم التنازع تحت سيادة العرب ، فلما اجتمعت كلمتهم وصاروا دولة واحدة بعد فتوح المغول وجهوا عنايتهم إلى هذا الفنّ ، فجمعوا بين ما كان عندهم وما شاهدوه من آثار الروم وما حمله المغول معهم من الشرق الأقصى أخذوا فى ذلك أولاً تحت سيطرة المغول .

ولما استقلّ الفرس بدولتهم الصفوية ازدادوا رغبة فيه وأتقنوه . وكثرت الكتب المصوّرة عند المسلمين غير العرب ولا سيا فى زمن أكبر خان الشهير فى القرن العاشر للهجرة ، فأكثروا من تصوير المشاهد والأشخاص فى الشاهنامة ، وتيمور نامة ، وكليات سعدى ، وظفرنامة اليزدى ، وتاريخ رشيد الدين وغيرها من كتب التاريخ والأدب . وقد نقلنا منها بعض الصور .

وتوجد هذه الكتب بمعرض دار الكتب والوثائق القومية .

وذكر الجبرتى فى ترجمة والده المتوفى سنة ١١٨٨ هـ (١٧٧٤م)[١] أنه اجتمع عنده من كتب الأعاجم مثل الكلستان وديوان حافظ ، والشاهنامة ، وقال : « وبها من التشابيه والتصاوير البديعة الصنعة الغريبة الشكل » .

وقال فى ترجمة الأمير حسن بن شقبون المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ (١٧٩٠م)[٢] « إنه اقتنى الكتب النفيسة التى بخط العجم المصوَّر بها الملوك البديعة الصنعة والإتقان» .

٥ – كتاب العز والمنافع للمجاهدين بالمدافع :

كتاب « العزّ والمنافع للمجاهدين بالمدافع » ، ألفه بالأعجمية الرئيس إبراهيم ابن أحمد غانم بن محمود بن زكريا الأندلسىّ وترجمه إلى العربية ترجمان سلاطين مراكش أحمد بن قاسم بن الحجرى الأندلسىّ ، وهو خمسون باباً ، وفيه صور

(١) راجع تاريخ الجبرتى (ج ١ ص ٣٩٢ طبع بولاق) .
(٢) راجع تاريخ الجبرتى (ج ٢ ص ٢٢٣ طبع بولاق) .

ورسوم متقنة للمدافع . والنسخة بخط مغربيّ وهى محفوظة بالخزانة التيمورية برقم (٨٦ فروسية) وقد نقلنا منها صورتين .

ومنه نسخة أخرى محفوظة أيضاً بهذه الخزانة برقم (٩٧ فروسية) .

ومن الكتب المؤلفة فى هذا الموضوع فى القرن الثالث عشر الهجرىّ الكتاب الآتى وصفه ، وقد كتب العلامة المرحوم أحمد تيمور باشا بخطه فى هذا السفر النفيس هذه العبارة : (تنبيه : وضعنا هذا الكتاب بالمعرض مع أنه من التأليفات الحديثة لغرابة موضوعه) . وذلك وصفه :

٦ — تحفة الموازين لمن أراد الرئاسة فى الهندسة من أهل القوانين :

كتاب « تحفة الموازين لمن أراد الرئاسة فى الهندسة من أهل القوانين » ، وهو فى استعمال المدافع وعملها ، وما يتعلق بها من الذخائر ؛ ترجمة الشيخ محمد بن الطاهر ابن حسن الشاطبي الحنفى التونسىّ فى زمن الباى محمد الصادق باشا أمير تونس ، وكانت ترجمته سنة ١٢٧٥ هـ ، وبه صور متقنة للمدافع وغيرها ، وهو ١١٤ باباً ، ومحفوظ بالخزانة التيمورية برقم (٩٨ فروسية) . وقد نقلنا منه صورة .

الباب الثالث

الرسوم الهندسية والميكانيكية

والصور الميكانيكية أحدث عهداً مما تقدّم، لأن العرب لم يهتموا بالميكانيكيات اهتماماً خاصًّا إلا بعد عصر النقل ؛ لكنّ الكتب الميكانيكية المصوّرة كثيرة ، وتعرف بكتب الحيل، وفيها صور الآلات الرافعة أو المحرّكة على اختلاف أنواعها .

ويوجد بضعة كتب من هذا القبيل بين الكتب الصناعية فى العصر المغولى أهمها : « كتاب الساعات والعمل بها » و « كتاب الحيل » وفيهما عشرات من صور الآلات بين ملوّنة وغير ملوّنة ، وبينها آلات كثيرة التركيب تمثل مصنوعات مدهشة ؛ وإلى القارئ وصفهما :

١ – كتاب الساعات والعمل بها :

كتاب « علم الساعات والعمل بها » لرضوان بن محمد الخراسانى . صدّره بمقدمة ذكر فيها ما بعثه على تأليف هذا الكتاب قال : إن والده كان يتولى إصلاح ساعات دمشق . فلما توفى انتدبوا رجلاً اسمه ابن النقاش لإصلاحها فأفسدها ، ثم عهد أمرها إلى المؤلف فأصلحها وفيها ساعة شمسية كبيرة تمثلت فيها الشمس والساعات فألّف هذا الكتاب فى علم الساعات بالتفصيل والدقة ، وصوّر كل قطعة منها وسمّاها باسمها ، ووصف مكانها وعملها ، وهى كثيرة جدًّا يمكن الاستعانة بها فى استخراج مسمّيات اصطلاحية صناعية لتعريف الآلات الحديثة فى هذا العصر ، لا سيما « المجمع اللغوى » الذى يبحث وينقب فى كتب اللغة عن مثل هذه المسمّيات .

ويدلّنا هذا الكتاب على تركيب ساعات تلك الأيام مما نقرأ عنه فى كتب الرحلة أو التاريخ . منه نسخة مأخوذة بالتصوير الشمسى من النسخة الخطية المحفوظة بمكتبة (كوبرلى) بالآستانة ، وهى من الكتب التى نقلها المرحوم « أحمد زكى باشا » من مكتبات الآستانة ، وهى محفوظة بدار الكتب والوثائق القومية ويقع فى ١١٥ صفحة . وقد نقلنا منه صورتين .

٢ ــ كتاب الحيل ، أو الجامع بين العلم والعمل :

كتاب « الحيل ، أو الجامع بين العلم والعمل » لأبي العز بن إسماعيل الرزاز الجزرى.

ألفه للملك الصالح أبى الفتح محمد بن قرا أرسلان من آل أرتق بديار بكر فى النصف الثانى من القرن الثامن بعد أن خدم أباه وأخاه ٢٥ سنة . وكان المؤلف مغرماً بالميكانيكيات (الحيل) والرياضيات ، فألّف هذا الكتاب فيهما ، أكثر فيه من الرسوم لشرح الآلات وأجزائها . وفيها (البنكام) يعرف به ما مضى من ساعات النهار ، وآلات لرفع الماء ، وآلات سرية تظهر حركات مدهشة ، كأن ترياك رجلاً يمشى أو يتحرّك أو يدقّ الساعة ، وهو من خشب أو حديد ، تحركه آلات مخفيّة ، منه نسخة محفوظة بدار الكتب والوثائق القومية ، وهى من الكتب التى نقلها المرحوم أحمد زكى باشا بالتصوير الشمسى من مكتبات الآستانة ، وتقع فى ٣٢٦ صفحة كبيرة ، فيها أكثر من مائة رسم هندسىّ وميكانيكىّ ، ويتخلل ذلك مصطلحات صناعية يحتاج إليها الراغبون فى الأوضاع العلمية الجديدة للتعبير عن أجزاء الآلات الحديثة ــ لا سيما « المجمع اللغوىّ » الذى يبحث وينقب فى كتب اللغة وغيرها عن مثل هذه المصطلحات العلمية والصناعية خصوصاً وقد كثرت الآن الصناعات المتنوعة ، وأنشئت المصانع الكثيرة المتعددة الأنواع فى أنحاء الجمهورية العربية المتحدة ، وهى تخرج اليوم من الصناعات الثقيلة كمصانع الحديد والصلب ، والصناعات الدقيقة المختلفة والمصانع الحربية ، وغيرهما من المصانع التى ظهرت فى عهد حكومة الثورة المباركة ، وقد استوعبت عشرات الآلاف من الأيدى العاملة الذين أصبحوا مهرة فى هذه الصناعات بشهادة الخبراء الأجانب من روسيين وألمان الذين مرّنوهم على هذه الأعمال الفنية الدقيقة .

وعلى كل حال فإن هذه الكتب لم تكتب إلا بعد انقضاء القرن السادس الهجرىّ .

وقد نقلنا من هذا الكتاب بعض هذه الصور ، منها صورة ذلك الرجل المتحرّك بآلات خفيّة .

* * *

وقد نشر المستشرق الفرنساوى « كارادى فو » كتاباً عربيًّا فى الميكانيكيات اسمه : « الحيل الروحانية وميجانيقا الماء » . وهى منقولة عن نسخة مخطوطة محفوظة

بمكتبة باريز ، تشتمل على كثير من الرسوم تمثل آلات مدهشة كالتنين الصناعي والطيور الصافرة . والكتاب في الأصل منقول عن « فيلون البيزنطي » .

وقد نشرت «مجلة المشرق» التي تصدر في بيروت (صفحة ٢٦٥ سنة ٧) مقالة نفيسة في وصف هذا الكتاب وهي جزيلة الفائدة ، كثيرة النفع .

ومن هذا القبيل كتاب « عين الحياة في علم استنباط المياه » للعلامة أحمد الدمنهوري المتوفى سنة ١١٩٣ هـ وهو كتاب غريب الموضوع . ويشتمل على عدة صور منها : في (ص ٧) صورة لمهابّ الرياح . وفي (ص ٣٣) صورة الكرة الأرضية والأقاليم السبعة . وألحقت بآخر النسخة دائرة متقنة الرسم ، بديعة الشكل ، وهي لمعرفة القبلة لكل البلاد الإسلامية . وقد نقلنا صورتها وكتبت هذه النسخة سنة ١١٤٦ هـ (١٧٣٣ م) في حياة المؤلف .

وبحواشيها تصحيحات بخطه . وهي محفوظة في « الخزانة التيمورية » برقم (١٠٨ طبيعيات) بدار الكتب والوثائق القومية .

ومن هذا النوع أيضاً كتاب « البيطرة وإنتاج الخيل وتربيتها وتدريبها » ، مختصر من تأليف أحمد بن الحسن بن الأحنف ، وهو منقول بالتصوير الشمسي عن نسخة قديمة كتبت سنة ٦٥٠ هـ (١٢٥٢ م) ، وبها صور كثيرة ملونة ، وهي محفوظة بخزانة مدرسة خليل أغا بالقاهرة . والنسخة الفتوغرافية محفوظة بالخزانة التيمورية برقم (١٠٨ فروسية) ، وكتب المرحوم أحمد تيمور باشا عليها هذه العبارة : (أهدى إلينا هذه النسخة المستشرق الأمريكي الأستاذ شارل المسمى بعبد العزيز رضوان في ذي القعدة سنة ١٣٤٧ هـ) .

ومن هذا القبيل : « معين الطلاب على عمل الاصطرلاب » للملك اليمن عمر ابن يوسف بن رسول ، وهو كتاب نفيس في صفة عمل هذه الآلة ، وبه صور ورسوم كثيرة ، وبآخر النسخة تقاريظ بخطوط بعض علماء اليمن ، كتبت سنة ٦٩٢هـ (١٢٩٢م). وهي محفوظة بالخزانة التيمورية برقم (١٠٥ رياضيات) . وقد نقلنا منه صورة .

الباب الرابع

الصور الأدبية والتاريخية

يتعذر البحث عن المخطوطات العربية المصوّرة والمزوّقة بالتصاوير فى العصور الإسلامية .

وأقدم ما وصل إلينا بعناية العرب بتزويق وتصوير وتجميل هذه المخطوطات منذ القرون الأولى هو كتاب «كليلة ودمنة» الذى ترجمه عبد الله بن المقفّع فى أيام الخليفة العباسىّ أبى جعفر المنصور فى حوالى سنة ١٣٢ هـ (٧٥٠ م) وجاء فى مقدمته : « قد ينبغى للناظر فى كتابنا هذا ألا تكون غايته التصفح لتزاويقه » ، وأن من أغراض الكتاب الأربعة « إظهار خيالات الحيوان بصنوف الأصباغ والألوان ليكون أنساً لقلوب الملوك ، ويكون حرصهم عليه أشدّ للنزهة فى تلك الصور » .

و « أن يكون على هذه الصفة فيتخذه الملوك والسوقة ، فيكثر بذلك انتساخه ولا يبطل ، فيخلق على مرور الأيام ، ولينتفع بذلك المصور والناسخ أبداً »(١) .

وقد نقلنا صورة من النسخة التى طبعتها دار المعارف وحازت الإعجاب فى المكتبة العربية .

أما هذه الصور فقد التفت إليها مصوّرو العرب والرسامون منهم فى أوائل القرن السادس الهجرىّ ، فنى دار الكتب والوثائق القومية أربعة أجزاء من كتاب «الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى» ، وهى : الثانى والرابع والحادى عشر والثالث عشر مكتوبة بقلم محمد بن أبى طالب البدرى فى شهور سنة ٦١٤ هـ (١٢١٧ م) وكتبت لبدر الدين زنكى . وقد رسم بوجه الصفحة الأولى من الجزء الثانى صورة ملوّنة بالأحمر والأخضر والأسود واللازورد ، وفيها بعض التذهيب ، وهى تمثل مجلساً من مجالس الرقص والغناء ، وقد ضمّ عدداً من الجوارى والقيان .

كما رسم بوجه الصفحة الأولى من الجزء الرابع صورة بالألوان أيضاً إلا أنها

---

(١) كليلة ودمنة المطبعة الأميرية ببولاق ص ٧٣ .

تخالفها فى الوضع . وهى تمثل بدر الدين زنكى وحوله الغوانى والقيان وفى أيديهن العود والدفّ والقيثارة .

وقد نقلنا الصور الموجودة فى أول كل جزء من الجزءين الثانى والرابع فى مؤلفنا : « أبو الفرج الأصبهانى وكتابه الأغانى » الذى قامت بطبعه « دار المعارف » سنة ١٩٥٢ وأعادت طبعه سنة ١٩٦٧ حسب المناسبات التى وردت فيها .

وهذان الجزءان مع الجزء الحادى عشر والثالث عشر قد اعتمدنا عليها ضمن المراجع المخطوطة فى تحقيق وتصحيح « كتاب الأغانى » طبعة دار الكتب ، وتعدّ هذه الأجزاء من أدقّها ضبطاً وتصحيحاً وجودة خط . وقد رمزنا لها فى التعليقات بالحرف (ط) إشارة لاسم كاتبها ابن أبى طالب البدرىّ . وهما محفوظان بدار الكتب والوثائق القومية برقم (٥٧٩ أدب) .

وقد اكتفينا هنا بنقل الصورتين الواردتين فى أول الجزء الثانى والجزء الرابع .

وعناصر الألوان الموجودة بهاتين الصورتين هى : الأخضر ، الأحمر ، الأصفر ، الأسود ، اللازوَرْد ، الذهب .

أما الجزءان وهما السابع عشر والتاسع عشر فهما أيضاً من نسخة كتبت لبدر الدين زنكى ، وهما مشكولان شكلاً تاماً وفى غاية الصحة غالباً ، وفى أول كل جزء صورة لبدر الدين مرة فارساً ومرة جالساً وحوله الندمان وهى نسخة بديعة رائعة محفوظة برقمى ١٥٦٥ ، ١٥٦٦ بمكتبة ملّت فيض الله أفندى وتوجد بهذه المكتبة أيضاً أجزاء من الأغانى ولكن من غير هذه النسخة قد كتبت فى القرن السابع الهجرى[1] وهذان الجزءان شقيقان كتابة وشكلاً وتصويراً للأجزاء الأربعة وهى : الثانى والرابع والحادى عشر والثالث عشر المحفوظة بدار الكتب بالرقم السابق .

ومن هذا النوع أيضاً : كتاب « كشف الهموم والكرب لشرح آلة الطرب » لسيف الدين أبى بكر المقرّ المرحوم منكلى بغا :

---

(١) من تقرير للأستاذين المرحومين أحمد أمين وعبد الحميد العبادى وكانا — رحمهما الله تعالى — أرسلا فى بعثة إلى الآستانة للبحث عن الكتب المخطوطة النادرة فى مكتباتها ، وهو محفوظ بدار الكتب والوثائق القومية برقمى ٢٤٠ ، ٢٤١ مكتبات ، وقد أشرنا إلى هذا فيما تقدم عند وصفنا لكتاب « قانون الدنيا وعجائبها من مشرقها لمغربها » تأليف العلامة أحمد بن على زنبل المحلى المنجم الرمال . وهو من نفائس الكتب التى اختاروها فى هذا التقرير .

وهو محلى بعدة صور ، منها صورة لرجل يضرب بالعود (ص١٤٤) وأخرى لرجل يضرب على آلة أشبه بالطنبور (ص ١٦٥) وأخرى لرجل يضرب على آلة أشبه بالقانون وكان يضعه على صدره لا على حجره كما هو الحال الآن (ص ٢٨٨) وأخرى لرجل يضرب بالناى (ص ٢٦٢) وأخرى لعدة أشخاص بعضهم يضربون بالدف والآخرون بالناى (ص ٣٥٧) .

وهو من الكتب النادرة التى اختارها شيخ العروبة أستاذى المرحوم « أحمد زكى باشا » ونقلها بالتصوير الشمسى من مكتبات الآستانة لمشروع « إحياء الآداب العربية » وهو محفوظ بدار الكتب والوثائق القومية برقم (١ فنون جميلة) . وقد نقلنا منه بعض الصور .

ويلى ذلك صور كثيرة فى كتب مخطوطة بعد هذا التاريخ ، بينها صورة حصار « بنى النضير » ، وهى مرسومة فى القرن الثامن للهجرة فى كتاب مخطوط محفوظ فى المتحف البريطانى .

ومن الكتب المصورة كتاب « الدر المنظم فى السر الأعظم » ويسمى بالجفر الصغير ، وبمفتاح جفر الإمام على عليه السلام — تأليف الشيخ كمال الدين أبى سالم محمد بن طلحة البسطامى المتوفى سنة ٦٥٢هـ (١٢٥٤م) مخطوط كتب سنة ١٢٧٧هـ (١٨٦٠ م) ونقل عن نسخة كتبت سنة ٩٧٣ هـ (١٥٦٥ م) ويشتمل على سبع عشرة صورة ، وبآخره دوائر ومربعات بها كتابات ورموز ، وهو محفوظ بالخزانة التيمورية برقم (١٢٢ غيبيات) .

الباب الخامس

الصور العلمية

من ذلك النوع كتاب « عجائب المخلوقات » للعلامة القزوينى فى الفلك والجغرافيا والطبيعة عند العرب . وقد طبع فى غوتنجن سنة ١٨٤٩م وعلى هامش « حياة الحيوان » للدميرى المطبوع بمصر سنة ١٣٠٩ هـ (١٨٩١ م) وترجم إلى معظم اللغات الحية ، ويوجد بدار الكتب والوثائق القومية نسخة فارسية مصورة مخطوطة وهى محفوظة برقم (٢١ تاريخ ف م) . وقد نقلنا منها صورة .

وكتاب « تقويم الكواكب السبعة السيارة » لأحد علماء اليمن فى أول القرن التاسع الهجرىّ . وضع فى أوّله جداول لتواريخ الأنبياء والخلفاء وملوك اليمن إلى سنة ٨٠٧هـ . نسخة قديمة الخط بلا تاريخ ، وبها فى (ص ٦٢ — ٦٣) دائرتان للقمر لبيان زيادته ونقصانه . وفى (ص ٦٤ — ٦٥) صورة البروج وحلول القمر فيها . وفى (ص ٩٣) خسوف القمر ، وهى محفوظة فى الخزانة التيمورية برقم (٢٧٤ رياضيات) وقد نقلنا منه صورة .

وكتاب « صور البروج والكواكب » ويشتمل على ٢٧ صورة . وهو محفوظ فى الخزانة التيمورية برقم (٢٨٨ رياضيات) .

وكتاب « معرفة الكواكب الثوابت ورسمها فى السماء والكرة وموقعها من الفلك » للعلامة عبد الرحمن بن عمر الصوفى المتوفى (سنة ٣٧٦ هـ » ٩٨٦ م) . وجاء اسم الكتاب فى كشف الظنون « صور الكواكب » ، ويشتمل على صور كثيرة مبينة بفهرس فى أوله . وهو محفوظ فى الخزانة التيمورية برقم (٢٤١ رياضيات) . وقد نقلنا منه صورتين .

وكتاب « نزهة الأبصار فى ذكر الأقاليم وملوك الأمصار » لحسن بن أحمد الشهير بحاكم البقاع .

الموجود منه النصف الأوّل وكتب سنة ١٢٤٢ هـ (١٨٢٦ م) ويشتمل على أربع صور ملوّنة ومذهبة وهى : الكرة الأرضية فى (ص ١٠) والبيت الشريف

فى (ص ٨٠) والحرم المدنى والحجرة النبوية والروضة الشريفة فى (ص ٩٥) والمسجد الأقصى والحرم الشريف وقبة الصخرة فى (ص ٤٩٨) . وهو محفوظ فى الخزانة التيمورية برقم (١٥٠ بلدان) . وقد نقلنا منه صورتين.

ويدخل فى هذا القسم كتاب « نهاية الإدراك فى علم الهيئة فى دراية الأفلاك » لقطب الدين محمود بن مسعود الشيرازى ، يشتمل على بعض الصور وتوجد منه نسخة مخطوطة بدار الكتب والوثائق القومية بخط محمد بن عبد اللطيف كتبها سنة ٧٤١ هـ (١٢٤٠ م) وهى محفوظة برقم (٧ هيئة م) ، وقد نقلنا منه صورة .

وكتاب « السرّ الروحانى » ويشتمل أيضاً على بعض الصور وتعريفها ، وهو محفوظ بدار الكتب والوثائق القومية برقم (٢٨ كيمياء) ، وقد نقلنا منه صورة .

وكتاب « القوانين فى صفة القبّان والموازين » لم يعلم اسم مؤلفه ، وهو ناقص من أوّله ، ويشتمل على صورة القبان فى (ص ٢) ، وصورة الميزان فى (ص ٤) وصورة أخرى للميزان فى (ص ٦) ، نسخة كتبت سنة ١١٥١ هـ (١٦٤١ م) ، وبآخرها منظومة للشيخ يحيى قنور فيما يتعلق برسم القرسطون فى (ص ٦٢) وهى محفوظة فى الخزانة التيمورية برقم (٢٧٩ رياضيات) . وقد نقلنا منه صورة .

ويوجد بمكتبة بلدية الإسكندرية الجزء الثانى عشر من كتاب « مسالك الأبصار فى ملوك الأمصار » لابن فضل الله العمرى ، وفيه الكلام على المحار إلى جرادة البحر ، ثم الكلام على النبات . ويشتمل على جميع أشكال النبات مصورة بالألوان . وهو محفوظ برقم (٣٣٥٥ ج) .

ولما كانت هذه الموسوعة الخطيرة لم يطبع منها إلى الآن إلا الجزء الأول فقط بتحقيق وتصحيح أستاذى العالم الباحث المحقق المدقق المرحوم أحمد زكى باشا . وهى فى أربعين مجلداً . فيجدر بنا أن نذكر فى هذا المقام وصفاً شاملاً لما احتوته هذه المجلدات . وتعيين أماكنها فى مكتبات الجمهورية العربية المتحدة . ومكتبات أوربا . وكنا قد نشرناه فى مجلة « منبر الإسلام » (العدد الأول — السنة ٢١ — محرم ١٣٨٣ — يونية ١٩٦٣) . وهذا نصه :

بمناسبة المقال النفيس الذى نشره السيد صديقى المحترم المرحوم الأستاذ عبد العزيز الإسلامبولى عن شيخ العروبة أستاذى المرحوم أحمد زكى باشا بعدد (صفر سنة

١٣٨٢) من مجلة «منبر الإسلام» وأشار فيه إلى المخطوطات النادرة التى نقلها بالتصوير الشمسى ، من مكتبات استانبول لطبعها بالقاهرة لإحياء التراث العربى بمشروعه الذى سماه فى ذلك العهد (إحياء الآداب العربية) وقام القسم الأدبى بالمطبعة الأميرية ببولاق منذ سنة ١٩١٢ بطبع بعض هذه الكتب بتحقيق المرحوم (أحمد زكى باشا) .

وكان لى شرف العمل معه بمراجعة المصادر التى يحتاج إليها فى تحقيقاته وظللت ملازماً له — رحمة الله عليه — من هذه السنة إلى سنة ١٩٢١ وهى السنة التى عينت فيها مصححاً ومحققاً لمطبوعات دار الكتب ، وكان القسم الأدبى قد نقل بموظفيه من المطبعة الأميرية إلى دار الكتب لتتولى طبع ونشر هذه الكتب .

وعهد إلى دار الكتب منذ سنة ١٩٢١ بنشر وطبع هذه النفائس ، ومن بينها موسوعة النويرى المسماة « نهاية الأرب فى فنون الأدب » وقد ظهر منها ثمانية عشر جزءاً ، وهذه الموسوعة تشمل الأدب والتاريخ والجغرافية ووصف الإنسان والحيوان والنبات .

وموسوعة ابن فضل الله العمرى المسمَّاة : « مسالك الأبصار فى ملوك الأمصار» وقد ظهر الجزء الأول من هذه الموسوعة سنة ١٩٢٤ بتحقيق المرحوم أحمد زكى باشا.

وشرعت دار الكتب فى طبع الجزء الثانى سنة ١٩٣٨ وأسندت إلى كاتب هذه السطور تصحيحه وتحقيقه ، وقطعت فى هذا العمل شوطاً كبيراً لتصحيح تجاربه وكتابة التعليقات والهوامش من المراجع المخطوطة والمطبوعة وتعدّ بالعشرات مهتدياً بالطريقة التى علّمنى إياها أستاذى المرحوم زكى باشا . ثم أسند هذا العمل إلى المرحوم محمد فخر الدين أستاذ علم الجغرافية بكلية دار العلوم وإلى الآن لم يظهر هذا الجزء ، ولما كان هذا الكتاب النفيس يعدّ بحق أكبر موسوعة عربية إسلامية فى شتّى العلوم والفنون والآداب ودنيا الحيوان والنبات والموسيقى . ولا يعلم من علمائنا وكتابنا وأدبائنا ومؤرخينا فى هذا العصر عنها شيئاً ،فقد بادرت بوصفها فى هذا الكتاب وأوضح النسخ والأجزاء الموجودة منها فى مكتبات الجمهورية العربية المتحدة ومكتبات أوربا .

اسم الموسوعة ومؤلفها :

« مسالك الأبصار فى ملوك الأمصار » تأليف شهاب الدين أحمد بن يحيى المعروف بابن فضل الله العمرىّ المتوفى سنة ٧٤٩ هـ . وتقع فى ستة عشر جزءاً حسب تجزئة المؤلف .

وصف الموسوعة :

وهو كتاب فى أخبار الأمم البائدة ، وأحوال الملوك السالفة ، والأقاليم وما فيها من الممالك وما اصطلحت عليه كل مملكة فى معاملتها وجنودها ، وطوائف العلماء وغير ذلك .

ابتدأه بأقاليم المشرق، وختمه بنهاية آقاليم المغرب . ورتب ما بعد الهجرة على السنين ، وانتهى فيه إلى سنة ٧٤٤ هـ .

وطريقته أنه يتكلم على كل عشر سنين دفعة واحدة . وجعله على قسمين :

(**القسم الأول**) : فى ذكر الأرض وما اشتملت عليه براً وبحراً . وفيه نوعان : الأول فى ذكر مسالكها ، وفيه خمسة أبواب مشتملة على فصول . والثانى : فى ذكر ممالكها ، وفيه خمسة عشر باباً ، مشتملة على فصول .

(**القسم الثانى**) : فى سكانها، ويشتمل على أربعة أنواع ، الثلاثة الأولى منها مشتملة على فصول . والرابع منها يشتمل على بابين .

النسخ والأجزاء الموجودة منها بدار الكتب ومكتبات أوربا :

وتوجد من هذا الكتاب نسخة فى أربعين مجلداً ، وهى مأخوذة بالتصوير الشمسى عن نسخة خطية محفوظة بمكتبة (طوب قبو) بالآستانة . بها خروم وتكرار فى بعض اللوحات محفوظة بدار الكتب برقم (٥٥٩ معارف عامة) .

والجزء الأول من نسخة أخرى منه فى مجلدين مأخوذين بالتصوير الشمسى عن الجزء المخطوط بخط محمد بن على المتوفى سنة ٨٨٤ هـ المحفوظ بمكتبة إكسفورد . ومحفوظ بدار الكتب برقم (٥٦٢ معارف عامة) .

والجزء الخامس من نسخة أخرى فى مجلد مخطوط بقلم معتاد أوله : « القسم

الثانى من سكان الأرض من طوائف الأمم . . . إلخ » . وفيه فصلان ، فى ١٨٣ ورقة ومحفوظ بدار الكتب برقم (٥٥٦ معارف عامة) .

والجزء الثالث عشر من نسخة أخرى فى مجلد بقلم معتاد بخط قديم ، أوله : « فكتب إليه : كيف أصبح مولانا ... إلخ » فى ٢٠٥ ورقات ، محفوظ بدار الكتب برقم (٥٤٧ معارف عامة) .

والجزء الثانى والجزء السابع والعشرون من نسخة أخرى منه ، فى سبعة مجلدات بالتصوير الشمسى عن الأجزاء المخطوطة سنة ٨١٩ هـ المحفوظة بمكتبة (آيا صوفيا) بالآستانة .

وأول الجزء الثانى : « وأما الذى وضع فى هذا الإقليم الرابع من المدن والجزائر العامرة مما وقع فى البحر الثانى فسنذكره . . . إلخ » . وهو فى النوع الأول من القسم الأول . وبه نقص من أوله ، وينتهى إلى أول النوع الثانى فى ذكر الممالك .

والجزء السابع والعشرون يشتمل على الباب الثانى فى ذكر الدول الكائنة فى الإسلام من النوع الرابع من القسم الثانى . ويبتدئ من سنة ٤١ إلى سنة ٤٣ . وهما محفوظان بدار الكتب برقم (٥٦٠ معارف عامة) .

والجزء الرابع عشر من نسخة أخرى فى أربعة أجزاء مأخوذة بالتصوير الشمسى على الطريقة السلبية ، ومحفوظ بدار الكتب برقم (٥٦١ معارف عامة) .

الجزء الخامس إلى العاشر فى أربعة مجلدات بقلم تعليق (قريب من الفارسى) ، ويبتدئ من النوع الثانى فى ذكر ممالك الإسلام جملة من القسم الأول ، وينتهى إلى أثناء أخبار الوزراء من الفصل الثانى من النوع الأول من القسم الثانى ، وتشتمل على ذكر ممالك الإسلام وفقهاء المذاهب الأربعة ، وذكر من حفظ لسان العرب من اللغويين والنحويين ، وذكر طوائف الفقهاء والحكماء والمتكلمين والأطباء وأهل علم الموسيقى ، وطوائف الكتّاب والخطباء والشعراء . وهى محفوظة بدار الكتب برقم (٨ م معارف عامة) .

عدم مطابقة أجزاء الكتاب :

ويظهر أن أجزاء الكتاب غير متفق بعضها مع بعض ، إذ نرى الجزء الأول

المحفوظ برقم (٥٦٢ معارف عامة) ينتهى بهذه العبارة : « . . . ثم إن جنحنا إلى ذكر شيء مما قيل فلعلنا لا نغفل ولا ننصب ما نلم به فالرواسق الألسنة، ولا نعدل به إلى السيئة عن الحسنة . وأما ما نتكلم عليه من أمر البحار فسيأتى فى الجزء الثانى — إن شاء الله تعالى — وفى ذكر الرياح الأربع وصورة القنباص . . إلخ » . وهى لا تتفق مع آخر الجزء الأول من النسخة المحفوظة برقم (٥٥٩ ،معارف عامة) وهو ينتهى بتلك العبارة : « هذا ما وقع فى هذا البحر الفارسى من الجزر الواقعة فى هذا الإقليم، وبتمامه تم الإقليم الثالث براً وبحراً ولله الحمد والمنة . آخر السفر الأول من مسالك الأمصار » .

الجزء الثانى : من مسالك الأبصار يتكلم فيه عن ممالك بيت جينكزخان ، والقاهرة ، وممالك المسلمين .

الجزء الثالث : : يتكلم فيه عن القبائل ، ثم عن علماء التفسير والحديث والفقهاء والأئمة الأربعة .

وهو موجود بمكتبة برلين .

الجزء الرابع : يتكلم فيه عن الأدباء واللغويين .

الجزء الخامس : يتكلم فيه عن الفقراء والزهاد والصوفية والفلاسفة والأطباء .

موجود منه صحف بالجزء المحفوظ بالخزانة التيمورية .

الجزء السادس : يتكلم فيه عن الحكماء وأهل علم الموسيقى ومشاهير المغنين .

الجزء السابع : يتكلم فيه عن مشاهير وزراء الخلفاء بالجانب الشرقى ، ثم مشاهير وزراء الملوك .

الجزء الثامن : يشتمل على تراجم الكتّاب .

موجود منه صحف بالجزء المحفوظ بالخزانة التيمورية .

الجزء التاسع : يتكلم فيه عن الشعراء من العصر الجاهلى ابتداء من امرئ القيس إلى أبى العباس بن حمدان . يقابله الجزء الرابع عشر المحفوظ بمكتبة باريس الأهلية .

الجزء العاشر : يتكلم فيه عن الشعراء من المتنبئ إلى الحسام الحاجرى من شعراء القرن السابع الهجرى .

يقابله الجزء الخامس عشر المحفوظ بمكتبة الأسكوريال .

الجزء الحادى عشر : يتكلم فيه عن الشعراء من ابن غنيم وهو مجير الدين محمد إلى آخر شعراء المغاربة .

يقابله الجزء السابع عشر المحفوظ بمكتبة باريس الأهلية .

الجزء الثانى عشر : يتكلم فيه عن الشعراء من المصريين ابتداء من تميم ابن المعزّ إلى ابن نباتة .

يقابله الجزء السابع عشر أيضاً المحفوظ بمكتبة باريس الأهلية .

الجزء الثالث عشر : يتكلم فيه عن الحيوان والنبات، يقابله الجزء الثانى عشر المحفوظ بمكتبة بلدية الإسكندرية .

الجزء الرابع عشر : يتكلم فيه عن النبات أيضاً ، ثم المعادن . ثم يتكلم عن فرق المقرين بملة الإسلام (ورقة ١٧٣ من القسم الأول) . ثم الكلام عن الفرق الإسلامية ، ثم الكلام عن طائفة المتدينين (ورقة ٢٨١ من القسم الثانى) وانتهى فيه إلى الطبقة . . . والعشرين . وهم أولاد عبد الله بن الحسن بن على .

الجزء الخامس عشر : يتكلم فيه عن دولة المهدى محمد بن عبد الله الملقب بالنفس الزكية . ثم ذكر بعض الدول الإسلامية ، وانتهى فيه إلى ذكر حوادث سنة ١٥٠ هـ .

الجزء السادس عشر : ابتدأه بذكر حوادث سنة ١٦٠ هـ وانتهى فيه إلى سنة ٧٤٤ هـ يقابله الجزء الثالث والعشرون المحفوظ بمكتبة باريس الأهلية .

الجزء المطبوع منه :

أما الجزء الأول المطبوع من هذا الكتاب فينتهى بالفصل السادس ، وهو آخر فصول الباب الأول من القسم الأول ، ويقع فى صفحة ٢١٨ من الجزء الأول الفتوغرافى المحفوظ بدار الكتب برقم (٥٦٢ معارف عامة) البالغ صفحاته ٣٨٥ ، وصفحة ٢٩١ من الجزء الأول الفتوغرافى المحفوظ بالدار أيضاً برقم (٥٥٩ معارف عامة) وعدد صفحاته ٣٧١، الأرقام الناقصة من القسم الثانى من الجزء الأول من النسخة المحفوظة بالدار برقم (٥٥٩ معارف عامة) وهى :

ص ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ وتشتمل على رسم مجموع الكرة برًّا وبحراً وعامراً وخراباً ، ووضع الأقاليم فى مواضعها ووقوع جمليات البلاد حيث وقعت شرقاً وغرباً ، وهى ناقصة أيضاً من النسخة الأخرى المحفوظة بالدار أيضاً برقم (٥٦٢ معارف عامة)

والصفحات : ٣٠٨ - ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٤١ ، ٣٤٤ وتشتمل على رسوم جغرافية لا كتابة فيها ، وهى من نسخة (٥٥٩ معارف عامة) أيضاً والصفحات المكررة فى هذه النسخة هى :

١٨١ ، ١٨٢ ، ٢٣٧ ، ٢٤٥ ، ٢٦٦ ، ٢٨١ ، ٢٨٣ ، ٢٨٥ ، ٢٨٧ ،

والأرقام الناقصة من هذه النسخة هى :

٢٩٨ ، ٢٩٩

ص ٦ وبها رسم دوائر الرياح ، وص ٧٥ وبها رسم الكعبة ، وص ١٠١ وبها صورة الأفلاك بما فيها من العناصر الأربعة ، وص ١٦١ وبها صورة مشجرة يعرف منها مسافات الممالك المتباينة ، وص ١٦٣ بها رسم جغرافى .

والجزء السادس عشر ينقص من (ص ٤٥٦ — ٤٨٠) .

(الأجزاء الموجودة بمكتبات مصر) .

الموجود بالخزانة التيمورية :

يوجد جزء من هذا الكتاب بالخزانة التيمورية مكتوب سنة ٧٤٩ هـ، به خروم ، ويبتدئ من تراجم الصوفية والزهاد إلى تراجم الوزراء والكتاب ، وهو محفوظ برقم (١٣٧٧ تاريخ ت) .

ويقابله الجزء الثامن من النسخة المحفوظة بدار الكتب برقم (٥٥٩ معارف عامة).

الموجود بمكتبة بلدية الإسكندرية :

يوجد بمكتبة الإسكندرية الجزء الثانى عشر ، وفيه الكلام عن المحار إلى جرادة البحر ، ثم الكلام عن النبات ، ويشتمل على جميع أشكال النبات ، وهى مصوّرة بالألوان . ومحفوظ برقم (٣٣٥٥ ج) .

ويقابله الجزء الثالث عشر من النسخة المحفوظة بدار الكتب برقم(٥٥٩ معارف عامة).

الموجود بمكتبة سوهاج :

ويوجد جزء بمكتبة سوهاج مكتوب سنة ٨١٠ هـ فى ٩٦ صفحة وهو محفوظ برقم (١٨٥) .

(الأجزاء الموجودة بمكتبات أوربا)

المكتبة الأهلية بباريس :

ويوجد بالمكتبة الأهلية بباريس الجزء الرابع عشر ، ويتكلم فيه عن الشعراء من العصر الجاهلى إلى القرن الأول الهجرى ، وهو محفوظ برقم (٢٣٢٦) وعدد أوراقه ١٧٧ ومسطرته ١٧ سطراً ، ومخطوط فى القرن الخامس عشر الميلادى .

ويقابله الجزء التاسع من النسخة المحفوظة بدار الكتب برقم (٥٥٩ معارف عامة) .

ويوجد بها أيضاً الجزء السابع عشر ، ويتكلم فيه عن الشعراء المغاربة من القرن الرابع الهجرى إلى عصر المؤلف ، وهو محفوظ برقم (٢٣٢٧) وعدد أوراقه ٢١٨ ومسطرته ١٩ سطراً ، ومخطوط فى القرن الرابع عشر الميلادى .

ويقابله الجزءان الحادى عشر والثانى عشر المحفوظان بدار الكتب برقم (٥٥٩ معارف عامة) .

ويوجد بها أيضاً الجزء الثالث والعشرون ، ويتكلم فيه عن تاريخ الإسلام وحوادثه من سنة ٤٥١ — ٧٤٤ هـ ، وهو محفوظ برقم (٢٣٢٨) وعدد أوراقه ١٥٠ ومسطرته ٢٣ سطراً ، ومخطوط فى القرن الرابع عشر الميلادى .

ولا ندرى هل هذا الجزء كاملاً أو ناقصاً .

ويقابله الجزء السادس عشر من النسخة المحفوظة بالدار برقم (٥٥٩ معارف عامة).

ويلاحظ كما ذكرنا سابقاً أن هذا الجزء ينقص من (ص ٤٥٦ — ٤٨٠) .

ويوجد بها أيضاً الجزء الثالث ، ويتكلم فيه على الهند والسند ، وهو محفوظ برقم (٢٣٢٥) وعدد أوراقه ٢٣١ وحجمه ٢٧ فى ١/٢ ١٨ سم ، ومسطرته ١٧ سطراً ، مخطوط فى القرن الخامس عشر الميلادى .

الموجودة بمكتبة برلين :

ويوجد جزء بمكتبة برلين ، ويتكلم فيه عن قبائل العربان من مصر إلى أقصى المغرب ، وهو محفوظ برقم (٩٣٨٠) .

ويقابله الجزء الثالث من النسخة المحفوظة بالدار برقم (٥٥٩ معارف عامة) .

هذا وصف شامل لما تحتويه هذه الموسوعة النفيسة من شتّى العلوم المختلفة ، والفنون المتنوّعة ، والآداب المتفرّعة ، مما تناثر بعضه فى مئات الكتب العربية التى كانت موجودة وعامرة بها مكتبات مصر ودورها فى عصر المؤلف ، وكانت فى متناول يديه ، لأنه كان يشغل أكبر وظيفة فى عصره ، وهى « رياسة ديوان الإنشاء » ومؤلفه النفيس المطبوع فى المراسيم والمكاتبات السلطانية وهو : « التعريف بالمصطلح الشريف » يدل على علوّ شأنه ، ومركزه السامى .

وفهرس واف يهتدى به من يريد الرجوع إليها من العلماء الباحثين ، والأدباء والكتّاب والمؤرخين .

ولقد كانت المكتبات العربية فى مصر زاخرة بمثل هذه الموسوعة القيمة وغيرها من نفائس المخطوطات النادرة المثال ، والذخائر الثمينة القليلة الوجود ، وهى بخطوط مؤلفيها ، قادة الفكر العربى ، فى العصور الإسلامية ، إلى عصر المؤلف ، وظلت هذه الكتب فى أماكنها إلى أن جاء الفتح العثمانى فى عهد السلطان سليم فنهب ما فى هذه المكتبات من الدرر الغوالى التى لاتقدر بثمن ، واللآلىء الثمينة وأخذها معه حين خروجه من مصر ، ولم يكتف بهذا بل أخذ معه مهرة الصناع والعباقرة فى كل فنّ من العرب المصريين إلى الآستانة .

الباب السادس

زخرفة المصاحف الشريفة وتجميلها وتحليتها والكتب الدينية

والصور الدينية أبعد ما تكون عن أذهان المسلمين، ولذلك لا تجد شيئاً منها فى كتبهم الدينية على اختلاف موضوعاتها . ومن غريب ما يوجد منها من هذا القبيل ثمانى صور خيالية منشورة فى كتاب « الميزان الكبرى » فى الفقه الشافعى للعلامة الشيخ عبد الوهاب الشعرانى ، وهو مطبوع فى بولاق سنة ١٢٧٥ هـ (١٨٥٨ م) وقد مثل فيه صوراً فى ذهنه لعين الشريعة وفروعها ، والصراط لمن استقام فى دار الدنيا ومن اعوجّ ، وقباب الأئمة ونحو ذلك مما لا نعرف له مثيلاً فى غير هذا الكتاب .

ومنه نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب والوثائق القومية ، بقلم على بن سليمان ، كتبها سنة ١١٠٦ هـ (١٦٩٤م) وهى برقم (٤٧ فقه شافعى م) . وقد نقلنا منه صورة .

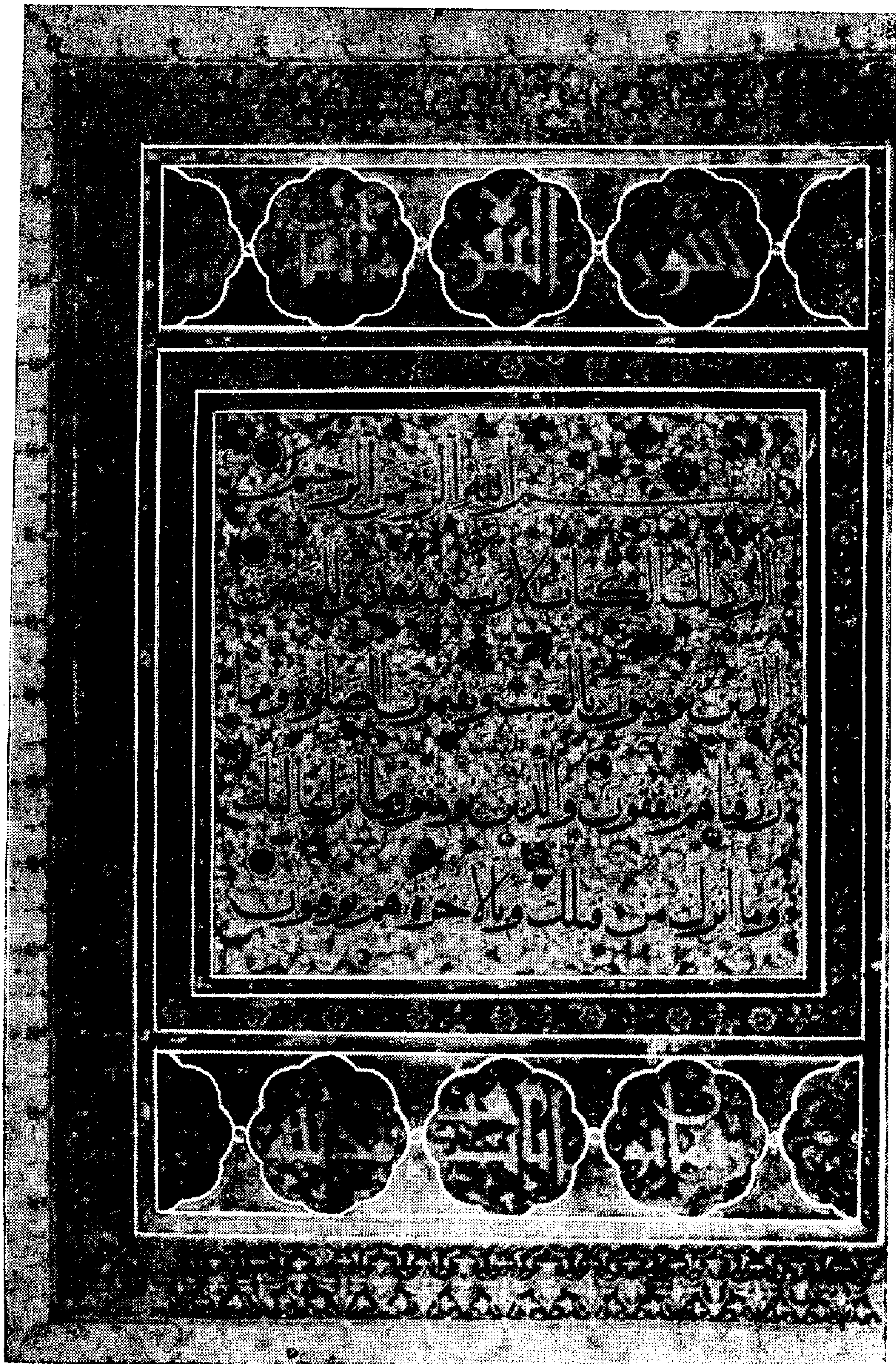
* * *

ويدخل تحت هذا القسم تحليتهم المصاحف الكريمة وتجميلها بنقوشهم البديعة ، ورسومهم الدقيقة ، وخطوطهم الجميلة ؛ وإلى القارئ وصفها :

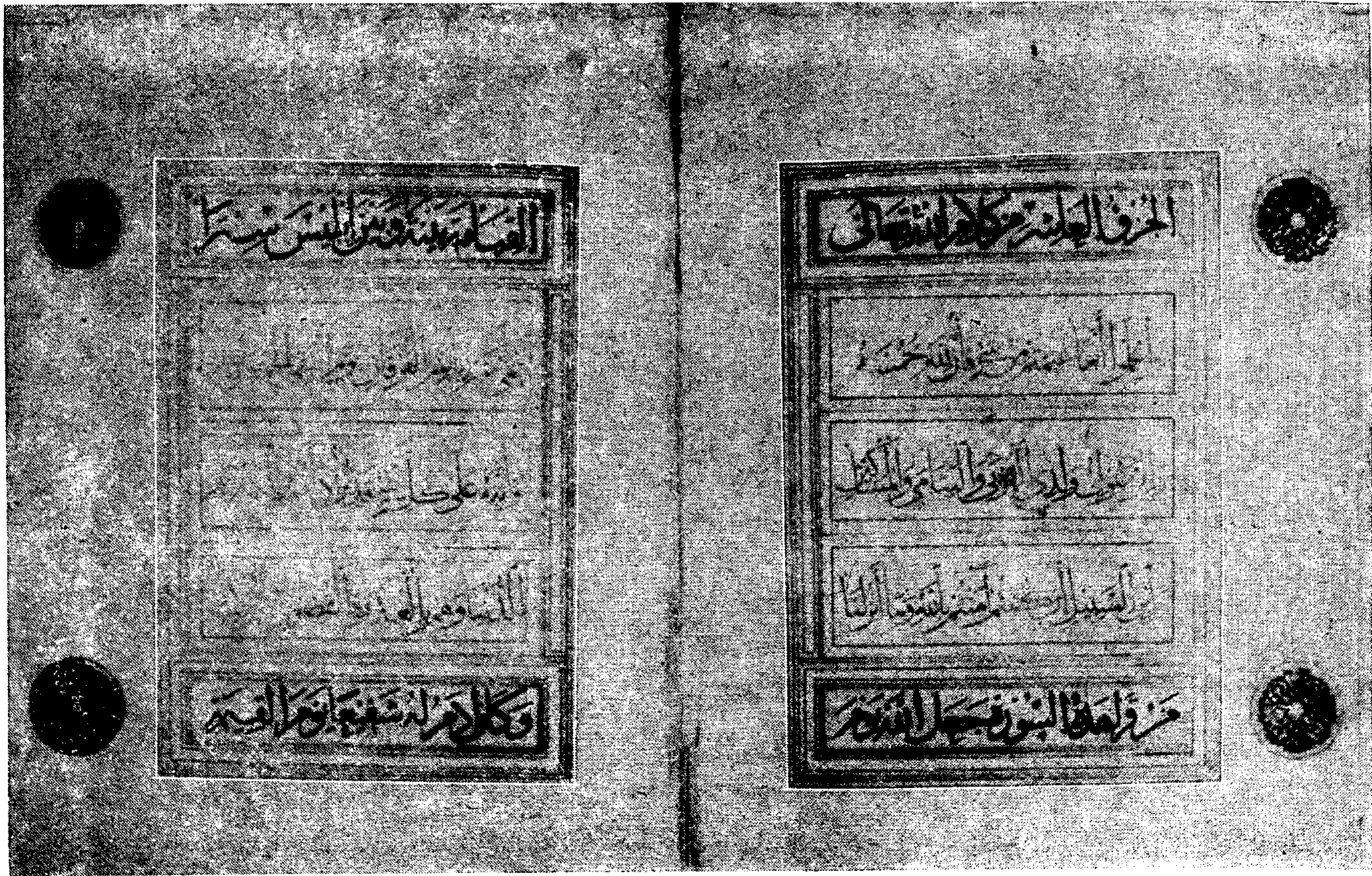
العناية بكتابة المصاحف وتجميلها وزخرفتها

قد عنى المسلمون فى كتابة القرآن الشريف بأنواع الخطوط المختلفة وحفظه عناية كبيرة ليس بعدها غاية .

فكتبوه على صفائح الذهب والفضة ، وعلى صفائح العاج وطرّزوا آياته بالذهب والفضة على الحرير والديباج ، وزينوا بها محافلهم ومنازلهم ، ونقشوها على الجدران فى المساجد والمكاتب والمجالس .



أول صفحة من سورة « البقرة » وهى مدنية وآياتها ستة وثمانون ومائتان من مصحف « السلطان شعبان» فى العصر المملوكى سنة ٧٦٤ هـ (١٣٦٦م) وهو من أجمل وأبدع ما ذخر به معرض دار الكتب والوثائق القومية .



صفحتان من القرآن الشريف المخطوط بمعرض دار الكتب والوثائق القومية وهما مكتوبتان بخط الثلث الجَلِي" وكذا أوائل الأجزاء وهى منقوشة ومزخرفة بالنقوش العربية البديعة الرائعة .

وثيقة تاريخية هامة تحمل خطاب النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس عظيم القبط بمصر

ورسموه بكل الخطوط وأجملها على كل أصناف الرقوق والجلود والكواغد[١] بالأدراج والكراريس والرقاع بأصناف المداد وألوانها ، وملأوا بين الكلام بالذهب .

وكان الخلفاء والأمراء والسلاطين يتبركون بكتابة المصاحف بأيديهم ويحفظونها في المساجد أو نحوها .

وفي دار الكتب والوثائق القومية أمثلة كثيرة من المصاحف المخطوطة المتنوعة الأحجام ، المختلفة الخطوط ، فهي بمعظم الأشكال المذكورة ، من القلم الكوفي الخالي من الشكل والإعجام إلى تمام الإعجام والشكل وما بينهما .

وفي قاعة معرض دار الكتب مجموعة نفيسة قيمة من مصاحف « القرآن الشريف » بعضها مكتوب بأنواع من الخطوط الكوفية يرجع عهد أقدمها إلى أواخر القرن الأول للهجرة ، وبعضها من دولتي المماليك البحرية والبرجية الذين ملكوا مصر من أثناء القرن السابع إلى أوائل القرن العاشر للهجرة ، وهي من الذخائر الثمينة والنفائس النادرة التي لم تصل إليها أيدي العثمانيين ليأخذوها ضمن ما نهبوه من الكتب النفيسة والدرر الغالية التي تقدر الآن بملايين الجنيهات عند خروجهم من مصر[٢] .

---

(١) الكواغد جمع كاغد ، وهو لفظ فارسي . وقد كان لهذه اللغة الفارسية تأثير يذكر في العربية أيام العباسيين ، لأن الفرس هم الذين رفعوا قواعدها ، وشادوا دعائمها . وكان رجالاتهم المدبرون لأمرها في أول قيامها ، ثم في أيام الخليفة السابع ، وهو المأمون بن هارون ، وفي أيامه أخذوا أيضاً عن الروم علومهم ومعارفهم ، فنقلوا لفظة Carta اليونانية وعربوها وهي بصيغة الجمع فقالوا : « قرطاس » والغريب في هذا الموضوع أن أئمة اللغة نصوا على أن « القرطاس » يقال « بضم القاف أو بكسرها » وأجمعوا على أن الفتح لم يقل به أحد . وهو أمر غريب فإن الفتح أقرب على اللسان وأقرب إلى الأصل . وهذه اللفظة عربها المصريون في أيام محمد علي في ضمن الاصطلاحات الجغرافية فقالوا : « خرطة » محاكاة للتلفظ على الطريقة اليونانية للدلالة على المصورات الجغرافية التي يسميها « ابن فضل الله العمري » في موسوعته مسالك الأبصار : «بلوح الرسم » والتي ورد اسمها في بعض نسخ نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للشريف الإدريسي هكذا : « لوح الترسيم » . وأنا أظن أن هذه اللفظة من تحريف النساخ أو المساخ ، وأن صحتها « لوح الرسم » كما رأيته في موسوعات ابن فضل الله ؛ ثم إن المتقعرين في اللغة حرفوا لفظة « خرطة » فقالوا : « خريطة وخرائط » وما دروا أن ذلك الاسم موضوع لجعبة الراعي ، ولكن قد كان ما كان اهـ (من تعليقات أستاذي شيخ العروبة المرحوم أحمد زكي باشا في مقال نفيس عن الكتابة والكتب ودورها نشره في المجلد الخامس من المقتبس ص ٣٨٥) .

(٢) لما وصل الجيش العثماني بقيادة السلطان سليم إلى ضواحي القاهرة بعد استراحتهم من متاعب عبور الصحراء وقعت معركة في صحراء الريدانية (قرب العباسية الحالية) اشترك الشعب مع الجيش في الدفاع عن القاهرة في هذه المعركة التي دارت رحاها في آخر ذي الحجة سنة ٩٢٢ هـ (١٥١٦ م) ، واستبسل=

ولم يكتفوا بذلك ؛ بل أخذوا معهم مهرة الصناع من المصريين ، ونوابغ الفنانين فى شتى الصناعات ، والعباقرة الذين خلدوا بأعمالهم الرائعة فى مصر آثاراً عظيمة تنطق بعبقريتهم الفذة ، وهى باقية على مر العصور ، وكر الدهور .

ومصاحف هاتين الدولتين المحفوظة الآن بمعرض « دار الكتب والوثائق القومية » يعجب الناظر إليها بهجة خطوطها ، وإبداع نقوشها ، وجودة رسومها ، وحسن جلودها .

وبالجملة فهذه المجموعة الثمينة النادرة المثال ، القليلة الوجود ، قل أن يوجد فى مكتبة من مكتبات العالم مقدار منها كالموجود فى هذا المعرض .

ومن غرائبها مصحف شريف كتبه عبد الرحمن بن الصائغ الخطاط الماهر الشهير فى آخر الدولة البحرية وأول الدولة البرجية قال فى آخره : إنه كتب هذا المصحف بقلم واحد فى مدة لا تتجاوز الستين يوماً . وفرغ من كتابته سنة ٨٠١ هـ (١٣٩٨ م) .

وقد نقلنا بعض أوائل الصفحات من هذه المصاحف الشريفة وحلينا بها بعض المواضع فى هذا الكتاب عند ذكر مناسباتها .

وفى قاعة المعرض أيضاً طائفة ثمينة ومجموعة نفيسة يجدر بالمتتبع للمخطوطات العربية ، والنقوش الشرقية والتصاوير الدقيقة ، والرسوم البديعة البهجة النظر إليها ، والاهتداء بها فى معرفة ما بلغته الأمة العربية من الحضارة والمدنية فى العصور الإسلامية فى كل علم وفن مما يشهد لها بالتفوق على جميع الأمم .

ومما يستحسن ذكره بمناسبة الكلام عن تصوير وتجميل وتحلية الكتب العربية وتزويقها وزخرفتها فى عصر الإسلام الكلمة الرائعة التى كتبها الباحث الفنى الدكتور أحمد موسى ، ونشرها بمجلة « منبر الإسلام » عدد شوال سنة ١٣٨٤ (٢ فبراير سنة ١٩٦٥) بعنوان : «تزويق المخطوطات الإسلامية » .

=القاهريون فى الدفاع عن مدينتهم ، ولكن الفوزكان فى جانب العثمانيين على الرغم من المقاومة الشعبية الصادقة التى اشترك فيها الرجال والنساء .

وفى هذه الوقعة التى انتصر فيها السلطان سليم كان انتهاء دولة الجراكسة واستولى على القاهرة ، وخطب له بالمنابر ، وتولى الخطابة والصلاة به فى أول جمعة الشيخ محب الدين الطوخى بالجامع الأزهر . (راجع الدرر الفرائد المنظمة فى أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة فى حوادث سنة ٩٢٢ هـ) .

«أتى على الباحثين فى تاريخ الآثار والفنون الإسلامية حين من الدهر قصروا فيه جهودهم على درس ما كان بارزاً من تلك الفنون للعيان من المبانى والآثار الظاهرة ذات الوجود المادى الضخم ، مما شاهدوه من المساجد والمنائر والعمائر وكل ما بناه رجال التاريخ الإسلامى ليتخير مكاناً بيناً فى نظر الحاكمين والمحكومين ، لأن الفن كان ذا صفة يأبه لها رؤساء الدول والملوك والأمراء وأهل الرأى ويجيزون عليه أربابه ، فلم يكن للفنان المسلم مجال يظهر به الفن لعامة الشعب، بل كان كل همه أن يتقدم رجل عظيم بثمرة نبوغه الفنى ليكافئه عليها . كما أن العظماء والملوك اتخذوا عادة تشييد البناء وما يتبعها من التزيين والتزويق والتأثيث تخليداً لأسمائهم وذكر عهودهم وما اشتهروا به من الغنى والقدرة على تسخير المواهب فى تمجيد الدين تارة والمجد الدنيوى تارة أخرى .

وعندما انبرى مؤرخو الفنون الإسلامية إلى تقسيمها وتبويبها وتحديدها بعد انتشار الاستشراق فى أنحاء أوربا المتحضرة ، وبعد أن طاف فريق كبير من علماء المشرقيات بلاد الإسلام وعادوا بدراسات متوافرة ومثل للآثار التى وقعت أبصارهم عليها ودرسوها فى حواضر الشرق القريبة والبعيدة ، طبق فريق منهم على تلك الفنون القواعد التى اتبعها علماء الفن الأوربى فى ترتيب الآثار ، فجعلوا أقساماً خاصة للعمارة ، وأخرى للنحت والرسم البارز والحفر، وثالثة للتصوير ، وغيرها لأنواع التزويق والتحلية والزخرفة .

وكان هؤلاء العلماء يزعمون أن الدين الإسلامىّ يحرِّم التصوير مع أنهم رأوا آثاره ، ومع أن الدين لم يكن ليمنع هذا الفن إلا من ناحية واحدة خشية أن يتجه التأويل إلى عبادة الأصنام . هذا فى الوقت الذى لا يوجد فيه نصّ يتنافى مع تقدير الجمال الخالص الذى كانت نفس — النبى صلى الله عليه وسلم — والصحابة رضى الله عنهم مشبعة به ، بدليل ما ورد من الآيات والأحاديث والتفاسير فى تمجيده .

وجعل المؤرخون التصوير مقصوراً على تلك الآثار، ثم فحصوا كثيراً من المبانى الإسلامية بزخارفها وما فيها من نجارة وقاشانى وأشغال معادن، كذلك ما كان على الحلىّ والحلل وفى الأقمشة من الخزّ والديباج والإستبرق من تطريز وكتابة وصور . هذا إلى جانب دواوين الشعر التى لم يجد المسلمون مانعاً من تحليتها بتصاوير عجيبة للنبات

الذى اتخذوا منه وحدات زخرفية كالأزهار والسنابل والأشجار ، والحيوان كالسباع والغزلان والظباء والطيور والأسماك ، ولكنه لوحظ أن الفنان أمسك يده حينما وصل إلى تطوير الإنسان ، لا خشية الكفر ولكن خشية الملام والفتنة . واستمرّ الإمساك عن تصوير الإنسان حيناً حتى ازدهر الإسلام فى بغداد ، فترى أحد المصوِّرين من الفرس يزين قصر أحد الملوك المسلمين فى بغداد بفصول من قصة يوسف وزليخا توضيحاً وشرحاً لديوان الشيرازى الذى جعل من تلك السورة القرآنية ملحمة شعرية أتى فيها على وصف الغرام الذى كان مستولياً على فؤاد تلك الأميرة المصرية نحو ذلك النبىّ (يوسف عليه السلام) .

إلا أن هناك جانباً من الفن الإسلامى لم يلتفت إليه كثيراً ، قد اهتدينا إليه وهو ما زيِّنَت به كتب العلماء والمؤرخين والجغرافيين والأدباء من الصور التوضيحية فى الكتب وكان أوّلها القرآن الكريم الذى بذلت الجهود فى تزويقه وتحليته ، وإن لم يكن بنصوصه فى حاجة إلى التجميل والتزويق . ولا تزال نسخ عدة منه الزينة الكبرى والحلية المثلى لكثير من المتاحف ودور الكتب فى الشرق والغرب ، التى اتخذت وجوده فيها مفخرة وبهجة ودليلاً على الغنى الفنى والثروة الأدبية .

ولم يكن فى استطاعة بعض المتزمتين من رجال التفسير أن يمنع فريقاً من الفنانين من إدخال التصوير فى الكتب[1] ، بدليل ما جاء فى مقامات بديع الزمان المتوفى سنة ١٠٠٧ م ومقامات الحريرى (١٠٥٤ — ١١٢١ م) التى تجلى فيها التصوير بالألوان لتمثيل مغامرات البطل المشهور أبى زيد السروجى وغيره . وشمل غيرهما من الكتب ككليلة ودمنة ، وبعض أجزاء الأغانى للأصبهانى (٨٩٧ — ٩٧٦ م) وألف ليلة وليلة ، كثيراً من الصور الرائعة التى دلت إلى حدّ بعيد على الدقة والتزويق .[2]

ولا يمكننا أن ننكر أن فنانى الفرس كانوا أسبق إلى التصوير من سواهم ، فقد أعطاهم الشعراء الفحول كالفردوسى المولود سنة ٩٣٩ م ، وعمر الخيام المولود فى القرن الحادى عشر ، والسعدى (١١٨٤ — ١٢٩١ م) وحافظ المتوفى سنة ١٣٨٩ م

---

(١) أثبتنا فى أول هذا الكتاب « الفتوى الشرعية » الصادرة من « دار الإفتاء » باسم فضيلة الأستاذ الجليل « الشيخ أحمد هريدى » مفتى الجمهورية العربية المتحدة بجواز تصوير مثل هذه الأشياء .

(٢) أثبتنا الصور الواردة فى هذه الكتب فى صفحات هذا الكتاب بمناسباتها .

وغيرهم ، موضوعات منوّعة توحى إلى المصوِّر فكرة الرسم لتوضيح النصوص . فالشاهنامة وحدها وهى تنطوى على جزء عظيم من تاريخ إيران أشبه بإلياذة هوميروس ، وفيها من أخبار الملوك والأمراء وخدع الحروب وحيل السياسة ووصف الأقطار ومواقع البلدان وجمال المناظر وفتنة الجبال والوديان ما جعل التصوير فيها أمراً محتماً وكذلك ما ورد فى شعر السعدى من النوادر والقصص فى بستان الورد ، دع عنك رباعيّات الخيّام وما اقتضته من تصاوير تمثل الشاعر الفنان المحبّ للخمر المفتون بالجمال ، المسحور برشاقة التكوين الجسمانى ، وهو يطرق باب الحان ليوقظ رفاقه لمعاقرة أقداح الشراب قبل بزوغ ألوان الفجر ، فلم يكن للمصوّر بدٌّ من الخضوع لذلك الإلهام الشعرىّ الموسيقى القوى فى سبيل الحب واندفاع النفس . وهذا هو الذى حدا بالمصوّرين إلى تصوير الإنسان فى أوضاع مختلفة أهمها أوضاع الحرب والحب والتى أثبت فيها أنه قد أوتى من نقاوة الإلهام وطهارة الروح وسموّ الخيال وتمجيد الجمال ما جعل صورته آية فى العفة وجميل الظن مع اجتماع الحسن بالشغف الظاهر فى أعين المحبين .

ومن أجل هذا كله وجب على القارئ كلما قلّب بين يديه كتاباً إفرنجيًّا مصوّراً أو مزيناً بالرسوم أن يتذكر أن هذا الفن ، وهو توضيح النصوص بالتصاوير ، إنما هو اقتباس من فنّ شرقىّ قبل كل شىء . وأن الذى فكر فى تزيين دواوين الشعراء وكتب القصص والتاريخ والجغرافيا والعلوم بالصور كانوا من أهل الشرق كالفرس والهنود وبعض السوريين ، فى الوقت الذى لا ننكر فيه على بعض علماء اليونان الكلاسيكيين أنهم وضحوا كتباً من تأليفهم برسوم تعين على فهم النصوص دون أن يكون لهذا أثر كبير فى ابتكار المشارقة لفنون تزويق الكتب وتجميلها وتحليتها.

وإننا لا نذكر أن هذا البحث لا يزال بكراً لم تتجه إليه الأنظار ولم يطرقه باحث ، كما أننا لا نذكر أنه كتلك الموضوعات التى سبق البحث فيها فلا تكلف كاتبها مجهوداً كبيراً ، وإنما نذكر أنه قد آن لنا أن نخط خطة أخرى فى دراسة الآثار الإسلامية فندرس الطريف الجديد . ولما كانت العلوم التطبيقية أول ما اتجه إليه نظرنا فى هذا البحث بالإضافة إلى مجموعة المصاحف المخطوطة ، وكان أقدم المخطوطات فى هذا الموضوع حسب ما عثرنا عليه كتاب إلى أبى زيد البلخى (نسبة

إلى بلخ فى جنوب أفغانستان) رأينا أن نبدأ بتعريف إحدى صوره وهى صورة العراق فى زمانه والتى قصد بها أن تكون خريطة لتلك البلاد ، وهى الخريطة التى اصطحبها ياقوت الحموى (١٢٧٩ – ١٢٩٩ م) أثناء رحلته فى سوريا وفلسطين كما ذكر ذلك فى إرشاد الأريب ، عندما نوّه بذكر كتاب البلخى مما يدل على قيمته فى عهده [١] .

وقد جعل البلخى للأنهار صورة تشبه الخطوط الغليظة المهشرة رمزاً للماء ، وأحاط المدن والمعالم بدائرة تحدد القطر المقصود بالوصف ، ورسم نهر دجلة وشطه فقسم البلاد إلى قسمين ، وأظهر مصبه فى الخليج الفارسى عند شط العرب ، ورمز للمدائن بمربعات ومتوازيات أضلاع ودوائر ذات مساحات مختلفة تتناسب على ما يظهر مع قيمتها المدنية ، ولا يضيره أنه جعل الخريطة بأكملها منحرفة نحو خمس وأربعين درجة على الأفق . ومن المدن الواضحة على الخريطة بغداد والبصرة كما يتضح من النظر إليها .

والخريطة الثانية مختارة من كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق للشريف الإدريسى المولود حوالى عام ١١٠٠ وهو من أمهات الكتب فى علم وصف الأرض ومن أبرزها تأليفاً وأعرقها أثراً منذ القرون الوسطى .

وقد نقل الكتاب إلى كثير من اللغات الأوربية ولا سيما اللاتينية والإيطالية والفرنسية ، وضعه الإدريسى تلبية لرغبة الملك رودريجو « روجر الثانى ١٠٩٧ – ١١٥٤ م) ملك صقلية ونابولى ، الذى كلفه بعد دعوته إلى بلاطه وضع هذا الكتاب وفرغ من تأليفه فى منتصف القرن الثانى عشر المسيحى . والمؤلف عالم مغربى من مواليد ثغر سوتيا ، ذو ثقافة عربية أندلسية وذهن أوربى ، وكان فى مقدمة الرحالة الجغرافيين الذين جابوا الأقطار ، وهو سابق على الرحالة ليفنجستون (١٨١٣ – ١٨٧٣) والرحالة ستانلى (٨٤١ – ١٠٩٤) وغيرهما من الذين قرروا أنهم كانوا أوّل من اكتشف منابع النيل ، ووضعوا هم ومن سبقهم أسماء ملوكهم وأمرائهم على البحيرات التى رسمها الإدريسى فى إحدى خرائطه الفذة لسبعة قرون قبل مولد

---

(١) هذه الخريطة وما ذكره ياقوت فى معجمه (إرشاد الأريب) بشأنها ، وهى منقولة من كتاب (صور الأقاليم السبعة) لأبى زيد البلخى ، وهو أول مصور جغرافى فى الإسلام ، وهو محفوظ بدار الكتب والوثائق القومية تحت رقم (١٩٩ جغرافيا) أثبتنا ها فى مؤلفنا (أبو الفرج الأصبهانى وكتابه الأغانى) ص ٢٦ الذى نشرته دار المعارف سنة ١٩٥٢ م .

هؤلاء المستكشفين ، فبينما ترى بحيرتى فيكتوريا نيانزا (أصلها أوكانيانزا) وألبرت نيانزا (أصلها موتان تزيجا) اللتين تتكونان من المياه المنحدرة من جبال القمر قد تغير اسماهما فى الجغرافية الحديثة ، لا ترى الإدريسى يفكر فى إطلاق أسماء بعض خلفاء المسلمين أو أمرائهم على تلك البحيرات التى لا يبعد أن يكون قد رآها بعينيه كما رسمها بيده ، وترى نهر النيل بعد تدفقه من تلك البحيرات والتفافه فى وادى السودان وعبوره القطر المصرى ليصب فى البحر الأبيض المتوسط الذى هو جزء من بحر هائل أحاط بالخريطة الشاملة لبقع بيضاء تمثل الجزائر وأشباهها .

وإذا انتقلنا إلى فنون المقاتلة التى كانت ولاتزال شاغلة لأذهان كبار الشخصيات والفرسان ، نجد سفراً شاملاً لطرقها وقواعدها اسمه كتاب « السؤال والأمنيّة فى أعمال الفروسية » لمحمد بن زين الدين العثمانى ، يرجع تاريخ تأليفه إلى القرن الخامس عشر الميلادى ، وهو مزيّن بتصاوير توضيحية لفصوله وترى صورة فارسين وقد امتطى كل منهما ظهر جواده وربط ذيل كل منهما بالآخر حتى لا يفترقان ولا يبتعدان ، فيتمكن كل فارس من مبارزة خصمه ووقف الجوادان على أرض مزروعة ذات زهر . وكان المصوِّر حريصاً على تجميل الخيل وسروجها .

ومهما يثبت نجاح المسلمين فى العلوم الفلكية والميكانيكية التى بنى عليها فن التوقيت بالساعات بعد المزاول ، ما تراه فى الصورة الرابعة المنقولة من كتاب علم الساعات والعمل بها ، تأليف رضوان بن محمد الخراسانى ، والتى تمثل دائرة وساعات الليل فى نصفها الأعلى حيث ترى قنديلاً معلقاً بسلك رفيع بينما ظهرت ساعات النهار فى النصف الأسفل منها . وإلى اليسار ثقلان معلقان بسلك آخر ، أحدهما توسط ارتفاع الصورة والآخر قريب من أسفلها ، وهما متصلان بالسلك المرتكز على بكرة فى الركن الأعلى الأيسر . وعند الثقل الأسفل تشاهد طيراً كان المقصود منه أن ينقر بمنقاره لتحديد الوقت . أما المجارى الرفيعة التى توسطت الصورة حيث النقط البيضاء المستديرة ، فهذه كانت طريقاً لأثقال تمرّ منها فى أوقات معينة ، مارة بفتحة فى رأس الطائر الذى ترى عند قدميه وعاء نصف مستدير لجمع هذه الأثقال .

وصورة أخرى مأخوذة من كتاب « السر الروحانى » فى علم الكيمياء القديمة الذى يرجع تاريخ تأليفه إلى القرن السابع عشر الميلادى ، وكتب فيها : التسويد فى جميع

الطبايع فى العمل الأول ، وبالنظر إليها ترى رأس الغول فى الركن الأعلى الأيسر ، وهو عبارة عن وجه مستدير لآدمىّ له عينان واسعتان مستديرتان وأنف أفطس وأسنان فظيعة وإلى جانب عقاب وأنف على قوس آخر على شجرة مثمرة ،وهو أسود اللون .
قال المؤلف :

« وقد طار الناس من هذا السواد الأول ، وأما الغراب الثانى فمنقاره أحمر ، وفى وسط الصورة على اليسار ترى رجلاً قد وقف إلى فرن ، ووضع على رأسه غطاء أشبه بالقاووق وأمسك بيسراه شيئاً يخيل إلينا أنه بوتقة ليصهر فيها المعادن الخسيسة بقصد تحويلها إلى ذهب . وفى الوسط غراب أسود حالك السواد ، وطير مقفص على اليسار ، وعند ذيله وعلى عين الصورة تشاهد حوضاً رقد فيه إنسان بعينين مفتوحتين ورسمت أعضاؤه بكيفية لا تخرج عن طريقة رسم التوصيلات الكهربائية اليوم ، وكتب إلى جانب الحوض حمام مارية حيث تسلب روح الإنسان بطريقة السالب والموجب .
أما الركن الأيسر فملىء بصور الآلات والأدوات إلى جانب الرموز الكيميائية القديمة » .

كل هذا إلى جانب صفحات من القرآن الكريم زينت أجمل تزيين ورسمت على أعظم جانب من الدقة والعناية ، ذات ألوان أخاذة تسحر الألباب نكتفى ببعض نماذجها فى هذا المقال (١) .

وينتج مما تقدم أننا قد اهتدينا بالبحث إلى باب جديد فى الفنون الإسلامية تناولناه بشىء من التسجيل العلمى لم تشرئب أعناقنا فيه إلى قباب المساجد ولا إلى رءوس المآذن ولا إلى سقف العمائر لنجده ، ولكنا وجدناه فى الكتب المهملة والكنوز المتروكة حيث نجد فى البحث والتنقيب عن معالم جديدة للحضارة الإسلامية العظيمة المسجلة عن طريق الفن فى مؤلفات المسلمين ، الشاملة لعلوم الطب والنبات والحيوان مما لا يتسع المجال لذكره وإيضاحه ، فإن كتبنا اليوم عن تزويق الكتب الإسلامية بالرسم والتصوير فإننا نكتب لنساهم فى إظهار عظمة الحضارة الإسلامية عن طريق التسجيل الفنى مؤملين أن يتناول المسلمون فى نهضتهم الحاضرة وثورتهم المجيدة مؤلفات أجدادهم بتلك الروح التى تناولها بها أهل أوربا ، فيكون لنا بعث وإحياء لا يقلان عن بعث وإحياء أوربا فى عصر النهضة » اهـ .

(١) أثبتنا فى صفحات هذا الكتاب كثيراً منها

تذهيب المصاحف

كما يجدر بنا أن نذكر فى هذا المقام أيضاً كلمة عن « تذهيب المصاحف » للأستاذ الفاضل الباحث المحقق الدكتور « جمال محرز » تعميماً للنفع ، وإتماماً للفائدة وقد نشرها سيادته بمجلة « منبر الإسلام » أيضاً .

« ليس من شك فى أن نسخ المؤلفات كان أفضل وسيلة لنشرها وتعميم الفائدة منها ، وظل الأمر كذلك إلى أن اخترع الإنسان الطباعة فحلت هذه محل النساخين ، وسهلت على الناس سبل الحصول على المؤلفات بما يسرت من طبع آلاف النسخ منها الأمر الذى لم يكن متوافراً فى العصور السابقة للمطبعة .

وقد حظيت بعض هذه المخطوطات بعناية أصحابها ، إذ لم يقتصر الأمر بهم على حرصهم على الحصول على مخطوطات جيدة الخط ، بل نراهم يعهدون بها إلى غير الخطاطين من الفنانين المسلمين وذلك لزخرفة صفحاتها بالرسوم أو تزيينها بالصور ، وأخيراً يدفعون بها إلى مجلد ليحفظها لهم بين دفتين حماية لها ووقاية من الضياع ، وشأنهم فى ذلك شأن محبى اقتناء الكتب الجميلة الذين يسعون لاقتناء أجمل الطبعات وأبهاها وأغلاها ثمناً ليزينوا بها مكتباتهم .

وزخرفة المخطوطات بالرسوم الجميلة البديعة الألوان التى اصطلح على تسميتها بالتذهيب لكثرة الذهب بين ألوانها ، تعدّ من أهم الميادين الفنية الإسلامية ، فهى توافق الميول الفنية الإسلامية من حيث حب استخدام الرسوم المسطحة ذات البعدين ، وبعبارة أخرى الرسوم غير المجسمة وهى من ناحية أخرى عامل هامّ فى دراسة تطور العناصر الزخرفية الإسلامية نظراً لأن كثيراً من هذه المخطوطات المذهبة مؤرخاً ، وفضلاً عن هذا وذاك ، تساعدنا على تاريخ كثير من التحف الإسلامية بمقارنة زخارفها بزخارف المخطوطات المذهبة .

والمعروف أن المصاحف كانت أولى المخطوطات التى وجهت إليها العناية والاهتمام ، ويروى أن سيدنا علىّ بن أبى طالب أوّل من ذهّب مصحفاً ، ولهذا نرى كثيراً من المصوّرين يفضل أن يلحق باسمه لفظ المذهّب بدلاً من مصوّر . ومن هنا ذهب بعض الناس إلى أن مكانة المذهب الاجتماعية كانت أعلى قدراً من مكانة المصوّر

خصوصاً وأن الإسلام كانت له نظرة خاصة تجاه التصوير أقل ما يمكن أن توصف به هو أنها نظرة كراهية له ، وكيف لا يكون للمذهب هذه المنزلة وهو الذى يزخرف ويزين تلك المصاحف التى تضم ما أنزله الله على عبده ورسوله محمد (صلى الله عليه وسلم) .

وكان التذهيب فى أول الأمر مقصوراً على أجزاء معينة من الصفحات مثل الأشرطة التى تفصل بين السور بعضها وبعض ، والفواصل بين الآيات القرآنية وبعض العناصر الزخرفية التى تدل على أجزاء المصحف وأقسامه كالنصف والربع وهكذا .

وكان الشريط أهم هذه الأجزاء جميعاً ، وشكله فى مبدأ الأمر مستطيل استطالة أفقية نظراً لأن المصاحف نفسها كانت مستطيلة فعرضها أكثر من طولها ، وقد زينت هذه الأشرطة بعناصر زخرفية مختلفة ، فنرى أحياناً المتشابكات والجدائل ، وأحياناً أخرى نجد رسوماً هندسية من دوائر أو أجزاء من دوائر تماس أو تتقاطع أو مربعات صغيرة تقلد رسوم الفسيفساء ومرة ثالثة نشاهد عناصر معمارية كالعقود والأعمدة مثلاً وقد يعلو هذه أو يتصل بها عنصر نباتى مجنح نقلاً عن الفن الساسانى .

والملاحظ أن عرض الشريط لم يكن منتظماً وبعبارة أخرى كان فى جزء منه أكبر عرضاً من باقى أجزائه فى بعض الأحيان ويحدث ذلك عندما تنتهى السورة فى وسط الصحيفة ، وفى هذه الحالة يعمد المذهب إلى جعل الشريط فى الجزء الخالى من الكتابة أكثر عرضاً عن غيره وذلك إما بتكرار العناصر الزخرفية أو رسم عناصر معمارية .

أما فواصل الآيات فكانت مجرد دوائر ، فى حين كانت علامات الأجزاء دوائر داخلها مربعات تتداخل مكونة أشكالاً نجمية يكتب بداخلها ما يدل على الجزء من المصحف .

واستخدم فى هذه الزخارف اللون الذهبى والأزرق والأخضر والأسمر ، وكانت الرسوم تحدد أولاً باللون الأسود . واستخدام اللون الأخضر الداكن والقرمزى والأصفر دليل على التأثر بالفن القبطى لأن هذه الألوان كانت شائعة فيه .

ويبدأ فى القرن الثانى الهجرىّ – الثامن الميلادى – كتابة أسماء السور داخل الأشرطة بحروف من الذهب ، ولا تختلف العناصر الزخرفية بالأشرطة كثيراً عن زخارف القرن السابق إلا أنها تأخذ فى الدقة والتعقيد ، وفى بعض الأحيان كانت هذه الزخارف شبيهة بما نجده على المنسوجات التى ترجع إلى نفس القرن الذى ينسب إليه المخطوط . ونشاهد أحياناً رسوماً نباتية طبيعية .

ثم تزداد العناية بعد ذلك بالمخطوطات ولا يقتصر أمر زخرفتها على هذه الأجزاء من الصفحات بل نوجه العناية إلى الصفحات الأولى من المخطوطات فتزخرف جميعها . وهنا نجد هامشاً يحيط بالصحيفة له زخارفه ، أما المساحة المحصورة بين الشريط والتى تشتمل على عنوان الكتاب واسم مؤلفه أو الصفحة الأولى من المؤلف فكانت لها زخرفتها أيضاً .

ففى الحالة الأولى أى صحيفة العنوان نجد المساحة تقسم إلى مناطق يكتب داخلها اسم الكتاب واسم المؤلف وتزخرف بالرسوم النباتية أو الهندسية المختلفة . أما فى الحالة الثانية أى الصفحة الأولى من المخطوط فإن الفراغ المحصور بين الأسطر كان يزخرف بالرسوم المختلفة ، فنجد نباتات وأزهاراً ، وقد ترسم هذه الوحدات داخل إطارات تتبع فى تحديدها رسوم الحروف والكلمات ، أى أنها غير مستقيمة أو غير منتظمة فهى مرة تعلو وأخرى تهبط بحسب الحروف . وقد يصحب هذه العناصر الزخرفية رسوم السحاب الصينى الذى انتقل إلى الشرق بعد الغزو المغولى .

وقد لا يقتصر الأمر على الصحيفة الأولى للمخطوط بل يتعدى ذلك إلى عدة صفحات .

ويبلغ التذهيب روعته فى العصر المملوكى، والواقع أنه بلغ فى ذلك العصر درجة عظيمة من الرقة والجمال والدقة والإتقان ولم يتمكن أحد من الوصول إلى هذا الحدّ من الإبداع الذى لا يبارى فى التكوينات الهندسية أو مجموعة الألوان التى نشاهدها على صفحات القرآن فى روعة وتناسق عظيم لدرجة جعلت من الفنان المصرىّ سلطاناً متمكناً فى فن مزج الألوان . وبعض هذه المصاحف يذكر به اسم كاتبه » .

المصاحف الشريفة النادرة التى لا نظير لها فى مكتبات العالم والمخطوطات النفيسة الغالية بدار الكتب والوثائق القومية

ذكرنا فيما سبق (إنشاء المكتبات فى العصور الإسلامية) حتى إنشاء (دار الكتب المصرية) المسماة الآن (دار الكتب والوثائق القومية) وضم إليها فى ذلك العهد ما كان موجوداً بخزانات كتب الجوامع والمساجد من المصاحف الشريفة التى لا نظير لها فى مكتبات العالم، والمخطوطات النفيسة الغالية القليلة الوجود، وهى بخطوط مؤلفيها، كما ضم إليها خزانات كتب العلماء الباحثين المحققين وما تشتمل عليه من المخطوطات الثمينة النادرة المثال القليلة الوجود فى شتى الفنون والعلوم والآداب. كخزانتى العالمين الجليلين؛ الباحثين المحققين المرحومين «أحمد تيمور "باشا" و أحمد زكى "باشا" تغمدهما الله برحمته».

أوّل معرض قرآنى للمصاحف الشريفة النادرة فى العالم

ونذكر الآن على سبيل المثال لا الحصر بعض المصاحف الشريفة النادرة التى لا نظير لها فى مكتبات العالم، وهى التى أقيم لها أوّل معرض قرآنى فى أكبر قاعات دار الكتب والوثائق القومية بميدان أحمد ماهر (باب الخلق سابقاً) فى ليلة القدر من شهر رمضان الكريم سنة ١٣٨٧ هـ بمناسبة مرور أربعة عشر قرناً على نزول القرآن الكريم، مصداقاً لقوله تعالى: (إنا أنزلناه فى ليلة القدر، وما أدراك ما ليلة القدر، ليلة القدر خير من ألف شهر، تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر، سلام هى حتى مطلع الفجر) وهى مكية وآياتها خمس آيات نزلت بعد عبس.

وهذا المعرض يعرف منه، المسلمون فى أنحاء العالم الإسلامى ودنيا العروبة، كيف كانت المصاحف الشريفة فى صدر الإسلام منذ أيام سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه ثالث الخلفاء الراشدين إلى يومنا هذا.

وأول تلك المصاحف الشريفة مصحفه الكريم الذى استشهد عليه. وهذا المصحف مكتوب بقلم كوفى على رقّ غزال من غير شكل ولا نقط ولا كتابة أسماء

السور كما جاء فى صدر الإسلام الأوّل ، وتعقيبات صفحاته بقلم نسخ معتاد .

والمصحف محضر من جامع عمرو بن العاص رضى الله عنه ، فلعله أحد المصحفين اللذين تكلم عنهما العلامة المؤرخ المقريزى فى الخطط عند ذكر الجامع العتيق (ج ٢ ص ٢٤٦ طبعة بولاق سنة ١٢٧٠ هـ) فقال :

(إنه أحضر إلى مصر مع دحيل من أهل العراق مصحف سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وإنه الذى كان بين يديه يوم الدار ؛ وإنه استخرج من خزائن المقتدر ، فأخذه أبو بكر الخازن وجعله فى جامع سيدنا عمرو بن العاص) ا هـ .

وزار هذا المعرض القرآنىّ وفود من مسلمى العالم الذين يقيمون فى القاهرة ، أو يزورونها ، لا سيما من يستضيفهم (المجلس الأعلى للشئون الإسلامية) فى معسكر (أبو بكر الصديق) الثامن بكلية النصر بالإسكندرية ويحضره ٢٥٠٠ (ألفان وخمسمائة) طالب وطالبة من أبناء ٧٣ دولة إسلامية من آسيا وأفريقيا وبعض دول أوربا وأمريكا اللاتينية بإشراف السيد الأستاذ « محمد توفيق عويضة » السكرتير العام للمجلس .

ولقد افتتح المعرض القرآنىّ السيد حسين الشافعى نائب الرئيس فى ٧ من رمضان سنة ١٣٨٧ هـ (٢٨ ديسمبر سنة ١٩٦٧) .

النماذج المعروضة

ومن النماذج المعروضة من المصاحف الشريفة التى لا يوجد لها نظير فى مكتبات العالم ولا توجد إلا دار الكتب فقط :

* * *

١ — مصحف سيدنا عثمان ، وقد مر بنا أنه كان موجوداً بجامع عمرو بن العاص وقال عنه الإمام المؤرخ المقريزى خططه (ج ٢ ص ٢٤٦ طبع بولاق سنة ١٢٧٠ هـ) إنه أحد المصحفين اللذين أحضرا إلى مصر ، وأنه مصحف سيدنا عثمان ابن عفان رضى الله عنه الذى كان بين يديه يوم الدار ، واستشهد عليه ، وأنه استخرج من خزائن المقتدر ، فأخذه أبو بكر الخازن وجعله فى جامع سيدنا عمرو ابن العاص . وهو محفوظ الآن بمعرض دار الكتب والوثائق القومية .

٢ — صورة شمسية لمصحف شريف كان فى سمرقند فى جامع خواجا عبيد الله الأحرار ، ثم اشتراه حاكم تركستان ونقله إلى بطرسبرج ، فوضع فى دار الكتب القيصرية ، ويسمى هناك « المصحف السمرقندى » وأشيع أنه المصحف الإمام الذى استشهد عليه الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فكان الناس يزورونه فى أيام معينة ، ثم نشرته جمعية الآثار القديمة على يد الخطاط المصوّر الروسى Piosarex وطبعت منه خمسين نسخة .

وبقى هذا المصحف الشريف فى دار الكتب القيصرية إلى الانقلاب البلشفى وفى أواخر سنة ١٩١٨ م حمل فى حفل عظيم تحت حراسة مشددة من الجند إلى إدارة مكوّنة من الشخصيات البارزة هناك « تسمى النظارة الدينية » وذلك إرضاء للمسلمين وكسباً لتعظيمهم ، وبقى فيها خمس سنوات .

وفى أواسط سنة ١٩٢٣ نقل إلى تركستان ، وبقى فى سمرقند فترة من الزمن ، وهو الآن فى طشقند حيث يكون على كرّ الأيام والشهور ، ومرّ الأعوام والعصور تحقيقاً لرغبة وطلب المسلمين هناك .

والصورة الشمسية لهذا المصحف الشريف محفوظة بمعرض دار الكتب والوثائق القومية برقم (٢٠٤ مصاحف) .

٣ — وثالث المصاحف المعروضة . . مصحف مكتوب بقلم كوفى على الرق ، ومن غير شكل ولا نقط ، ويشتمل على بداية سورة النساء . وفى آخره أنه كتب بخط أبى سعيد الحسن البصرى سنة ٧٧ ﻫ (٦٩٦ م) وهو مجلد بقطع خشب الصنوبر ، وفى أوائل سوره وبعض آياته حليات ونقوش ذهبية ، محفوظ بمعرض دار الكتب .

٤ — ورابع المصاحف المعروضة بمعرض دار الكتب والوثائق القومية « مصحف جعفر الصادق » ، وهو مكتوب فى القرن الثانى الهجرى ، على ورق ، ومفتوح على صفحة واحدة ، ومجلد بقطع خشب الصنوبر ، وفى أوائل سوره وبعض آياته حليات ونقوش ذهبية ، ومكتوب فى آخره أنه مصحف سيدى جعفر الصادق المتوفى سنة ١٤٨ ﻫ .

ويلى هذا المصحف الشريف المكتوب فى أوائل القرن الثالث الهجرىّ مصحف مكتوب على رقّ غزال بالقلم الكوفى على طريقة أبى الأسود الدؤلى ، ومسطرته سبعة أسطر ، وهو محفوظ بمعرض دار الكتب برقم (١١٥ مصاحف) .

٥ – وخامس المصاحف مصحف السلطان قلاوون وهو مكتوب بالذهب الخالص . . وصحائف ذهبية ، وقد بلغ الروعة والإبداع ، والحسن والإتقان .

٦ – مصحف السلطان محمد بن قلاوون وهذا المصحف الشريف مكتوب جميع آياته الكريمة بالخط الثلث الجلى بالذهب وكذا أوائل السور ، وهو مضبوط بالشكل الكامل . كتب سنة ٦٩٣ هـ .

٧ – مصحف السلطان شعبان ، الصفحة الأولى منه محـلاة بالذهب واللازورد والنقوش العربية الرائعة البديعة فى غاية الروعة والإبداع والإتقان . كتب سنة ٧٦٤ هـ .

٨ – مصحف السلطان برقوق . هذا المصحف الشريف مكتوب بقلم ثلث واضح جلى – جاء فى آخره بما يفيد أنه بقلم « عبد الرحمن بن الصائغ » كتبه بقلم واحد فى مدة ستين يوماً وما دونها . وفى فراغه كان يوم وفاء النيل المبارك السادس من ذى الحجة سنة ٨٠١ هـ .

وكان السبب فى إنشائه محمد بن محمد الشهير بابن البتون أصلاً ، الصالحىّ بلداً .

والمصحف موقوف من قبل السلطان برقوق ، وهو منقوش بالذهب والألوان الزاهية الرائعة والنقوش فى غاية الإتقان والروعة والإبداع .

٩ – مصحف السلطان الملك المؤيد بتاريخ ٨١٥ هـ الموافق (١٤٢١ م) والمعروض آخر سورة (الكهف) نصف القرآن .

وهذا المصحف الشريف محلى بالذهب والألوان الزاهية ، والنقوش البديعة الرائعة عند أوائل السور المكتوبة بالخط الكوفى المملوكى . وفى أوله وآخره وبآخر الآيات وبالهامش منقوش بنقش جميل ومجدول بالذهب أيضاً .

١٠ – المصحف الشريف ، وهو مكتوب بقلم مغربى سنة ١١٤٢ هـ (١٧٢٩ م) برسم الشريف على نجل أمير المؤمنين وخليفة السلطان محمد بن عبد الله ابن السلطان إسماعيل ، وهو داخل إطار منقوش بأروع الرسوم البديعة والزخارف الجميلة بالذهب واللازورد والأخضر .

محفوظ بمعرض دار الكتب والوثائق القومية برقم (٢٥ مصاحف) .

١١ – المصحف الشريف بقلم نسخ التزم فيه كاتبه أن يكتب كل جزء فى

صفحتين (والقرآن الكريم كله فى ثلاثين ورقة) كتبه لصدر الصدور « قبرسلى محمد باشا » .

فى أوله دائرة مكتوب فيها بالذهب أنه للصدر المذكور محلى ومجدول بالذهب والألوان ، وبين سطوره حليات ذهبية وفواتح السور وفواصل الآيات بالذهب ، وعلى هامشه علامات الأجزاء والأحزاب بالذهب أيضاً .

محفوظ بمعرض دار الكتب والوثائق القومية برقم (٣٦١ مصاحف طلعت) .

١٢ — مصحف « خوند بركة » أم السلطان شعبان (٧٧٥ هـ) وهو من أروع وأبدع ما يفخر به معرض دار الكتب فى العصر المملوكى من مدخراته .

١٣ — مصحف الأمير « برغتمش » ٧٧٦ هـ وهو من المصاحف الفريدة الرائعة الذى التزم الكاتب الماهر العبقرى فيه أن يبدأ كل صفحة بكلمة قرآنية تبدأ بحرف ا .

١٤ — ويرى الزائر لهذا المعرض أكبر المصاحف الشريفة فى مكتبات العالم ، إذ تبلغ زنته طنين ، وحجم الصفحة منه ١٧٥×١٢٠ سم ، ويقع فى سبعة أجزاء .

وهو مكتوب بالخط النسخ ، وعلى الجلد ، والذهب مستعمل فيه فى أجزاء مختلفة من صفحاته ووقفاته ، وله غلاف آية فى الإتقان والإبداع ، والروعة والفن يتسع للأجزاء السبعة وهو من الفضة الخالصة ، ومحلى بالياقوت . وقد أهداه إلى مصر نواب بهوبال (أمير بهوبال فى وسط الهند) وقد كتب فى القرن الحادى عشر الهجرى (ذكرنا نموذج صفحة منه) .

١٥ — ومن الروائع الفنية البديعة التى لا يوجد لها نظير فى كنوز مكتبات العالم الزاخر بأنفس المخطوطات التى سلبت من مكتبات الشرق سواء بالنهب أو الإغراء بالمال ربعة ملوكية ، وهى مزينة بالدوائر العربية المنقوشة بأبدع النقوش الجميلة ، وأحسن الرسوم الزخرفية الرائعة بالذهب واللازورد التى تدل على المهارة الفنية الدقيقة ، وكذا أوائل السور مكتوبة بالخط الكوفى المملوكى داخل إطار منقوش بالرسوم البديعة بالحواش الأبيض ، وهى محفوظة بمعرض دار الكتب برقم (١١٩مصاحف).

وفى مكتبة طلعت التى ضمت إلى دار الكتب ربعة نفيسة رائعة بقلم نسخ بخط يحيى حلمى ، كتبها سنة ١٢٨٤ هـ (١٨٦٧ م) وهى محلاة ومجدولة باللازورد والذهب والألوان المختلفة ، وفواتح السور وفواصل الآيات كذلك ، محفوظة برقم (٢٨٢ مصاحف طلعت) .

الكتب الدينية المصورة وتحليتها

ومن الكتب الدينية المصورة « دلائل الخيرات » ويوجد منها بدار الكتب والوثائق القومية عدّة نسخ .

وتوجد منها أيضاً عدّة نسخ محفوظة بالمكتبات الخاصة الموجودة بدار الكتب والوثائق القومية ، كمكتبة المرحوم « مصطفى فاضل باشا » وهى غنية بالذخائر والنفائس من المخطوطات فى شتى العلوم والفنون والآداب لا سيما الكتب الفارسية ويرمز لها بجوار الرقم بالحرف (م) .

ومكتبة المرحوم « أحمد تيمور باشا » وهى غنية أيضاً بأنفس المخطوطات فى كل علم وفن وتعدّ من الذخائر الثمينة النادرة المثال القليلة الوجود . ويرمز لها بجوار الرقم بالحرف (ت) .

ونختار منها النسخة التى وصفها المرحوم « أحمد تيمور باشا » بأنها « حسنة الخط والتذهيب ، وبها لوحة بديعة النقوش ، ففى (ص ١٤) صورة الحرمين المكىّ المدنىّ ملوّنتين ومذهبتين ، وهى بخط السيد أحمد المعروف بحمدى ، كتبها سنة ١٢٣٥هـ ، وهى محفوظة برقم (٣٠٧ تصوف ت) كما يوجد بمعرض الدار أيضاً مجموعة نفيسة من المؤلفات الفارسية بخطوط أشهر خطاطى بلاد فارس مثل عماد الحسينى ، وفى كثير من هذه المؤلفات رسوم ونقوش وصور أبدعها أشهر الرسامين من الفرس مثل بهزاد ومانى المشهور فى القرن العاشر بإله الرسم .

وقد نقلنا صحف بعض هذه الكتب لأنها آية من آيات الإبداع والإتقان فى التصوير والنقش والتزويق فى الإسلام . وتراها فى أماكنها عند ذكر مناسباتها .

ذكرنا فيما سبق أن العرب فى العصور الإسلامية اشتغلوا بالنقش والتصوير والتزويق والزخرفة والنحت : وأنهم عملوا الأصباغ المتنوعة الزاهية العجيبة ؛ مثل مزج الذهب بالألوان واللازورد ؛ ومزجوها فى صورهم بزلال البيض أو الصمغ أو الزيت .

وكانوا يتقنون نسب تركيبها وتكوينها والتلوين بها ، حتى أدهشت كل من رآها إعجاباً واستحساناً . كما أنهم زخرفوا « المصاحف الشريفة » بأبدع النقوش وأجمل

الرسوم . وزينوا الكتب الدينية بأروع أنواع الرسم والزخرفة المحلاة بالذهب واللازورد « كدلائل الخيرات » وصوّروا فيها الحرمين الشريفين . « المكىّ » و « المدنىّ » أبدع تصوير ، وأجمل زخرفة .

مما يدلّ على نبوغ العرب فى التصوير والنقش والتزويق فى العصور الإسلامية .

كما أنهم برعوا وأبدعوا كل الإبداع فى كتابتها بأنواع الخطوط الجميلة المختلفة : كالكوفىّ والمنسوب والثلث والنسخ وغيرها .

وكل هذا يحفزنا على أن نذكر فى هذا المقام بحثاً مستفيضاً شيّقاً عن صناعة الحبر والمداد ، وأنواع الألوان المختلفة وأدواتها المتنوّعة التى كانت مستعملة فى العصور الإسلامية نقلاً عن الموسوعة الخطيرة «صبح الأعشى» لمؤلفها الكاتب المنشئ العبقرىّ « القلقشندى» وكان كاتباً معروفاً « بديوان الإنشاء » الذى كان يتولى رئاسته فى ذلك العهد الكاتب الكبير المنشئ العبقرىّ « ابن فضل الله العمرىّ » مؤلف أكبر موسوعة عربية إسلامية فى الجغرافيا والتاريخ والأدب ، وهو كتاب « مسالك الأبصار فى ملوك الأمصار» ومؤلف كتاب« التعريف بالمصطلح الشريف » وهو فى كتابة العهود والمواثيق والمراسيم السلطانية ويشتمل على نماذج منها من إنشائه .

وكانت رياسته لديوان الإنشاء فى عصر السلطان « برقوق » سنة ٦٧٨ ـ (١٢٧٩ م) وهو قريب عهد من تلك العصور .

(٩٣ دار)

دار الكتب المصرية
مكتب المدير العام

٤٣٠٨
١٦/١/٩٥١

حضرة المحترم الاستاذ محمد عبد الجواد الاصمعى

تحية وبعد

نظرا لسابق عملكم فى كتاب صبح الاعشى وقيامكم بعمل فهارس وافية له تسهل للباحث ما ينشده فى هذا الكتاب النفيس ، ونظرا لاعادة طبع جميع اجزاء هذا الكتاب ابتداء من الجزء الاول على طراز حديث ، ولما عرفتم به من الاخلاص فى التحقيق والبحث، قد عهدنا اليكم مراجعة جميع اجزاء هذا الكتاب وتحقيقها ، مع عمل فهارس شاملة لكل جزء والقيام بهذا العمل فى غير اوقات عملكم الرسمى نظير مكافأة حسب القواعد المقررة لمثل هذه الاعمال .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ،،

١٩/٧/١٩٥٠ المدير العام

[illegible]

[illegible]

صناعة الحبر والمداد والألوان
المستعملة فى العصور الإسلامية

ورد فى صبح الأعشى للقلقشندى(١) (ج٢ص٤٦٤ – ٤٧٢) طبع دار الكتب عن صناعة الحبر والمداد ما نصه :

مادتهما :

اعلم أن المواد لذلك منها ما يستعمل بأصله ولا يحتاج فيه إلى كبير علاج وتدبير ؛ كالعفص ، والزاج ، والصمغ وما أشبهها .

ومنها ما يحتاج إلى علاج وتدبير ، وهو الدخان . قال أبو القاسم خلوف بن شعبة الكاتب :

ويتوخى فى الدخان أن يكون من شىء له دهنية ، ولا يكون من دخان شىء يابس فى الأصل ، لأن الدخان كله شىء مثله وراجع إليه . قال أحمد بن يوسف الكاتب :

---

(١) نظراً لنفاد جميع أجزاء هذا الكتاب النفيس وهى من (١ – ١٤) قررت دار الكتب والوثائق القومية إعادة طبع جميع هذه الأجزاء على أحدث طراز لأنه يعد بحق أكبر موسوعة عربية إسلامية تبحث فى جميع العلوم والفنون والآداب كلفتنا رسمياً بتاريخ ١٩٥٠/٧/١٩ مراجعته وتحقيقه مع عمل فهارس شاملة لكل جزء . وورد فى خطاب التكليف ما نصه بعد الديباجة :

« نظراً لسابق عملكم فى كتاب صبح الأعشى وقيامكم بعمل فهارس وافية له تسهل للباحث ما ينشده فى هذا الكتاب النفيس ، ونظراً لإعادة طبع جميع أجزاء هذا الكتاب ابتداء من الجزء الأول على طراز حديث ، ولما عرفتم به من الإخلاص فى التحقيق والبحث قد عهدنا إليكم – مراجعة جميع أجزاء هذا الكتاب وتحقيقها مع عمل فهارس شاملة لكل جزء والقيام بهذا العمل فى غير أوقات عملكم الرسمى نظير مكافأة حسب القواعد المقررة لمثل هذه الأعمال .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

المدير العام

١٩٥٠/٧/١٩ (قنديل)

توقيع

لاحظنا أن فى هذا الكتاب أخطاء عدة فالمرجو بذل كل ما يمكن بذله من جهد فى التحقيق – ذلك الجهد الذى أنا واثق أنكم لا تألون جهداً فى الاضطلاع به . (قنديل) . . . » اهـ .

كان يأتينا رجل فى أيام خمارويه ببغداد لم أر أنعم منه ، ولا أشدّ سواداً منه ؛ فسألته : من أىّ شىء استخرجته ؟ فكتم ذلك عنى . ثم تلطفت به بعد ذلك ، فقال لى : من دهن بزر الفجل والكتان ، أضع دهن ذلك فى مسارج وأوقدها ثم أجعل عليها طاسا حتى إذا نفد الدهن رفعت الطاس وجمعت ما فيها بماء الآس والصمغ العربى . وإنما جمعه بماء الآس ليكون سواده مائلاً إلى الخضرة ، والصمغ يجمعه ويمنعه من التطاير .

قال صاحب الحلية : وإن شئت أخذت من دخان الحمص وشبهه ، وتلقى عليه ماء ، وتأخذ ما يعلو فوقه وتجمعه بماء الآس ، والعسل ، والكافور ، والصمغ العربى ، والملح ؛ وتمدّه وتقطعه شوابير . والدخان الأوّل أجود .

صنعتهما

صنعة المداد : وبه كانت كتابة الأوّلين من أهل الصنعة وغيرهم .

قال الوزير أبو علىّ بن مقلة — رحمه الله — :

وأجود المداد ما اتخذ من سخام النفط ؛ وذلك أن يؤخذ منه ثلاثة أرطال فيجاد نخله وتنسفيته ، ثم يلقى فى طنجير [١] ويصبّ عليه من الماء ثلاثة أرطال ، ومن العسل رطل واحد ، ومن الملح خمسة عشر درهماً ، ومن الصمغ المسحوق خمسة عشر درهماً ، ومن العفص عشرة دراهم ، ولا يزال يساط على نار لينة حتى يثخن جرْمه ويصير فى هيئة الطين ، ثم يترك فى إناء ويرفع إلى وقت الحاجة .

وما ذكره فيه إشارة إلى أنه لا ينحصر فى سخام النفط بل يكون من دخان غيره أيضاً كما تقدّم . نعم ذكر صاحب الحلية أنه يحتاج مع ذلك إلى الكافور لتطييب رائحته ، والصبر ليمنع من وقوع الذباب عليه . وقيل : إن الكافور يقوم مقام الملح فى غير الطيب .

(١) الطنجير : وعاء يعمل فيه الخبيص : وهو نوع من الحلوى .

صنعة الحبر ، وهو صنفان

الصنف الأوّل : ما يناسب الكاغد ، أى الورق ، وهو حبر الدخان . ونحن نذكر منه صفات — إن شاء الله تعالى — :

« **صفة** » : يؤخذ من العفص الشامىّ قدر رطل يدقّ جريشاً ، وينقع فى ستة أرطال ماء مع قليل من الآس (وهو المرسين) أسبوعاً ، ثم يغلى على النار حتّى يصير على النصف ، أو الثلثين ؛ ثم يصفى من مئزر ويترك ثلاثة أيام ، ثم يصفى ثانياً ، ثم يضاف لكل رطل من هذا الماء أوقية من الصمغ العربىّ ؛ ومن الزاج القبرسىّ كذلك ؛ ثم يضاف إليه من الدخان المتقدم ذكره ما يكفيه من الحلاكة . ولابدّ له مع ذلك من الصبر والعسل ليمنع بالصبر وقوع الذباب فيه ، ويحفظ بالعسل على طول الزمن ، ويجعل من الدخان لكل رطل من الحبر (ثلث أوقية[1]) بعد أن تسحق الدخان بكلوة[2] كفك بالسكر النبات ، والزعفران الشعر ، والزنجار إلى أن تجيد سحقه ، ولا تصحنه فى صلابة ولا هاون يفسد عليك .

الصنف الثانى : ما يناسب الرقّ ، ويسمى : الحبر الرأس ولا دخان فيه ، ولذلك يجىء بصّاصاً برّاقاً ، وبه إضرار للبصر فى النظر إليه من جهة بريقه ، ويفسد الكاغد على طول . ونحن نذكر هنا .

« **صفة حبر** » وهى : يؤخذ من العفص الشامىّ رطل واحد فيجرش ، ويلقى عليه من الماء العذب ثلاثة أرطال ويجعل فى طنجير ، ويوضع على النار ، ويوقد تحته بنار لينة حتّى ينضج ، وعلامة نضجه أن تكتب به فتكون الكتابة حمراء بصّاصة ، ثم يلقى عليه من الصمغ العربىّ ثلاث أواق ، ومن الزاج أوقية ، ثم يصفّى ويودع فى إناء جديد ويستعمل عند الحاجة .

صفة حبر سفرى : يعمل على البارد من غير نار ، يؤخذ العفص فيجرش جرشاً جيداً ويسحق ، لكل أوقية عفص درهم واحد من الزاج ، ودرهم من الصمغ العربىّ

---

(١) التكملة من « ضوء الصبح » للمؤلف .

(٢) الكلوة معروفة لدسامتها بالدهن .

ويلقى عليه ويرفع إلى وقت الحاجة ، فإذا احتاج إليه صُب عليه الماء قدر الكفاية واستعمله .

* * *

هذه طريقة صناعة الحبر فيما سلف . أما طريقة صناعة حبر الكتابة فى هذا العصر فإليكم بيانها نقلاً عن مجلة المقتطف فى عددها الصادر بتاريخ ١٦ ربيع الثانى سنة ١٣٧٠ ﻫ (٢٤ يناير سنة ١٩٥١ م)

بقلم الأستاذ حسن محمد السكرى

الحبر سائل ملوّن للكتابة . وأساس صناعة الحبر الحديثة نظريتان :

١ — خاصية تكون مركبات ملونة من اتحاد مواد التانين (الدباغ) مع أملاح الحديد ، مثل حبر الأزرق — أسود .

٢ — محاليل صبغات مائية أو كحولية لمختلف الألوان مثل حبر المدارس ، وأقلام الحبر العادية والجافة . أما أهم المواد التى تدخل فى صناعة حبر العفص — حديد فهى :

١ — مواد التانين — وتشمل :

(ا) العفص الحلبى أو التركى ونسبة التانين فيه نحو ٦٥ ٪ ولاستخلاص التانين الموجود بالعفص يجب نقعه فى الماء بعد تهشيمه ، نحو أربعة أيام ، أو تركه يغلى على النار لبضع ساعات ، والنسبة المستخدمة هى جزء واحد عفص مع ٣٠ جزء ماء ثم يصفى المحلول وبذلك يكون معداً لإضافة بقية المواد إليه .

(ب) حمض التانيك ، وهو المادة الفعّالة فى العفص . وعند فصلها منه فى حالة نقاوة تسمى حمض التانيك أو الجالوتانيك . وتظهر هذه المادة على شكل مسحوق أصفر فاتح أو بنى قابل للذوبان فى الماء ، ولكن سريع الذوبان فى الكحول ، والمعروف أن حمض التانيك أسهل استعمالاً من العفص لإمكان ضبط نسبته ، ومن الممكن إضافته لأنواع العفص التى تحوى قليلاً من التانين .

(ﺣ) حمض الجاليك أو العفصيك — عندما يسخن حمض التانيك مع حمض مخفف أو يخمر بخميرة البيرة فإنه يأخذ عناصر الماء ، ويتحوّل إلى مادة جديدة هى

حمض الجاليك الذى يتبلور على شكل إبر بيض لامعة ، لها خواص الأصل الذى اشتقت منه ، بأن تعطى لوناً أسود يضرب إلى الزرقة مع أملاح الحديد . وحمض الجاليك أقل ذوباناً من حمض التانيك فى الماء ، ولا تزيد نسبة ذوبانه فى الماء عن ١٪ .

ويمكن أن يستعمل حمض الجاليك بمفرده فى صناعة الحبر ويعطى لوناً أغمق مما يعطيه حمض التانيك ، ولكن لبطء اسوداد لونه يحسن وضع حمض التانيك معه . ومحاليله مع مركبات الحديد ثابتة ، إذا خلت من وجود الأحماض المعدنية . فى حين أن محاليل حمض التانيك تحتاج إلى نسبة قليلة من حمض قوى ليمنع ترسبها .

٢ — أملاح الحديد — وأهمها :

(١) كبريتات الحديدوز — وهى بلورات تختلف نسبة الحديد فيها من ١٨ — ٢٥ ٪ كما تحوى نسبة حرة من حمض الكبريتيك . وهذه ملحوظة يجب أن لا تغرب عن بال الصانع ، فى حالة عمل حبر خال من الأحماض .

(ب) كلورور الحديد — من أملاح الحديد الهامة ، التى تستعمل فى صناعة الحبر .

٣ — الصمغ العربى — والغرض منه أن يمنع الحبر من الانزلاق عن الريشة . أو انتشار الكتابة على الورق .

٤ — الأحماض — تحتاج مركبات أملاح العفص حديد إلى نسبة من حمض معدنى قوى لتجعلها ثابتة . وفى حالة غياب هذه الأحماض ، فإن الهواء إما أن يعكر الحبر أو يجعله يترك رواسب فى المحبرة ، مع ملاحظة أن زيادة كمية الحمض قد تعرّض لون الحبر الأصلى للتلاشى ، كما تعمل على تآ كل أسنان الريش المعدنية . وأهم الأحماض المستعملة هى حمض الكلورودريك وحمض الكبريتيك ولا تزيد نسبتها على ٠,٢٥ — ٠,٥ ٪ فى كل الحبر .

٥ — المواد الحافظة — الحبر كأىّ مادة عضوية قد يتعرض للعفن ويتحلل تركيبه ، ولذا يحتاج إلى مادة تحفظه من الفساد ، وأهم هذه المواد هى حمض الفنيك وحمض السالسليك والكحول أيضاً .

وأما أهم المواد التى تدخل فى حبر الصبغات فهى :

٦ ــ الصبغات ــ وهذه لسهولة استخدامها أصبحت ضرورية فى كل الحبر الملوّن وغيره وفيما يلى أهم الصبغات الملوّنة :

أحمر ــ أيوسين	أسود ــ اتلين أسود
أزرق ــ أسود ــ نافتول‌بلوبلاك	أزرق ــ متلين بلو
بنفسجى ــ متلين فيوليت	أخضر ــ أخضر ملخت

والمعروف أن الأصباغ المستعملة هى التى تذوب فى الماء . كما تستعمل الصبغات التى تذوب فى الكحول كما هو الحال فى حبر الأقلام الأمريكانى . ونسبتها عادة ٢ ــ ٥ ٪ . والغرض من إضافة أىّ صبغ أزرق إلى حبر التانين ــ حديد ، هو أن يعطى الحبر لوناً وقتيًّا ، إلى أن يتم ظهور اللون الأسود على الورق مع الوقت .

٧ ــ الجلسرين ــ كمادة ترطيب وخصوصاً لحبر الأقلام الجافة .

(نسبة العفص إلى الحديد) ــ من الممكن إنتاج أىّ حبر جيد ما دامت النسبة بين العفص والحديد هى ٣ أجزاء عفص إلى جزء واحد كبريتات حديدوز . ولسهولة الصناعة يحسن استخدام حمض التانيك بنسبة ٣ أجزاء إلى جزءين كبريتات حديدوز .

(خلط المواد وتعتيق الحبر) ــ يوضع محلول مادة التانين فى براميل خشبية أو من الصاج المدهون . ويضاف عليه النسبة المطلوبة من كبريتات الحديدوز أو كلورور الحديد ــ فى حالة استخدامه ــ بعد إذابة الملح فى قليل من الماء . وبعد دقائق من خلط المحلولين تبدأ فى مشاهدة تحوُّل اللون إلى الأزرق الغامق ، من أعلى السائل إلى أسفل تبعاً لتفاعل الهواء ببطء على تنات الحديد . فإذا لم توضع أحماض قوية فإن هذا التغيير يستمر حتى تتكون رواسب غير ذائبة . كما كانت عليه الحال فى الحبر القديم ــ أما الحبر الحديث فإنه يترك هذا التغيير التدريجى يحدث فى الحبر بعد الكتابة به على الورق . ولذا يضاف عليه لون وقتى ، هو آثار من صبغة أزرق المثلين بنسبة ٢ جرام فى اللتر ، ثم يضاف الصمغ العربى والمادة الحافظة . وبعد ذلك يترك ليتعتق ، محفوظاً لمدة شهر على الأقل . وبذا ترقد الرواسب فى قاع البرميل مما يساعد على ترويق الحبر وترشيحه .

ويلاحظ أن حبر التانين قليل الرواسب ، على عكس حـــبر العفص ، ولذا يصفى بسرعة .

« التعبئة فى الزجاجات » يعبأ الحبر بعد تعتيقه وترسيبه إما باليد وإما بطريقة آلية . وفى حالة اليد يستعمل عيار مدرج لمعرفة الكمية . ومن المهم أن يكون الزجاج نظيفاً ومن النوع المتعادل ، حتى لا يحدث رواسب بعد تعبئته . وأخيراً تغلق الزجاجات وتوضع عليها البطاقات .

(تراكيب) وفيما يلى نستعرض طائفة من التراكيب لمختلف حبر الكتابة ، تطبيقاً للمعلومات السالفة : —

١ — حبر أزرق أسود

(ا) كبريتات حديدوز	٦,٥جم
صمغ عربى	٦,٥ جم
جلسرين	ــ,٧ سم
حمض فنيك	ــ ١,٠ جم
حمض كبريتيك مخفف	ــ ١٥,٠جم

تذاب كل المواد فى ٢٤٠ جم ماء

(ب) حمض تانيك	ــ ٤,٠ جم
حمض جاليك	ــ ٤,٠ جم

تذاب المواد فى ١٥٠ جراماً ماء .

والطريقة أن تخلط (ا) و (ب) ويضاف ماء حتى ٦٠٠ جم. ثم يذاب ١,٥ جرام صبغ أزرق ويترك الحبر لمدة أسبوع ليتعتق. وأخيراً يصفى ويعبأ .

٢ — حبر أقلام أمريكانى

٥٤ جم صبغ يذوب فى الكحول

٣٦ جم	كحول
٦٠ جم	ماء

٣ — حبر صينى

(ا) بوراكس	٣ جم
جمالكة	١٥ جم
ماء مغلى	٤٠ جم
(ب) صبغ أسود	١ جم
ماء	٤١ جم

يخلط على البارد .

٤ — حبر أحمر

صبغة إيوسين	٣٠ جم
صمغ عربى	٣٠ جم
فينول	١٥ جم
ماء	٤ لتر

٥ — حبر الأقلام الجافة

يعجن مسحوق الصمغ بالجلسرين بكمية تكفى لصلابة الحبر المطلوبة .

٦ — حبر مسحوق أسود

نجروسين	٤	أوقيات
أنلين أزرق	٨	أوقيات
حمض سالسليك	٦٠	قمحة
دكسترين مسحوق	٦	أوقيات

وللاستعمال تذاب أوقية منه فى لتر ماء .

ليق الافتتاحات ، وصناعة الألوان

وهى ما يكتب به فواتح الكلام : من الأبواب ، والفصول ، والابتداءات ونحوها ؛ ولا مدخل لشىء من ذلك فى فنى الإنشاء والديونة إلا الذهب ، فإنه يكتب به فى الطغراوات (١) فى كتب القانات (٢) ، وفى الأسماء الجليلة منها . وباقى ذلك إنما يحتاج إليه كتّاب النسخ إلا أنه لا بأس بالعلم به ، فإنه كمال الكاتب .

الغالب استعماله وهو صنفان :

ونحن نذكر منه الغالب استعماله ، وهو صنفان :

الصنف الأول : الذهب : وطريق الكتابة به أن يحلّ ورق الذهب ، وصفة حلّه : أن يؤخذ ورق الذهب الذى يستعمل فى الطلاء ونحوه ، فيجعل مع شراب الليمون الصافى النقىّ ، ويقتل فيه فى إناء صينىّ أو نحوه حتى يضمحلّ جرمه فيه ، ثم يصبّ عليه الماء الصافى النقىّ ويغسل من جوانب الماء حتى يمتزج الماء والشراب ويترك ساعة حتى يرسب الذهب ، ثم يصفى الماء عنه ويؤخذ ما رسب فى الإناء فيجعل فى مفتلة زجاج ضيفة الأسفل ، ويجعل منه قليل من الليقة والنزر اليسير من الزعفران بحيث لا يخرجه عن لون الذهب ؛ وقليل من ماء الصمغ المحلول ويكتب به ، فإذا جفّ صقل بمصقلة من جزع حتى يأخذ حدّه ، ثم يزمّك بالحبر من جوانب الحرف .

الصنف الثانى : اللازورد : وأنواعه كثيرة ، وأجودها المعدنىّ . وباقى ذلك مصنوع لا يناسب الكتابة ، وإنما يستعمل فى الدهانات ونحوها .

وطريق الكتابة به أن يذاب بالماء ، ويلقى عليه قليل من ماء الصمغ العربىّ ،

---

(١) الطغراوات (صوابها الطغريات) جمع طغرى (بالقصر) : العلامة التى تكتب بالقلم الغليظ فى طرة الأوامر السلطانية ، تقوم مقام السلطان . كلمة تترية استعملها الروم والفرس .

(٢) القانات : الملوك .

ويجعل فى دواة — كدواة الذهب المتقدم ذكرها — وكلما رسب حرّك بالقلم ، ولا يكثر به الصمغ كى لا يسودّ ويفسد .

الصنف الثالث الزنجفر : وأجوده المغربىّ . وطريق الكتابة به أن يسحق بالماء حتى ينعم ، وإن سحق بماء الرمان الحامض فهو أحسن ، ثم يضاف عليه ماء الصمغ ، ثم يلاق بليقة كما يلاق الحبر ، ويجعل فى دواة ويكتب به .

الصنف الرابع : المغرة العراقية : وهى مما يكتب به نفائس الكتب ، وربما كتب بها عن الملوك فى بعض الأحيان وطريقه فى الكتابة كما فى الزنجفر — والله أعلم .

* * *

الآلة السادسة * : الملواق : (بكسر الميم) وهو ما تلاق به الدواة (أى تحرّك) به الليقة . قال بعض الكتّاب : وأحسن ما يكون من الآبنوس ، لئلا يغيره لون المداد . قال : ويكون مستديراً مخروطاً ، عريض الرأس ثخينه .

الآلة السابعة : المرملة : وأسمها القديم « المترّبة » ، جعلاً لها آلة للتراب ؛ إذا كان يترّب به الكتب .

وتشتمل على شيئين :

(الأول) : الظرف الذى يجعل فيه الرمل ، وهو المسمى بذلك ، ويكون من جنس الدواة إن كانت الدواة نحاساً ؛ أو من النحاس ونحوه إن كانت خشباً على حسب ما يختاره ربّ الدواة . ومحلها من الدواة ما يلى الكاتب مما بين المحبرة و باطن الدواة مما يقابل « المنشاة » الآتى ذكرها ، ويكون فى فمها شباك يمنع من وصول الرمل الخشن إلى باطنها . وربما اتخذت مرملة أخرى أكبر من ذلك تكون فى باطن الدواة لاحتمال أن تضيق تلك عن الكفاية لصغرها .

وأرباب الرياسة من الوزراء والأمراء ونحوهم يتخذون مرملة كبيرة تقارب حبة الرانج (أى الجوز الهندىّ) لها عنق فى أعلاها ، تكون فى الغالب من جنس الدواة من نحاس ونحوه . وربما اتخذت من خشب لقضاة الحكم ونحوهم .

---

* تنبيه :

هنا نقص لأن العلامة المحقق القلقشندى لم يذكر من الآلة الأولى إلى الخامسة ، وللقارئ الباحث أن يتمم هذا النقص فى مرجع آخر والله الموفق . (المؤلف)

ومما ألغز فيها القاضي شهاب ابن بنت الأعز[١] :

طريفة الشكل والتمثال قد صنعت   تحكي العروس ولكن ليس تغتلم
كأنها من ذوى الألباب خاشعة   تبكي الدماء على ما سطر القلم

وتسمّى : « المتربة » أيضاً . وفى ذلك يقول الوجيه المناوى :

يا مادحاً أمراً ولم يأته   ولم ينل منه ولا جرّبه
لا تغبط الكاتب فى حاله   فإنه المسكين ذو « المتربه »

الثانى : الرمل : وقد اختار الكتّاب لذلك : « الرمل الأحمر » دون غيره ، لأنه يكسو الخطّ الأسود من البهجة ما لا يكسوه غيره من أصناف الرمل ، وخيره ما كان دقيقاً ، وهو على أنواع :

النوع الأوّل : ما يؤتى به من الجبل الأحمر الملاصق لجبل المقطم من الجهة الشرقية ، وهو أكثر الأنواع وأعمها وجوداً بالديار المصرية (الجمهورية العربية المتحدة الآن) .

النوع الثانى : يؤتى به من الواحات ، وهو رمل متحجر شديد الحمرة ، يتخذ منه الكتّاب حجارة لطافاً تُحَتُّ بالسكين ونحوها على الكتابة ، وأكثر ما يستعملها كتّاب الصعيد والفيوم وما — والاهما .

النوع الثالث : يؤتى به من جزيرة ببحر القلزم[٢] من نواحى الطور ، وهو رمل دقيق أصفر اللون قريب من الزعفران ، وله بهجة على الخطّ إلا أنه عزيز الوجود .

النوع الرابع : رمل بين الحمرة والصفرة ، به شذور بصّاصة يخالها الناظر شذور الذهب ، وهو عزيز الوجود جداً ، وبه يرمّل الملوك ومن شابههم .

---

(١) ابن بنت الأعز : كان إماماً عالماً فاضلا ، وولى المناصب الجليلة كنظر الدواوين والوزارة وقضاء القضاة ، ودرّس بالشافعى . وكانت له مكانة عند الملك الظاهر ، ومولده سنة أربع عشرة وستمائة ، ومات ليلة السابع والعشرين من شهر رجب سنة ٦٦٥ هـ . ودفن من الغد بسفح المقطم . (راجع النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٢٢٢ — ٢٢٣ طبع دار الكتب والوثائق القومية .

(٢) بحر القلزم : البحر الأحمر .

الآلة الثامنة : المنشاة وتشتمل على شيئين أيضاً :

الأول : الظرف وحاله كحال « المرملة » فى الهيئة والمحلّ من الدواة من جهة الغطاء إلا أنه لا شباك فى فمه ليتوصّل إلى اللصاق ، وربما اتخذ بعض ظرفاء الكتّاب منشاة أخرى غير التى فى صدر الدواة من رصاص على هيئة حقّ لطيف ، ويجعلها فى باطن الدواة ، كالمرملة المتوسطة ، فإن اللصاق قد يتغير فى النحاس بخلاف الرصاص .

الثانى : اللصاق وهو على نوعين :

أحدهما النشا المتخذ من البرّ ، وطريقه أن يطبخ على النار ، كما يطبخ للقماش ، إلا أنه يكون أشدّ منه ، ثم يجعل فى « المنشاة » وهو الذى يستعمله كتّاب الإنشاء ، ولا يقولون على غيره لسرعة اللصاق به ، وموافقة لونه للورق فى نصاعة البياض .

والثانى المتخذ من الكثيرا : وهو أن تبلّ « الكثيرا » بالماء حتى تصير فى قوام اللصاق ، ثم تجعل فى « المنشاة » وكثيراً ما يستعمله كتّاب الديويّة ، وهو سريع التغير إلى الخضرة ، ولا يسرع اللصاق به .

وينبغى أن يستعمل فى اللصاق فى الجملة : الماورد والكافور لتطييب رائحته .

الآلة التاسعة : المنفذ : وهى آلة تشبه « المخرز » وتتخذ لخرم الورق .

وينبغى أن يكون محلّ الحاجة منها متساوياً فى الدقة والغلظ أعلاه وأسفله سواء ، لئلا تختلف أثقاب الورق فى الضيق والسعة ، خلا أن يكون ذبابه دقيقاً ، ليكون أسرع وأبلغ فى المقصود . وحكمه فى النصاب فى الطول والغلظ حكم « المدية » وقد سبق . وأكثر من يحتاج إلى هذه الآلة من الكتّاب كتّاب الدواوين ، وربما احتاج إليها كاتب الإنشاء فى بعض أحواله .

الآلة العاشرة : الملزمة : قال الجوهرىّ : « الملزم » بالكسر : خشبتان تشدّ أوساطهما بحديدة تكون مع الصياقلة والأبارين ، ولم يزد على ذلك . وهى آلة تتخذ من النحاس ونحوه ، ذات دفتين يلتقيان على رأس الدرج حال الكتابة ، ليمنع الدرج من الرجوع على الكاتب ، ويجسّ بمجسّ على الدفتين .

الآلة الحادية عشرة : المفرشة : وهى آلة تتخذ من خرق كتّان : بطانة وظهارة ، أو من صوف ونحوه ، تفرش تحت الأقلام وما فى معناها مما يكون فى بطن الدّواة .

الآلة الثانية عشرة : الممسحة : وتسمى (الدفتر) أيضاً : وهى آلة تتخذ من خرق متراكبة ذات وجهين ملتوتين من صوف أو حرير أو غير ذلك من نفيس القماش . يمسح القلم بباطنها عند الفراغ من الكتابة ، لئلا يجفّ عليه الحبر فيفسد .

والغالب فى هذه الآلة أن تكون مدوّرة مخرومة من وسطها وربما كانت مستطيلة ويكون مقدارها على قدر سعة الدواة . وفيها يقول القاضى الفاضل(١) — رحمه الله : —

ممسحــة نهارها يجنّ ليل الظلم
كأنهــا مذ خلقت منديل كمّ القلم

وقال نور الدين على بن سعيد المغربىّ فيها :

وممسحة لاحت كأفق تبدّدت به قطع الظلماء والصبح طالع
ولما أطال الليل فيها وروده حكته ومدّت للصباح المطالع

وقال المولى ناصر الدين شافع بن عبد الظاهر(٢) :

وممسحة تناهى الحسن فيها فأضحت فى الملاحــة لا تبارى
ولا نكر على القلم الموافى إذا فى وصلها خلع العذارا

الآلة الثالثة عشرة : المسفاة : وهى آلة لطيفة تتخذ لصبّ فى المحبرة ، وتسمى الماوردية أيضاً ، لأن الغالب أن يجعل فى المحبرة عوض الماء ماء ورد لتطيب رائحتها . وأيضاً فإن المياه المستخرجة كماء الورد والخلاف والريحان ونحو ذلك لا تحلّ الحبر

---

(١) تقدمت ترجمته (راجع هامش ص ٨٢).

(٢) هو شافع بن على بن عباس العسقلانى المصرى (ناصر الدين) مؤرخ ، أديب ، شاعر ، شارك فى بعض العلوم . ولد بالقاهرة سنة ٦٤٩ هـ (١٢٥١ م) .

ومن آثاره الكثيرة : القلائد والفرائد فيما للشعراء الأماجد ، الأحكام العادلة فيما جرى من المنظوم والمنثور من المفاضلة ، ديوان شعر ، الدر المنتظم فى مفاخرة السيف والقلم ، ونظم الجواهر فى سيرة الملك الناصر . توفى سنة ٧٣٠ هـ (١٣٣٠ م) . (راجع معجم المؤلفين للأستاذ عمر رضا كحاله ج ٤ ص ٢٨٩ مطبعة الترقى بدمشق سنة ١٩٥٧) .

وتفسده ، بخلاف الماء ، وتكون هذه الآلة في الغالب من الحلزون الذي يخرج من البحر الملح ، وربما كانت من نحاس ونحوه . والمعنى فيها أن لا تخرج المحبرة من مكانها ، ولا يصبّ من إناء واسع الفم كالكوز ونحوه ، فربما زاد الصبّ على قدر الحاجة .

الآلة الرابعة عشرة : المسطرة : وهي آلة من خشب مستقيمة الجنبين يسطّر عليها ما يحتاج إلى تسطيره من الكتابة ومتعلقاتها ، وأكثر من يحتاج إليها المذهّب .

الآلة الخامسة عشرة : المصقلة : وهي التي يصقل بها الذهب بعد الكتابة ، وهي من آلات الدواة لا محالة .

الآلة السادسة عشرة : المُهرَق : (بضم الميم وفتح الراء) وهو القرطاس الذي يكتب فيه ، ويجمع على مهارق .

قلت : وعدّ صاحبنا الشيخ زين الدين شعبان الآثاريّ منها : « المداد » وهو ظاهر . و « المخيط » وفي عدّه يُعدّ .

الآلة السابعة عشرة : المسنّ : وهو آلة تتخذ لإحداد السكين ، وهو نوعان : أكهب[1] اللون ، ويسمى : الروميّ . وأخضره ، وهو على نوعين : حجازيّ ، وقوصيّ . والروميّ أجودها . والحجازيّ أجوده الأخضر » انتهى من موسوعة القلقشندي (صبح الأعشى) .

---

(١) أكهب : أحمر اللون

تراجم أسماء المؤلفين
الذين تحدثنا عن مؤلفاتهم فى هذا القسم

إسحاق بن حنين
٢١٥ — ٢٩٨

أبو يعقوب إسحاق بن حنين بن إسحاق العبادى

الطبيب المشهور

كان أوحد عصره فى علم الطب وكان يلحق بأبيه فى النقل وفى معرفته باللغات وفصاحته فيها . وكان يعرب كتب الحكمة التى بلغة اليونانيين إلى اللغة العربية كما كان ينقل أبوه، إلا أن الذى يوجد من تعريبه فى كتب الحكمة من كلام أرسطاطاليس وغيره أكثر مما يوجد من تعريبه لكتب الطب .

وكان قد خدم من الخلفاء والرؤساء مَنْ خدَمهُ أبوه. ثم انقطع إلى القاسم ابن عبيد الله وزير الإمام المعتضد بالله واختص به، حتى إن الوزير المذكور كان يطلعه على أسراره ويفضى إليه بما يكتمه عن غيره .

وله المصنفات المفيدة . لحقهُ الفالج فى آخر عمره . وكانت وفاته سنة ٢٩٨ هـ وقيل سنة ٢٩٩ هـ[1] .

---

(١) راجع فهرست ابن النديم ص ٢٥٥ وتاريخ ابن خلكان ج ١ ص ٨٢ ومختصر تاريخ الدول لابن العبرى ص ٢٥٢ وعيون الأنباء ج ١ ص ٢٠٠ وابن الأثير ج ٨ ص ٢٤ طبعة بولاق وذكر وفاة إسحاق سنة ٢٩٩ هـ .

الإصطخريّ

أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسيّ الإصطخريّ ويعرف أيضاً بالكرخي (نبغ سنة ٣٤٠ هـ) .

نشأ بإصطخر وطلب العلم وعني بالأخبار عن البلاد وما يتعلق بها فأنشأ فيه ذلك شوقاً إلى السياحة فخرج سنة ٩٥١ م وطاف بلاد المسلمين مبتدئاً من بلاد العرب إلى الهند إلى الأوقيانس الإتلنتيكي ولَقِيَ فى رحلته جماعة من العلماء فى كل فنّ .

من مؤلفاته :

١ ــ صور الأقاليم ــ يشتمل على حدود الممالك وصُوَر أقاليم الأرض ومدنها وبحارها وأنهارها والمسافات بينها مفصلاً . وقد وضح كل ذلك بالخرائط ويسمّيها « الصُّوَر » وجملتها ١٩ صورة . وقال المؤلف فى صدر كتابه : إنه عوّل على « صُوَر الأقاليم » لأبى زَيد البلخيّ . طبع بعناية الأستاذ « ملر » ومعه الخرائط ملونة وهى ١٩ خريطة مثل الأصل تماماً ــ طبع حجر غوتا سنة ١٨٣٩ م ص ٢٣ ، ١٣٢ .

٢ ــ مسالك الممالك ــ وهو معوّل أيضاً على كتاب « صُوَر الأقاليم » للشيخ أبى زيد أحمد بن سهل البلخيّ لكنه خال من الخرائط . وفى أوله مقدمة فى تأليف الكتاب وتقسيمه فى بضع صفحات . طبع من ضمن « المكتبة الجغرافية العربية » بعناية دى غويه ــ ليدن سنة ١٨٧٠ إلى ١٨٩٤ م .

ابن حَوقل

(نبغ فى سنة ٣٦٧ هـ)

أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادىّ الموْصِلىّ .

قال صاحب آثار الأدهار :

« ابن حَوْقَل : هو محمد بن علىّ المعروف بابن حوقل التاجر الرحّالة من أهل المائة الرابعة للهجرة ، تجوّل فى البلاد الإسلامية من سنة ٩٤٢ — إلى سنة ٩٧٠ م .

فدخل المغرب وجاب صقلية وجال فى الأندلُس وغيرها .

ودَوَّن أخبار رحلته فى كتاب سماه " المسالك والممالك " وأطنب فى صفات البلاد الإسلامية ولم يتعرض لغيرها إلا قليلاً . وقد اعتمد فيما ذكره فى كتابه المذكور على ما عاين وما حكىَ له غير متثبت ولا فاحص فوقع لذلك فى كثير من الأغلاط والأوهام » ا هـ .

المسالك والممالك والمفاوز والمهالك :

وهو مثل كتاب مسالك الممالك للإصطخرىّ مع زيادات قليلة . قال صاحب كشف الظنون : ولابن حوقل كتابٌ فيه أيضاً ذكر صفات البلاد مستوفياً غير أنه لم يضبط الأسماء » .

طبع فى ليدن سنة ١٨٧٣ م ص ٤٠٦ و ٢١ . وطبع فى ليدن سنة ١٨٢٢ م صورة بلاد عراق العجم من كتاب « المسالك والممالك » ومعه ترجمة لاتينية — وفى باريس سنة ١٨٤٥ طبع قسم يختص ببالرما « وصف بالَرْما عاصمة جزيرة صقلية » ومعه ترجمة فرنسية للأستاذ أمارى — ص ٤٤ .

الإدريسى
(٤٩٣ – ٥٦٠ هـ)

أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس (الشريف الإدريسىّ) الصقلىّ المولود سنة ٤٩٣ هـ والمتوفى سنة ٥٦٠ هـ من سلالة العلويين . هو الذى صنع للملك ريشار الفرنجىّ (النورمندى) ملك صقلية سنة ١١٥٣ ميلادية أوّل كرَة أرْضية عرفت فى التاريخ زنتها من الفضّة ١٤٤ أقة ، رسم فيها جميع أنحاء الأرض فى زمانه رسماً غاثراً مشروحاً بالاستيفاء — وألف له أيضاً فى مدينة (بالرما) من أعمال صقلية كتابه : « نزهة المشتاق » ويعرف « بجغرافية الإدريسى » .

كان مولده فى سبتا ، وكان جدّه قد لجأ إليها بعد أن خلع من الملك ووصل الإدريسىّ فى صباه إلى قرطبة بالأندلس وتخرج بالعلوم فيها . ثم ساح فى هذه البلاد وفى شمالى أفريقيا وآسيا الصغرى واستدعاه (ريشار الثانى) ملك صقلية إلى ديوانه ، وكان قد جمع من كتب الجغرافيين القدماء ، ومن الرحالة المعاصرين مادّة كبيرة . فصنع كرَة من الفضّة رسم عليها خطوط البلاد وشرح ذلك فى مقالته الجغرافية التى قسمها إلى سبعة أقاليم وسبعين بلداً . وتكلم فيها على حاصلات كل بلد ومصنوعاته وحكومته وآداب سكّانه . (راجع تاريخ سوريا للمطران يوسف الدِّبسى) .

وقد بلغ ريشار من إكرامه له أنه كلما دخل عليه هرع لاستقباله عند الباب ثم أجلسه إلى جانبه على سرير الملك حتى إذا ما أتم المحاضرات معه وأفاده بما أراد ثم همّ بالخروج شيعه الملك بنفسه إلى عتبة القصر .

(راجع مجلة المقتطف عدد شهر مارس سنة ١٩١٢ بعنوان : « جغرافية الشريف الإدريسى » لأستاذنا العالم الباحث المحقق المدقق المرحوم أحمد زكى باشا) .

مؤلفاته

١ ــ نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق :

صنعه (لريشار الثانى) صاحب صقلية ــ قسم منه يشتمل على صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ومعه مقدمة وترجمة وفهرس الأسماء وشرح الكلمات الاصطلاحية الموجودة فيه ، وكلها باللغة الفرنسية باعتناء الأستاذين :

دوزى ودى غويه وسمى الكتاب :

٢ ــ صفة المغرب والسودان :

مأخوذة من كتاب « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » ليدن سنة ١٨٩٩ ص ٢٣ و ٣٢٦ كتاب عنوانه :

« نزهة المشتاق فى ذكر الأمصار والأقطار والبلدان والجزر والمدائن والآفاق » وهو قسم من جغرافية الإدريسى . وترجم هذا القسم العالمان المارونيّان : جبرائيل صهيونى وحنا الحصرونى إلى اللغة اللاتينية وطبعت الترجمة فى باريس سنة ١٦١٩ (وفى معلمة الإسلام ج ٢ ص ٤٧٩) أن هذه الترجمة غير مضبوطة . وطبع قسم منه فى بانرومى سنة ١٧٩٠ م ومنه :

٣ ــ ذكر الأندلس :

تأليف شريف الإدريسى (كذا) ومعه ترجمة إسبانيولية باعتناء دون كوندى طبع مدريد سنة ١٧٩٩ ص ٢٣٤ و ٢٠ وطبع أيضاً فى مدريد سنة ١٨٨١ ومعه ترجمة بالإسبانيولية للأستاذ سافدرا .

وترجم أميدى جوبار إلى الفرنسية « جغرافية الشريف الإدريسى » عن النسخة المحفوظة فى مكتبة باريس العمومية وطبعها سنة ٩ / ١٨٧٧ م .

٤ ــ ومنه قطعة تشتمل مقدمة وصفة البلاد التى هى الآن : مملكة إيطاليا ومعها ترجمة إيطالية وشروح وتعليقات باعتناء أمارى وشيابارلى طبع روما ٨٣ ــ ١٨٧٨ ص ١٥ و ١٥٦ و ١٤٤ .

٥ — ومنه قطعة تشتمل على ذكر بلاد فلسطين والشام . وقف على طبعه الأستاذ يوحنا جلديه فى بنّ سنة ١٨٨٥ م ص ٢٨ — وطبع قبله بهمة دوزن ملر فى ليبسيك سنة ١٨٢٨ م (فى دار الكتب والوثائق القومية أربع نسخ كاملة مصورة بالتصوير الشمسى عن النسخ الخطية المحفوظة بمكاتبات الآستانة من كتاب « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » والمعروف بكتاب ريشار . ومنه نسخة خطية بمعرض دار الكتب والوثائق القومية مخطوطة سنة ٧٤٨ هـ محفوظة تحت رقم « ١٥٠ جغرافيا » وهى التى نقلنا منها الصورة الموجودة فى الصفحة التى يناسب ذكرها بها) .

انتهى القسم الأوّل من كتاب :
(تصوير وتجميل الكتب العربية فى الإسلام)
ويليه القسم الثانى ويشمل :
(نوابغ المصوّرين والرسامين من العرب)
« فى العصور الإسلامية »

القسم الثاني

نوابغ المصورين والرسامين من العرب
فى العصور الإسلامية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

مقدمة

ظهر الإسلام فى بلاد العرب فكان همّه الأوّل تطهير ربوعها من الشرك بالله ، ومحو كل أثر لعبادة الأصنام، والأوثان ، والبدود ، والطواغيت . لذلك كان الصدر الأول يتحاشون ذكرها ، أو الإشارة إليها، أو الترخص لأىّ سبب فى شىء منها .

وهم إنما تحوّلوا على ذلك حتى لا يثيروا فى نفوس العامة والدهماء ما ربما يكون قد بقى عالقاً بها من آثار الحميّة الأولى، حمية الجاهلية، فيعود الأمر إلى الضلال القديم، هذا هو الذى دعا سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه لاجتثاث الشجرة التى كانت تحت ظلالها بيعة الرضوان ، لأنه رأى من تعظيم المسلمين لها ما جعله يخشى أن تكون فتنة لهم على تمادى الزمان . حتى إذا ما رسخت قدم الإسلام وتوطدت أركانه، لم يبق بعد مجال للخوف من الرجوع إلى الشرك بالله . وإذا أضفنا إلى ذلك ما نالته الدولة الإسلامية من الفتوحات الواسعة، وما انهال عليها من كنوز الرخاء والثراء ، ندرك أن القوم أصبحوا وهم لا يتهيّبون ولا يتحرّجون من اتخاذ التصاوير والتهاويل والتماثيل . وحينئذ انفسح المجال العام أمام الذين نسميهم نحن اليوم مجاراة لأوربا باسم « أرباب الفنون الجميلة » .

* * *

الفنون الجميلة لفظ اصطلح عليه الفرنجة ونقلناه عنهم منذ زمن حديث، ولكن هذه الفنون نفسها قد مارسها الإسلاميون وبلغوا فيها القدح المعلّى ، وهذه آثارهم تدل عليهم .

ما هو الفنّ أوّلاً ، وما هى الفنون الجميلة ثانياً ؟

الفنّ صنوُ الأدب : كلاهما يعبّر عن عبقريّة الأمة ، وكلاهما يعرب عن الدرجة التى بلغتها فى الحضارة والعمران .

أما الفنون التى اصطلح الإفرنج على وصفها بالجميلة فهى : الموسيقى ، والتصوير ، والنحت ، والعمارة ، والشعر ، والفصاحة ، والرقص .

ولكل فرع من هذه الفروع أثر ظاهر فى الإسلام ، ورجال قاموا بشئونه ودفعوه إلى الدرجات العلية ، وألفوا فيه وصنفوا ، حتى الرقص . ولكننا سنقتصر فى هذا القسم من كتابنا : « على نبذة عن التصوير وما يتعلق به ، وطبقات المصورين والرسامين والمزوقين والمذهبين وارتباطهم قديماً بالخطاطين » . وربما أشرنا فى تضاعيف الكلام إلى شىء من الشعر ، فإنه كالملح فى الطعام ، أو كالملاحة فى الأجسام .

ونبدأ الآن بكلمة على الفن .

* * *

الفن والأدب صنوان ، لأنهما القياس الصحيح لذهنية الأمة وعقليتها ، فإذا ما تعالى شعب فى مراقى المدنية كانت مآثره فى الأدب زاهية زاهرة ، وكانت آثاره فى الفن زاهية باهرة . فإن دبت إليه جراثيم الانحطاط والانحلال ظهرت بوادر ذلك فيما تنتجه القرائح والعقول . سنة كونية لا شذوذ فيها ، ولن تجد لسنة الله تبديلا .

هذه السنة قد تجلت بأكمل مظاهرها فى الشرق ، فكل الحضارات هو مصدرها ، ولكنه دار عليه الدور فنزل إلى الحضيض بعد أن كانت له الكلمة العليا ، وتولاه جمود جعله فى عداد الأموات ، وجعل أهلية السوقة يتنصفون ولا ينصفون .

وطبيعى أن مصرنا كان لها النصيب الأوفر من هذا التدهور العام ، فبعد أن بلغت ما بلغت فى أيام الإسلام دنت فتدلت حتى أصبحت قاب قوسين من الضياع — ولينظر قراؤنا الكرام إلى ما وصلت إليه حتى فى معانى الألفاظ فهى أصدق معيار لهذا النزول .

بعد أن كان الفقيه وصفاً للتبحر فى علم الدين أصبح اسم الفقى يدل على ما تعلم ويعلم قراؤنا الكرام ، وهكذا المزيكاتى والآلاتى .

وقد كان الموسيقى والموسيقار والمغنى والملحن بلغوا المكانة التى يحسدهم عليها بياض الناس ووجوه الدول . أما الأديب فأصبح اسمه الأدباتى . وأما الشاعر فإن كان له أن يقول : بأنه حفظ اسمه كما هو فإنا نجيبه بأنه قد أضاع معناه . واسألوا القرى والسواد الأعظم من أهل المدائن فى مصر ينبئونكم بأن الشاعر فى عرفهم إلى عهد

قريب إنما هو الذى يتغنى على الرباب بوقائع الهلالى ودياب. حصل النزول فى كل شىء، وفى كل معنى، حتى فى أفخم ألقاب الفروسية والفتوّة فكلنا يعلم ماذا يراد باسم البهلوان (الذى يلعب على الحبل) وقد كان لهذا اللفظ من المعانى أسماها وأعلاها، بحيث كان لا يتصف به إلا أكابر القوّاد والشجعان، أو أعاظم أصحاب التيجان.

مثال ذلك: السلطان الناصر «محمد بن قلاوون» الذى له اليد الكبرى على الفنون الجميلة وأهلها، والذى له الفضل الأوّل فى اتساع دائرة الآداب بظهور أكبر الموسوعات العربية الإسلامية «دوائر المعارف» بديار مصر فى عهده، ونعنى بها: «نهاية الأرب فى فنون الأدب» للنويرى، و «مسالك الأبصار فى ملوك الأمصار» لابن فضل الله العمرىّ. و «صبح الأعشى فى صناعة الإنشا» فى العلوم والآداب والفنون للعلامة «القلقشندىّ».

صبح الأعشى للقلقشندى ووصف مشتملاته

ولقد كانت هذه الموسوعة العظيمة من الموسوعات العلمية والأدبية والتاريخية التى عرفت: «بمشروع إحياء الآداب العربية» ذلك المشروع الجليل الذى تبناه المغفور له «أحمد حشمت باشا» وزير المعارف فى ذلك العهد برغبته السامية ورضاه الكريم.. حبًّا فى نشر المعارف والوعى الثقافى والأدبى، وإحياء التراث العربى، وعهد إلى العالم البحاثة المحقق أستاذى المرحوم «أحمد زكى باشا» أن يتولى شئونه، ويحقق الهدف المنشود بتنفيذه بطبع الكتب المختارة، المأخوذة بالتصوير الشمسى التى أحضرها المرحوم زكى باشا من مكتبات الآستانة بالمطبعة الأميرية ببولاق. واعتمد لهذا المشروع مبلغ ألف جنيه سنويًّا.

فقامت هذه المطبعة بطبع الكتب الآتية — وكان المرحوم زكى باشا يتولى تحقيقها وتصحيحها والتعليق عليها بنفسه:

١ — الجزء الأول من موسوعة ابن فضل الله العمرى «مسالك الأبصار فى ملوك الأمصار».

٢ — الجزء الأول من موسوعة النويرى: «نهاية الأرب فى فنون الأدب».

٣ ــ الأصنام ــ لابن الكلبي .
٤ ــ أنساب الخيل فى الجاهلية والإسلام وأخبارها لابن الكلبي .
٥ ــ التاج فى أخلاق الملوك للجاحظ .

ومن أبدع ما نقشه المصورون العرب فى عصر السلطان حسن صاحب الجامع المشهور باسمه بالقاهرة أنه جهز إحدى بناته، فكان من جملة شوارها دكة من بلُّور تشتمل على عجائب ، منها : زير من بلور قد نقش بظاهره صُوَر ناتئة على شبه الوحوش والطيور . وقدْر هذا الزير يسع قربة ماء .

(والمراد بالبلُّور هنا : هو البلُّور الصخرىّ) والنقش على هذا الزير يدلّ على حذْق فائق فى الصنعة ، ومهارة رائعة ، والإبداع الفريد قد لا نرى لها مثيلاً فى عصرنا هذا بديار الغرب مع ما بلغته .

وفى عهد الباحث المنقب العالم الأثرىّ المرحوم « على بهجت بك » عندما كان رئيساً لدار الآثار العربية (متحف الفنّ الإسلامىّ الآن) وكانوا يبحثون عن آثار « مدينة الفسطاط » عثروا فى أطلالها على قطع من الخزف المصقول البرّاق الملوّن بالألوان الزاهية ، المصوّر بصور الإنسان والحيوان وغيرهما ، وهى من بقايا أوان وأباريقَ عربية الصنع ، كتبت عليها أسماء صُناعها : كالغيبىّ والمصرىّ والشامىّ وغزال والهُرمزى وأبى العز [1] ، بل اكتشفوا الأفران التى كانت تصنع فيها هذه الأوانى ، فلم يبقوا للشك مجالاً فى عربيّتها ، والفضل فى هذا كله للعلامة الأثرىّ الباحث المنقب المرحوم « على بهجت» كما قال العالم الباحث المحقق المدقق المرحوم أحمد تيمور باشا فى كتابه « التصوير عند العرب » ونصه : « والفضل فى هذا كله لصديقنا العلامة الأثرىّ على بهجت بك رئيس دار الآثار العربية ، ولم يزل ــ أعانه الله ــ جادًّا فى الحفر والتنقيب إلى اليوم » . يعنى باليوم الذى كانا موجودين فيه على قيد الحياة .ــ رحمهما الله تعالى وأسكنهما فسيح جناته ــ ومنهم الكاتب العبقرىّ ، والمنشئ البليغ « ابن فضل الله العمرىّ » مؤلف الموسوعة الخطيرة « مسالك الأبصار فى ملوك الأمصار» فى الجغرافيا والتاريخ والأدب رئيس « ديوان الإنشاء »

---

(١) سنذكر تراجمهم ضمن أسماء نوابغ المصورين والرسامين من العرب فى العصور الإسلامية . فى هذا القسم .

فى عصر الملك المنصور « قلاوون ملك مصر » ، وقد وصفناها وصفاً وافياً فى صفحات مجلة (منبر الإسلام) .

* * *

ومن الأوانى العربية المصوّرة المحفوظة الآن بمتحف الفنّ الإسلامىّ « دار الآثار العربية سابقاً » قمقم للعطر من الصّفر مكفت[1] بالفضة مكتوب عليه : « يا فاعل الخير » وعليه صورة جماعة يضربون على آلات الطرب . وإناء نقش عليه اسم : (محمد بن فضل الله) أحد بنى فضل الله العمرىّ المشهورين بكتابة الإنشاء كالعهود والتقاليد ، والهُدَن ، وغيرها بديوان الإنشاء بمصر ، وطرّزت حافته بكتابة فيها ألقابه ، يتخللها صُوَر طيور ، وإناء آخر عليه صُورة فارس .

وفى « متحف الفنّ الإسلامىّ » غير ذلك من الأوانى كالطاسّات والصوانى والمصوّرة بأشكال الحيوان التنانير المنقوشة بصور الفرسان[2].

---

(١) يريدون بالتكفيت : تنزيل الذهب والفضة فى النحاس ونحوه كالتطعيم فى الخشب ، ويقال له : الكفت أيضاً ، ولصانعه الكفتّى ، ومنه قول بعضهم :

بى كفتّىٌّ سبانى حسنه — لا أرى من حبه لى مخرجا
مد تبراً فى حديد فحكى — قمراً طرّز بالبرق الدُّجى

وقول آخر :

لله كفتّى أطاع صبابتى — فيه الفؤاد وخالف اللّوّاما
مد الشريط على الحديد فخلته — قمراً يطرّز بالبروق غماما

وكلها ألفاظ مولدة ، وكان لهذه الصناعة رواج بمصر ، ولأهلها اشتغال بها على ما فى « خطط » المقريزى . ثم انقطعت منها ، وبقيت منها بقية بالشام إلى اليوم . وكذلك بخان الخليلى بالقاهرة .

(٢) التصوير عند العرب للعالم الباحث المحقق المرحوم أحمد تيمور باشا .

إحياء صناعات عربية فنية دقيقة

وكادت هذه الصناعات العربية التاريخية الرائعة المجيدة المعروفة « بالتكفيت » وقد حازت إعجاب العالم لمهارتها الفائقة ، ودقتها البديعة تنقرض من خان الخليلى . هذا المكان التاريخى المعروف منذ مئات السنين لولا أن « حكومة الثورة المباركة » تداركت الأمر بإدخال أجيال جديدة تدفع الحياة حارّة فى عروق خان الخليلى ! كما تفعل الدماء الشابّة دائماً مع العلم والتوجيه فى إعادة الحياة حارّة قوية ، ستعود الحياة من جديد إلى الحىّ الشرقى القديم ، خان الخليلى على أيدى ٥٠ صبياً من الأحياء الشعبية التى تلف الجامع الأزهر ومسجد الحسين ، وذلك بعد أن تناقص عدد صنّاع الحرف التى اشتهر بها الحى القديم وأوشكت شمس شهرته أن تغيب نتيجة الموت والمرض .

كان الخوف على انقراض هذه الحرف التقليدية وعددها خمس : هى حفر وزخرفة المعادن ، تطعيم الخشب بالصدف ، الزجاج المعشق بالجبس والألوان ، خراطة الخشب وصناعة المشربيّات ، الخيام ، دافعاً تحركت من أجله إدارة الفنون الجميلة وأقامت مدرسة اسمها «مدرسة الحرف التقليدية» تضم ٥ فصول تعلم الحرف الخمس كما يقول أحمد ماهر المشرف على المدرسة . وقد اختارت لها وكالة الغورى مقراً .

ويستمر قائلاً : والمدرسة يقوم بالتدريس فيها أسطوات من أمهر معلمى الحى القديم ، بينهم «محمد ناجى» الذى اشتهر فى حىّ خان الخليلى خلال ٤٠ سنة عمل فيها كأحسن من يحفر النحاس ، « وعمر عبد النبي الأوسطى » الذى يعلم الصبيان تطعيم الخشب بالصدف .

وفى فصل تعليم صناعة الخيام اسأل أحد الأسطوات الصغار ولا يزيد عمره على ١٠ سنوات : كم ساعة تقضيها فى المدرسة ؟ .

ويرد : من ٩ صباحاً حتى الثالثة مساء ، ثم أذهب إلى المدرسة الابتدائية من الرابعة حتى الثامنة .

وفى فصل تطعيم الخشب بالصدف سئل الأسطى عبد النبي عن الأجر الذى يتناوله الصبى الصغير ، ويرد بين ٧ و ٢٥ قرشاً يومياً حسب شطارته .

وأستفسر عن الثمن الذى يباع به الطبق ، فيرد بين ٥٠ و ٦٠ جنيهاً للكبير و ١٠ و ٢٠ للطبق الصغير .

إن المدرسة التى تخرج أسطوات ومعلمين يردون الحياة إلى خان الخليلى فكرة ناجحة فى حدّ ذاتها ، ولكنها تكون أنجح إذا ما تضمنت براجمها الدروس التى يتلقاها تلاميذ المرحلة الأولى فى المدارس الحكومية حتى نجنّب الصبيان الصغار إرهاق يوم كامل ، وهم فى مرحلة الصبا ، بين الحفر والتطعيم والزخرفة طوال ٦ ساعات ، ثم الدراسة الإجبارية التى ينصّ عليها القانون فى المرحلة الأولى مدة ٤ ساعات [١].

أما التصوير فى أيام الفاطميين فقد ذكرنا أمثلة منها فيما سبق ، وصفنا الجوائز الأدبية التى كانت تمنح فى عصر الدولة الفاطمية « للشعراء البارزين » وكذلك السلطان « الملك الأشرف خليل بن قلاوون » أنشأ بالقلعة مشترفاً أسماه « الرفرف » وجعله عالياً بحيث يشرف على الجيزة كلها ، وبيضه وصور فيه أمراء الدولة وخواصها ، وعقد عليه قبة على عمد وزخرفها ، وكان مجلساً يجلس فيه السلطان . واستمر جلوس الملك به حتى هدمه أخوه الملك الناصر « محمد ابن قلاوون » سنة ٧١٢ هـ .

* * *

وقد جرى مثل ذلك للقصير وابن عزيز [٢] فى أيام اليازورى [٣] سيد الوزراء الحسن بن علىّ بن عبد الرحمن ، وكان كثيراً ما يحرّض بينهما ، ويُغرى بعضهما على بعض لأنه كان أحبّ ما إليه كتابٌ مصوّر ، أو النظر إلى صورة أو تزويق . ولما استدعى ابن عزيز من العراق فأفسده . وكان قد أتى به فى محاربة القصير ، لأن القصير كان يشتطّ فى أجرته ، ويلحقه عجب فى صَنعته ، وهو حقيق بذلك ، لأنه فى عمل الصورة كابن مقلة فى الخطّ ، وابن عزيز كابن البوّاب .

وقد شرح المقريزى ذلك فى الكتاب المؤلف فيه ، وهو : «طبقات المصوّرين» المنعوت : « بضوء النبراس وأنس الجلاس فى أخبار المزوّقين من الناس » .

وكان اليازورى قد أحضر بمجلسه القصير وابن عزيز . فقال ابن عزيز :

---

(١) نقلا عن جريدة الأهرام فى العدد الصادر فى ٢ رمضان سنة ١٣٨٤ هـ (٥ يناير سنة ١٩٦٥م)

(٢) سنذكر ترجمتهما فى نوابغ المصورين والرسامين من العرب فى العصور الإسلامية .

(٣) اليازورى : نسبة إلى يازور (بالمثناة التحتية فى أولها) وهى بليدة بسواحل الرملة من أعمال فلسطين ، ينسب إليها الوزير المذكور . وقد يتصحف باليازورى (بالموحدة) فى بعض كتب التاريخ المطبوعة فليتنبه له .

أنا أصوِّر صورةً إذا رآها الناظر ظنّ أنها خارجة من الحائط . فقال القصير : لكن أنا أصوّرها فإذا نظرها الناظر ظنّ أنها داخلة فى الحائط . فقالوا : هذا أعجب ، فأمرهما أن يصنعا ما وعدا به . فصوّرا صورة راقصتين فى صورة حنيتين (عقدين) مدهونتين متقابلتين ، هذه ترى كأنها داخلة فى الحائط . وتلك ترى كأنها خارجة من الحائط . فصور القصير راقصةً بثياب بيض فى صورة حنية كأنها داخلة فى الحنية . فاستحسن اليازورىّ ذلك وخلع عليهما ووهبهما كثيراً من الذهب .

* * *

وكان بدار النعمان بالقرافة من عمل الكتامىّ صورة يوسف (عليه السلام) فى الجبّ وهو عريان ، والجبّ كله أسود ، إذا نظره الإنسان ظنّ أن جسمه باب من دهن لون الجب(١) .

* * *

وكتب الباحث المحقق الدكتور زكى محمد حسن مدير دار الآثار العربية (متحف الفن الإسلامىّ الآن) تعليقاً فى هوامش تعليقاته فى كتاب (التصوير عند العرب) للعالم الباحث المحقق المدقق المرحوم أحمد تيمور باشا هذا نصه :

« وقد وجدتُ على جدران حمّام فاطمىّ فى منطقة أبى السعود جنوب شرقى القاهرة صُوَراً ملوّنة .

وهذا الحمام الفاطمىّ قد عثرت عليه دار الآثار العربية سنة ١٩٣٢ م فى الحفائر التى تقوم فيها للتنقيب عن الآثار بجوار أبى السعود ، وقد نقلتْ الصور التى وُجدت فيه إلى دار الآثار (متحف الفنّ الإسلامىّ الآن) وهى ملوّنة بالأحمر والأسود ، وقد أصابها تلف عظيم ، ولكننا لا نزال نرى بينها رسم إنسان تحيط برأسه هالة وعليها عمامة جميلة ، وفى يده اليمنى كأس يحمله على النحو الذى نعرفه على نقوش التحف فى العصر الساسانىّ ، وفى فجر الإسلام .

وفى إحدى الصور الأخرى رسم طائرين متقابلين تعلوهما فروع نباتية حمراء ، وحولها شريط أسود به نقط بيضاء .

وفى صورة ثالثة رأس شابّ يلتفت إلى اليسار . وفى صورة رابعة أثرٌ لرسم سيدة تتدلى عصابة رأسها إلى الجهة اليمنى .

وهذه النقوش تدل فى مجموعها على تأثرها بأساليب النقش فى إيران والعراق .

---

(٣) هذه النصوص منقولة من خطط المقريزى (ج ٢ ص ٣١٢ طبعة بولاق) .

رسومٌ محفورةٌ فوقَ جدرَان بيت قبلى القاهرة :

وفى كشف حديث جداً عثر الزميل الأستاذ حسين راشد رئيس أمناء دار الآثار العربية ، فى شهر نوفمبر سنة ١٩٤١ م على رسم محفور فوقَ جدران القصر الذى كشف بجوار الحمام الفاطمى فى منطقة تلال أبى السعود قبلى مدينة القاهرة ، ويمثل هذا الرسم شكلين لآدميين محفورين حفراً على طبقة من طبقات الملاط فوق الجدار فى مساحة تبلغ ٤٠ × ٤ سنتيمترات . ويُمثل أقصى الشكلين إلى اليمين رجلاً مرسوماً فى أسلوب فرعونى : الرأس والساقان والقدمان منظورة من الجانب . وسائر الجسم منظورٌ من الأمام . والذراع اليسرى ممدودة إلى الأمام تمسّ فاكهةً فوقَ مائدة القربان .

أما الشكل الآدمى الآخر فمرسومٌ فى أسلوب نعرفه فى الرسوم الإسلامية الأولى على البرْدى والجلد والورق والفخار . ويمثل رجلاً يكاد يكون عارياً ، وهو واقفٌ وفى يده سلسلة تمتد إلى وسط شكل ثالث ربما كان قرداً فى يده دُفّ . وإذا صحّ هذا فإن الرسم يمثل منظراً شعبياً من مناظر اللهو والتسوُّل فى طرقات القاهرة[١]».

* * *

وذكر ناصر خسرو فى كتابه (سفرنامة) وهو رحالة جاب بلاد الشرق سنة ٤٣٧ — ٤٤٤ هـ ودخل مصر أنه رأى بها فى قصر الفاطميين « دست الخليفة المستنصر » وهو من الذهب والفضة الخالصَين . وعليه كتاباتٌ وصُوَرٌ وصيادون تشهد لصانعها بالحذق والبراعة .

وفى دار الآثار العربية (متحف الفن الإسلامى الآن) لوْحُ خشب من خزانة ، عليه صورة طائر بديع الصنع بقى بعضه وذهب سائره ، وإطار باب من خشب أيضاً عليه صُورٌ من الحيوان والطيور الكثيرة ، بالغة الغاية من المهارة فى التصوير ، وكرسى من صُفر عمل سنة ٧٢٨ هـ للناصر محمد بن قلاوون ، وكتبت عليه ألقابه بالخط الكوفى وعليه صُوَرُ بطّ ، إشارة إلى اسم « قلاوون » لأنه بهذا المعنى فى التركية القديمة . وهو من عمل محمد بن سنقر البغدادى السنانى ، كما هو

(١) راجع هذه التعليقات فى كتاب « التصوير عند العرب » للمرحوم أحمد تيمور باشا (ص ١٥٢ — ١٥٤) .

منقوش عليه . وفيها غير ذلك مما يطول شرحه .

وحكى العلامة المؤرخ المسعودىّ فى كتابه « التنبيه والإشراف » أنه اطلع على عدّة مصورات[١]، فرأى أحسنها الصورة المأمونية التى عملت للمأمون الخليفة العباسىّ ، واجتمع على صُنعها عدّة من الحكماء . وصوروا فيها العالم بأفلاكه ونجومه وبره وبحره وعامره وغامره ومساكن الأمم والمدن وغير ذلك .

وكتاب « أحسن التقاسيم » للعلامة المؤرخ المقدسىّ كان مصوراً كما يعلم من عدّة مواضع فيه . ويكفى فى هذا قوله فى أوله :

« ثم فصلنا كور كل إقليم ، ونصبنا أمصارها ، وذكرنا قصباتها ، ورتبنا مدنها وأجنادها بعد ما مثلناها ، ورسمنا حدودها وخططها ، وحرّرنا طرقها المعروفة (بالحمرة) وبحارَها المالحة (بالخضرة) وأنهارَها المعروفة (بالزرقة) وجبالها المشهورة (بالغبرة) ليقرُب الوصف إلى الأفهام ، ويقف علية الخاصّ والعامّ » .

وذكر العلامة المؤرخ « القفطىّ » فى كتابه « تاريخ الحكماء » : أن للصوفىّ من علماء القرن الرابع الهجرىّ كرة من فضّة عملها لعضد الدولة اشتريت بثلاثة آلاف دينار لخزانة كتب القاهرة . وكانت بها سنة ٤٣٥ هـ » .

وهو أبو الحسن عبد الرحمن بن عمر الصوفىّ ، من عباقرة علماء الهيئة فى القرن الرابع الهجرىّ . وله كتاب « صور الكواكب » ويعرف أيضاً بكتاب « معرفة النجوم الثوابت » ، ألفه لعضد الدولة أيضاً . كتب سنة ٩٤٨ هـ . ويحتوى هذا الكتاب على ما ينوف عن ٢٠ صورة غير بديعة الصنع وقد نقلنا منه صورتين فى القسم الأول .

العلماء المعاصرون

وفى ختام هذه المقدمة نذكر أننا كنا نستعين بالعلماء المعاصرين الباحثين الذين عرفوا بالبحث والتحقيق والتنقيب عن الآثار العربية الإسلامية ، ولهم المؤلفات النفيسة القيمة التى تدلّ على نبوغهم وعبقريتهم وتعمّقهم فى هذا السبيل .

---

(١) المصورات : هو اللفظ العربى الذى عبر به المؤلفون عما نسميه اليوم « بالخرائط » .

وفى مقدمتهم العالم الباحث المحقق الدكتور زكى محمد حسن مدير دار الآثار العربية قتئذ (المتحف الإسلامىّ الآن » وأستاذ الآثار الإسلامية بكلية الآداب بجامعة القاهرة . وله عدة مؤلفات فى الآثار العربية الإسلامية ، منها كتاب « كتاب الإسلام » طبـ مصر ١٩٤٨ ، وله التعليقات النفسية فى هوامش كتاب « التصوير عند العرب » للعالم الباحث المحقق المدقق المرحوم « أحمد تيمور باشا » وهى تدلّ على سعة اطلاعه ، وعنايته ودقته فى البحث والتحقيق .

ونورد هنا صورة الخطاب الذى تفضل مشكوراً بإرساله إلينا .

لجنة حفظ الآثار العربية

دار الآثار العربية

عزيزي المحترم عبد الجواد افندي

تحية وبعد

فموجود بدار الآثار العربية مصورات على آثار من الخشب والفخار ــــ والأب لامانس كتب مقالا طويلا عن التصوير في الإسلام نشر بالمجلة الآسيوية Journal Asiatique فضلا عن أن تيمور باشا قد كتب عن التصوير عند العرب في مجلة الهلال السنة الماضية وسوف أذكر لكم مصادر أخرى لو وجدت

المخلص

زكي محمد حسن

بدار الآثار العربية

٢ سبتمبر ١٩٢٩

حاشية انظر كتاب الفنون الجميلة قديما وحديثا (التصوير) تأليف أحمد يوسف طبع سنة ١٩٢٢ مصر

حاشية ٢

كتاب Kusair Amra

تأليف Alois Musil طبع ألمانيا ١٩٠٢

قصير عمرا (بالألمانية) ج١ ص٢٢٧ النص الآتي

(الحمام النافع وفيه

((تصاوير بديعة الصنعة بينة الحسن مثل عاشقه ومعشوقه ومثل رياض وبساتين وطرد خيل ووحوش فإن في تصوير مثل هذه تقوية قوية بليغة لجميع قوى البدن الحيوانية والطبيعية والنفسانية وقال الحكيم بدر الدين بن مظفر قاضي بعلبك في كتابه مفرح النفس قد أجمع الأطباء والحكماء والأدباء قاطبة على أن النظر إلى الصور الجميلة البديعة الجمال يفرح النفس وينشطها ويزيل عنها الأفكار والوسواس السوداوية ويقوي القلب قوة لا مزيد عليها بسبب إزالة الأفكار الرديئة عنه ثم قالوا فإن تعذر حصول النظر إلى الصور الجميلة فليكن النظر إلى صور جميلة متقنة الصنعة مصورة في الكتب أو في الهياكل أو في القصور الشريفة وهذا المعنى قد ذكره الحكيم محمد بن زكريا الرازي رحمه الله وبالغ في ملازمة فعله لمن يعرض لنفسه أفكار رديئة ووساوس فاسدة غير موافقة للنظام الطبيعي وقال فإن الصور الجميلة إذا جمعت إلى صورتها حسن الأصباغ المألوفة من الأصفر والأحمر والأخضر والأبيض مع ضبط نسبة المقادير في أشكالها فإنها تشفي الأخلاط السوداوية وتزيل الهموم الملازمة لنفس الإنسان وتزيل الكدورة عن الأرواح لأن النفس تلطف وترق بالنظر إلى مثل هذه الصور فيتحلل ما فيها من الكدورة)) اهـ.

التصوير فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم

صورته عليه الصلاة والسلام وصور بعض أصحابه رضوان الله عليهم

وأما من أظهر تمثال صورته صلى الله عليه وسلم وصُوَر بعض أصحابه (رضى الله عنهم) وذلك مصوّر عندهم فى بيوت فى بيعهم .

فمن ذلك ما رُوِىَ عن دحية بن خليفة الكلبىّ — رسولُ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى قيصر — أنه قال : « لقيت قيصر بكتاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو بدمشق ، فأدخلت عليه خالياً ، فناولته الكتاب ، فقبل خاتمه وفضّه وقرأه ، ثم وضعه على وسادة أمامه ، ثم دعا بطارقته وزعماء دينه . فقام فيهم على وسائد بُنِيت له ، ثمّ خطبهم فقال : هذا كتابُ النبىّ الذى بشر به عيسى المسيح ، وأخبر أنه من ولد إسماعيل . قال : فنخروا نخرةً عظيمةً وحاصوا . فأومأ إليهم بيده أن اسكتوا . ثمّ قال : إنما جرّبتكم لأرى غضَبكم لدينكم ونصركم له . وصرفه . ثمّ استدعانى من الغد فأخلانى وآنسنى بحديثه ، وأدخلنى بيتاً عظيماً فيه ثلثمائة وثلاث عشرة صورة . فإذا هى صُوَر الأنبياء المرسلين — صلوات الله عليهم وسلم — فقال : انظر منْ صاحبك من هؤلاء ؟ فنظرتُ ، فإذا صورةُ النبى (صلى الله عليه وسلم) كأنما ينطق . فقلتُ : هو هذا . فقال : صدقتَ ! ! ثمّ أرانى صُورةً عن يمينه فقال : منْ هذا ؟ قلت : هذه صُورةُ رجل من قومه اسمه : أبو بكر الصديق (رضى الله عنه) . فأشار إلى صورة أخرى عن يساره . فقلت : هذه صُورةُ رجل من قومه يقال له : عمر (رضى الله عنه) فقال : إنا نجد فى الكتاب أنّ بصاحبيه هذين يتمّ الله أمره .

قال دحية : فلما قدمتُ على النبىّ (صلى الله عليه وسلم) أخبرته قال : صدق ! ! بأبى بكر وعمر يتمّ الله هذا الأمر بعدى والله الموفق [1] ا هـ .

---

(١) راجع نهاية الأرب فى فنون الأدب للنويرى (ج ١٤ قسم أول ورقة ٤٩ ، ٥٠ من النسخة الفتوغرافية المحفوظة بدار الكتب والوثائق القومية برقم ٥٤٩ معارف عامة).

صور الأنبياء والرسل
عليهم الصلاة والسلام

أما فى الكتب فقد صُورت صُورة النبىّ (صلى الله عليه وسلم) وهو يحاصر «حصْن بنى النضَير » وقد ظهر له « الملك جبريل » مجنحاً فى كتاب عربى قديم ، مخطوط فى القرن الثامن الهجرىّ . وهذا الكتاب محفوظ فى المتحف البريطانىّ .

هذا وقد اشتغل بصناعة « التصوير » مصورون فى الصدر الأول للهجرة ، يدلّ على ذلك ما رواه الإمامان : البخارىّ ومسلم عن رجل جاء إلى ابن عباس رضى الله عنه يستفتيه فى أمر التصوير فقال : إنى رجلٌ أصنع هذه الصور فأفتنى ... إلى آخر ما جاء فى الحديث .

وقد قابلت امرأة الجاحظ فى بعض الطريق فقادته إلى صانع صُوَر لتريه الشيطان : فيصوِّره لها .

وذكرنا ذلك ووفيناه شرحاً وتفصيلاً فى القسم الأوّل من هذا الكتاب .

أسماء المصوّرين والرسامين والمزوّقين والمزخرفين من العرب فى أزهى العصور الإسلامية

هذه الأسماء قد رتبناها على الحروف الهجائية دُونَ مبالاة بأداة التعريف ، أو أب ، أو ابن ، أو أبو ، أو بنو ، مثال ذلك :

« البصريون » قد وضعناه فى حرف الباء و « أبو تجزأة » فى حرف التاء . « وابن الرزّاز » فى حرف الراء ، و « ابن الزيات » فى حرف الزاى ، و « بنو المعلّم » فى حرف الميم وهكذا . فتنبّه .

(حرف الألف)

إبراهيم بن غنائم بن سعيد :

أحد مهندسى القرن السابع الهجرىّ كان متصلاً بالملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارىّ ، وهو الذى بنى له أبنيته بدمشق ، ومن جملتها قصر بمرجة دمشق . ذكره ابن طولون الصالحىّ فى كتابه : ذخائر القصر بتراجم نبلاء العصر ، وقال : إنه عمل على وجهته الشرقية مائة أسد منزلة صُوَرها (ربما كانت منزلة صُوَرها بأسود فى أبيض) وعلى الشمالية اثنى عشر أسداً منزلة صُوَرها بأبيض فى أسود .

أحمد بن إدريس القرافى :

الفقيه العلامة أحدُ أئمة المالكية بمصر ، المتوفى بها سنة ٦٨٤ . كان مع تبحره فى عدّة فنون . من البارعين فى عمل التماثيل فى الآلات الفلكية .

وذكر ابن طولون الحنفىّ الصالحىّ فى رسالته : (قطرات الدمع ، فيما ورد فى الشمع) ما نصه :

وعن الشيخ شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافىّ المالكىّ قال فى « شرح المحصول » : بلغنى أن الملك الكامل وضع له شمعدان كلما مضى من الليل ساعة انفتح بابٌ منه ، وخرج منه شخصٌ يقف فى خدمة الملك ، فإذا انقضتْ عشر ساعات طلع الشخص على أعلى الشمعدان ، وقال صبَّحَ الله السلطان بالسعادة ، فيعلم أن الفجر قد طلع . قال : وعملت أنا هذا الشمعدان ، وزدتُ فيه : أنّ الشمعة يتغير لونها فى كلّ ساعة . وفيه أسدٌ تتغير عيناه من السواد الشديد إلى البياض الشديد إلى الحمرة الشديدة ، فى كل ساعة لها لونٌ ، فإذا طلع شخصٌ على أعلى الشمعدان ، وإصبعه فى أذنه يشير إلى الآذان ، غير أنى عجزتُ عن صَنعة الكلام . وعمل تمثال رجل إصبعه فى أذنه يظهر وقتَ طلوع الفجر مشيراً إلى الأذان .

وقد حكى ذلك عن نفسه فى شرحه « للمحصول فى أصول الفقه للفخر الرازىّ » ونقله عن ابن طولون الصالحىّ فى رسالته : « قطرات الدمع فيما ورد فى الشمع » .

أحمد بن علىّ المصرىّ (الرسام) :

وُلد بعد سنة ٧٥٠ هـ وتوفى سنة ٨١٧ هـ ، وعانى صناعة الرّسم ، وتعاطى النظم مع عامية شديدة ، ولكنه كان سهلاً عليه ، وكان عند إنشاده الشعر كأنه يتكلم لعدم تكلفه ذلك . ترجمه السخاوىّ فى « الضوء اللامع » .

أحمد الواقع :

من متأخرى المصورين ، له بدار الآثار العربية بالقاهرة لوحٌ من القيشانى عليه صورة الكعبة وبعض المشاهد بالحرم ، وعلى حواشيه منائر وأبواب ، عمله سنة ١٠٧٤ هـ ونقش عليه اسمه .

أحمد بن يوسف بن هلال الحلبىّ :

كان مزوقاً رائعاً ، ومزخرفاً بارعاً . أولع بصنع الأوضاع المستحسنة العجيبة فى رسومه وزخارفه ، وبرع فى النقش والتجميل والتذهيب والترميك : (التزيين بالذهب والألوان) توفى سنة ٧٣٧ أو ٧٣٨ هـ .

الأمير سعود :

الملقب بعزّ الدين صاحب الموْصل وحلب ، ابن الأمير سعيد الدين قسيم الدولة آقسنقر الدمشقىّ ، ترجمه ابن الفرات فى وفيات سنة ٥٢١ من تاريخه . فذكر أنه كان من أذكى الناس ، وكان ذا فكر دقيق فى القصّ والتصوير والتزويق ، لا يلحقه أحدٌ فى ذلك .

(حرف الباء)

بدر أبو يعلى :

من آثاره تنوّر بدار الآثار العربية (متحف الفنّ الإسلاميّ) ، منقوش بآيات الصناعة الرائعة البديعة المحكمة الصنعة ، وفى إحكام رسوم زخارفه ، قد نقش عليه ما نصه : «عمل المعلّم أبو يعلا فى شهورسنة ثلاثين وسبعمائة فى مدة أربعطشر يوم » يريد أربعة عشر يوماً فجاء هكذا لعَمِّيته .

البصريون :

ذكرهم المقريزى وذكر أنهم اشتراكوا مع بنى المعلّم فى تزويق « جامع القرافة» الذى جددته السيدة العربية « تغريد » أمّ الخليفة العزيز بالله الفاطمىّ سنة ٣٦٦هـ. ويُعلم من إطناب المقريزى فى وَصْف هذا التزويق أنهم كانوا من أساطين الفنّ ، ونوابغ المصورين الماهرين العباقرة فى عصرهم .

أبو بكر محمد الجلومىّ الحلبىّ :

هو أبو بكر بن أحمد النقاش الحلبى الجلومىّ ، شيخ مسنّ ، خدم أساتذته النقاشين من الأعاجم ، واستفاد منهم ، ومهر فى نقوش البيوت ، وكتابة الطرازات على طريق القاطع والمقطوع ، وفى نقوش ما كان لكفّالى حلب وغيرهم من الرماح والسروج والذهب واللازورد، مع معرفة طريقة حله . وفى صنعة التركاش.[1] وضعاً ونقشاً ، وصنعة اللوح الذى يكتب فيه ، وصنائع أخرى تتمّ عشرين صَنعة .

وكانت له سلعة عظمى تناهز بطيخة بالقرب من كتفه ، سببها أنه طلب إلى آمد للنقش فى عمارة جددت بها ، فرافقه نقاش شرقىّ شيعىّ ، فشعر باسمه ، فضربه على ظهره بخشبة ضرباً مبرحاً أمرضه مدّة . وأدّى إلى أن كانت له هذه السلعة ،

(١) التركاش ، والأكثر فى الاستعمال التركش : كلمة مولدة فارسية الأصل يريدون بها كنانة السهام .
(راجع در الحبب فى تاريخ أعيان حلب لابن الحنبلى) .

ولما أسنّ هيأ له كفناً وقبراً . وسألنى فى بيتين ينقشهما عليه ؛ فقلت :

أبو بـــكر النقاش أحوج سائل ... إلى رحمـــة تغضية عن موجب الوزر

فيا أيهـــا المجتاز نحو ضريحـــه ... تمهل قليـــلاً داعيـــاً لأبى بكر

ثم مات سنة سبعين بعد جلوسه فى بيته لتلاوة (القرآن) انتهى . وقوله : سنة سبعين ، أى وتسعمائة .

أبو بكر محمد بن الحسن :

ذكر ابن خلكان أنه كان يعانى صنّاعة النقش فاشتهر اسمه بالنقش ، ثم اشتغل بالعلم والتفسير ، ولد سنة ٢٦٥ هـ .

(حرف التاء)

أبو تجزأة :

كان يصنع الأصنام فى الجاهلية ويبيعها ، ذكره الأزرقىّ فى « أخبار مكة » والفاسى فى « شفاء الغرام ». ونظنه أبا تجزأة مولى شيبة بن عثمان الحجبىّ بالحلف المذكور فى « الإصابة » للحافظ ابن حجر ، و « أخبار أمّ القرى » للفاكهىّ ومادة (ج ز أ) من القاموس وشرحه ، وإن كانوا لم يتعرّضوا لصَنعة الأصنام وبيعها فى الجاهلية ، وقد ضبطه الحافظ ابن حجر فى « الإصابة » بكسر المثناة وسكون الجيم ، وضبطه صاحب القاموس « بضم التاء وسكون الجيم » ، وزاد شارحه « فتح الزاى » ، ليتنبه إلى أنه ورد محرفاً فى نسخة « الإصابة » المطبوعة بمطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٣٢٨ هـ بأبى تجرأة « بالراء المهملة » . وفى نسخة « أخبار مكة » للأزرقىّ المطبوعة بليبسيك سنة ١٨٥٨ م بأبى تجارة[1] .

---

(١) راجع « التصوير عند العرب » للعالم الباحث المحقق المدقق المرحوم أحمد تيمور باشا (ص ١٠٥ ، ١٠٦) .

(حرف الجيم)

جوّاد بن سليمان بن غالب اللخميّ :

برع في النقش ورسم الهياكل المدوّرة فى المصاحف ، وبلغ الغاية فى نقش الخواتم ، وأجزاء المينا عليها . وأتقن فنوناً أخرى كالزركشة والتطريز والنجارة والتطعيم . مات سنة ٧٥٦ هـ .

(حرف الحاء)

أبو الحسن علىّ بن أحمد المعروف بابن الأَيسر الخيمى :

هو أبو الحسن على بن أحمد المعروف بابن الأيسر الخيمىّ . كان حائك طرّاز ، ماهراً فى عمله ، عبقريـّا فى صناعة الخيام ومن صناعته الباهرة ، وفنه الرائع ، ودقته الفائقة ما حكاه العلامة المؤرخ المقريزىّ فى خططه (ج ا ص ٤١٩ بولاق) ونصه : « ومن الخيام الكردوانىّ خيمة كبيرة مدوّرة كردوانىّ مليحة النقش والصنعة ، عدّتها قطع كثيرة ، طول عمودها خمسة وثلاثون ذراعاً . والفسطاط الكبير المعروف بالمدوّرة الكبيرة . المتولى عمله بحلب أبو الحسن علىّ بن أحمد المعروف بابن الأيسر فى سنى نيف وأربعين وأربعمائة . المنفق على خرقه ونقشه وعمله وعدّته ثلاثون ألف دينار . الذى عموده أطول ما يكون من صوارى درامين الروم البنادقة أربعون ذراعاً ، ودائرة فلكه وعموده أربعة وعشرون شبرا ، ويحمل على سبعين جملاً ، ووزن صُفريته الفضّة قنطاران سوى أنابيب عُمُده ، ويتولى إتقان عمده ونصبه مائتا رجل : من فرّاش ومعين ، وهو شبيه بالقاتول العزيزىّ . وسمى بالقاتول ، لأنه ما نصبَ قطّ إلا وقتل رجلاً أو رجلين ممن يتولى إتقانه من فرّاش وغيره » .

حمدان الخرّاط :

أحد مصَوّرى البصرة فى النصف الأخير من القرن الثانى للهجرة . كان مصوراً قديراً فى صُوَر الأشخاص والحيوان (١) .

(حرف الراء)

ابن الرزّاز :

هو أبو العزّبن إسماعيل بن الرزّاز الجزرىّ ، مؤلِّف كتاب « الحيل الجامع بين العلم والعمل » وقد سبق وصفه فى القسم الأول من هذا الكتاب .

وقيل : هو أبو العزّ إسماعيل ، وقيل : كنيته أبو بكر ، ويلقب ببديع الزمان . قال العالم الباحث المحقق المرحوم أحمد تيمور باشا فى كتابه : « التصوير عند العرب » (ص ١٠٧) : « ولم نقف له على ترجمة تسق منها أخباره فى الفنّ . ولكن من يطالع كتابه هذا يعلم أنه كان من البارعين فى تصوير التماثيل المحرّكة بالحيل . وقد عثر علماءُ المشرقيات من الألمان على نسخة منه بإحدى خزائن القسطنطينية فوصفوه ، وترجموا منه فصولاً إلى لغتهم على ما بلغنا » اهـ . وهذه النسخة هى التى نقلها بالتصوير الشمسى العالم الباحث المحقق المرحوم أحمد زكى باشا ضمن الكتب التى نقلها من مكتبات استنبول « مكتبة طوبقابو سراى » لمشروع « إحياء الآداب العربية » فى عهد المعغفور له « أحمد حشمت باشا » وزير المعارف فى ذلك الوقت ، وهى محفوظة بدار الكتب .

ومن المعروف أن نور الدين محمد بن قرا أرسلان — أحد سلاطين بنى أرتق

---

(١) ذكر أبو الفرج الأصبهانى فى كتابه « الأغانى » : أنه كان اتخذ جاماً (إناء من فضة) لإنسان ، وكان بشار بن برد الأكه عنده . فسأله بشار أن يتخذ له جاماً فيه صور طير تطير ، فأتخذه له وجاءه به ، فقال له : ما فى هذا الجام ؟ فقال : طير تطير . فقال : كان ينبغى أن تتخذ فوق هذه الطير طائراً من الجوارح كأنه يريد صيدها ، فإنه كان أحسن . قال : لم أعلم ، قال : بلى قد علمت ! ولكن علمت أنى أعمى لا أبصر شيئاً ، وتهدده بالهجاء ، فقال له حمدان : لا تفعل فإنك تندم ، قال : أو تهددنى أيضاً ؟ قال : نعم ! قال : فأى شىء تستطيع أن تصنع بى إن هجوتك ؟ قال : أصورك على باب دارى بصورتك هذه ، وعلى عاتقك قرداً آخذاً بلحيتك حتى يراك الصادر والوارد . قال بشار : اللهم أخزه ، أنا أمازحه وهو يأبى إلا الجد) اهـ (نقلت بتصرف — ص ٢٧ جـ ٣)

فى ديار بكر — كان قد كلف فى حوالى سنة (١١٨١ م) ابن الرزاز الجزَرىّ أن يكتب مقالاً عن مخترعاته من الحيل الميكانيكية . وقد أتمّ الجزرى كتابه فى سنة (١٢٠٦ م) .

ويشتمل الكتاب على وصف الآلات الميكانيكية المختلفة : من ضاغطة ورافعة وناقلة ومتحرّكة . ويوجد عدة نسخ من هذا الكتاب محفوظة بمكتبات أوربا واستانبول .

ومن أهم هذه النسخ مخطوط فى « طوب‌اقبوسراى » فى استانبول (رقم ٣٤٧٢). وهذا المخطوط نسخه محمد بن يوسف بن عثمان فى سنة ٦٥٢ ﻫ (١١٥٤ م) .

ويشتمل هذا المخطوط على ٨٩ ورقة يحتوى بعضها على رسوم توضّح الآلات الميكانيكية المختلفة . وما يتصل بتركيبها من صُوَر آدمية وحيوانية ورسوم طير . وقد أشرنا إليه فى السطور السابقة من هذه الترجمة . وقد نقلنا منه صورتين فى القسم الأوّل .

رشيد الدين بن الصورى :

ومن المبرّزين فى علم النبات رشيد الدين بن الصورىّ المتوفى سنة ٦٣٩ ﻫ صاحب كتاب «الأدوية المفردة» وكان كثير البحث والتدقيق يخرج ليدرس الحشائش فى منابتها ، ويستصحب مصوراً معه الأصباغ والليق على اختلافها وتنوعها ، ويتوجه إلى المواضع التى بها النباتات فى لبنان وسوريا ، فيشاهد النبات ويحققه ويريه للمصوِّر ، فيعتبر لونه ومقدار ورقه وأعضائه وأصوله ويصور بحسبها بالدقة[١] وذلك غاية ما يفعله الباحثون فى هذا العلم اليوم . وقد نقلنا منه صورة فى القسم الأول.

---

(١) راجع طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة (ج ٢ ص ٢١٩) .

(حرف السين)

ابن السدّاد :

أحد مزخرفى النصف الأخير من القرن التاسع الهجرىّ ، وكان بارعاً فى صناعة التذهيب .

وتدرّب عليه فى صناعة التذهيب محمد بن محمد بن عيسى القاهرىّ .

أبو سعيد ابن الزيات :

أبو سعيد ابن الزيات اهتمّ بتصوير جانب لبيعة السيدة مريم . بحارة الروم بالقاهرة ، من صنعة أبى الفتح بن الأقمص المعروف بابن الحوفى المصورّ ، وكمل ذلك فى أمشير سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة للشهداء الأبرار [١] .

أبو سهل التسترى :

صانعٌ ماهرٌ فى الحياكة والطلاء والتصوير . عمل لوالدة المستنصر عشاريّاً يعرف بالفضى ، وحلى رواقه بفضة تقديرها مائة ألف وثلاثون ألف درهم . ولزم ذلك أجرة الصناعة . ولطلاء بعضه ألفان وأربعمائة دينار . واستعمل كسوة برسمه بمال جليل . وأنفق على العشاريات التى برسم النُزَه البحرية التى عدّتها ستة وثلاثون عشاريّاً بالتقدير بجميع آلتها ، وكساها وحلاها من مناطق ورؤوس متجوّفات وأهلة وصُفريات وغير ذلك أربعمائة ألف دينار [٢] .

وكان للعشارىّ بيت خاصّ : وهو بيت مثمّن من عاج وآبنوس ، عرْض كلّ جزء ثلاثة أذرع ، وطوله قامة رجل تامّ فيجمع بين الأجزاء الثمانية فيصير بيتاً ، دوره أربعة وعشرون ذراعاً ، وعليه قبة من خشب ، محكم الصناعة ، وهو بقبته ملبس بصفائح الفضّة والذهب . فيتسلمه رئيس العشارىّ المختصّ بالخليفة.

---

(١) راجع تاريخ أبى صالح الأرمنى (ص ٧ س ١٤ — ١٥) من النسخة المطبوعة فى المطبعة المدرسية فى مدينة أوكسفرد سنة ١٨٩٤ م .

(٢) راجع خطط المقريزى (ج ١ ص ٤٧٥ ، ٤٧٦ طبعة بولاق) .

وقال العلاّمة المؤرّخ المقريزيّ فى خططه (ج١ص ٤٧٥ طبع بولاق) ما نصه : « وقال فى كتاب الذخائر : إن مما أخرج من القصر فى سنة إحدى وستين وأربعمائة فى خلافة المستنصر قبة العشاريّ وقاربه وكسوة رحله . وهو مما استعمله الوزير أحمد ابن عليّ الجرجراى فى سنة ستّ وثلاثين وأربعمائة . وكان فيه مائة ألف وسبعة وستون ألفاً وسبعمائة درهم فضّة نقرة . وأن المطلق لصناع الصاغة عن أجرة ذلك ، وفى ثمن ذلك لطلائه خاصّة ألفان وسبعمائة دينار » .

(حرف الشين)

شعيب بن محمد بن جعفر التونى :

عانى فنوناً مختلفةً ، ولكنه اشتهر فى الترميك وبرع فيه . مات سنة ٧٧٠ هـ .

(حرف الظاء)

ظهير العجمى :

كان معاصراً لابن السداد ، وكان مزخرفاً ولكنه اشتهر فى شطْف اللاّزَوردْ . وتدّرب عليه فى « شطف اللازورد » محمد بن محمد عيسى القاهريّ .

(حرف العين)

عبد الرحمن بن عليّ بن محمد :

كان يعرف بابن مفتاح وبالدهان لمعاناته صناعة الدهانة ، وكان يشتغل بها ويكتسب منها . توفى قريب سنة ٨٦٠ هـ .

عبد عليّ البغداديّ :

أحد مصوّرى مدرسة « تيمورلنك» التى أنشأها فى سمرقند ، وأعماله بها تعدّ فى الطبقة الأولى بين زملائه ، وهو من مصورى القرن التاسع الهجريّ .

عبد الكريم الفاسىّ الشهير بالزريع :

من متأخرى المصورين على القاشانى ، له بذار الآثار قطعٌ عمل بعضها سنة ١١٧١ هـ وكتب عليها اسمه .

عبد الله بن الحسن المصرىّ :

كان من المزوّقين فى العصر الفاطمىّ . ذكره العالم الباحث المحقق المدقق ، المرحوم « أحمد تيمور باشا » فى كتابه : (التصوير عند العرب ص ١٠٧ — ١٠٨) وقال : « لم نقف له على ترجمة ، وإنما عرفناه من كتابة بقية المسجد الأقصى [١] » ، رآها السائح الهروىّ ، ونقلها فى كتابه : « الإشارات فى معرفة الزيارات » نصها : « بسم الله الرحمن الرحيم . سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله » . (نصر من الله وفتحٌ لعبده ووليه على أبى الحسن الإمام الظاهر لإعزاز دين الله أمير المؤمنين . صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين . أمر بعمل هذه القبة وإذهابها سيدنا الوزير الأجل صفىّ أمير المؤمنين وخالصته أبو القاسم علىّ بن أحمد أيدّه الله ونصره . فكمل جميع ذلك فى سلخ ذى القعدة سنة ستّ وعشرين وأربعمائة ، صنعه عبد الله ابن الحسن المصوّر المزوّق ») .

أبو العزّ :

أحد المصوّرين على الخزف ، ورد اسمه على بعض قطع خزفية مما عثر عليه الباحث العالم الآثارى المرحوم على بك بهجت فى أطلال الفسطاط .

---

(١) سنورد فى نهاية أسماء المصورين والمزخرفين الوصف الرائع الشافى ، والبيان التاريخى الوافى عن هذا المسجد الجليل للكاتب العبقرى البليغ ابن فضل الله العمرىّ) فى موسوعته الخطيرة «مسالك الأبصار» وتعد أكبر موسوعة عربية إسلامية فى الجغرافيا والتاريخ والآداب .

عزّ الدين بن جماعة :

عزّ الدين بن جماعة من المصوّرين البارعين . من تصويره الرائع ، وفنه البديع صورة منبع النيل الخالد وبحيراته العظيمة فى كتاب : « نيل الرائد فى النيل الزائد » للعلامة البلقينىّ .

* * *

ومن الكتب النفيسة التى اشتملت على صُوَر « منبع النيل ومجراه » : « كوكب الروضة » للعلامة الجليل الإمام جلال الدين السيوطىّ .

ابن عزيز :

من مصوّرى العصر الفاطمىّ العباقره . استدعاه الوزير اليازورىّ من العراق لمحاربة القصير فى التصوير ، لأن القصير كان يشتطّ فى أجرته ، ويلحقه عجبٌ فى صنعته فصنع فى حضرته عكس الصورة التى صنعها القصير . فصوّر الراقصة فى ثياب حُمْر فى صورة الحنْية (عقد) وقد دهنها أصفر . ينظرها الرائى كأنها بارزة من الحنية ، أبدع فيها .

علىّ بن عبد القادر بن محمد النقاش :

أخذ صناعة النقش عن زوج أمه وبرع فيها ، واشتغل فى حانوت بالصناعة وتكسب منها . وتوفى سنة ٨٨٠ هـ .

علىّ بن محمد :

أحد مصوّرى القرن الثامن الهجرىّ ، له بدار الآثار العربية صورة محراب قائم على عمودين وبأعلاه قنديل معلق فيه . صوّره سنة ٧١٦ هـ وكتب عليه اسمه .

علىّ بن محمد أمكى :

أحد المصوّرين على الزجاج ، له مشكاة بديعة بدار الآثار العربية (متحف الفنّ الإسلامىّ) صوّر عليها بالألوان أحد الرنوك[1] وكتب عليه اسمه .

---

(١) الرنك (بفتح فسكون وبالكاف المعقودة كالجيم المصرية) : لفظ فارسى ، معناه اللون .

ابن العميد :

هو أبو الفضل محمد بن الحسين بن محمد وزير ركن الدولة البويهيّ ، والعميد لقب والده . ذكره العالم الباحث المحقق المدقق المرحوم أحمد تيمور باشا فى كتابه : « التصوير عند العرب » (ص ١٠٩)فقال :

« وكان أبو الفضل محيطاً بعدّة علوم ، بارعاً فى عدّة فنون ، يعدّ من نوابغ المصورين فى عصره . وكانت وفاته سنة ٣٦٠ ه وقيل : سنة **٣٥٩** ه ترجمه ابن خلكان ترجمةً حافلةً ، وذكره ابن مسكويه فى « تجارب الأمم » فقال فى تعداد فضائله : كان يختصّ بغرائب من العلوم الغامضة التى لا يدّعيها أحد ، كعلوم الحيل التى يحتاج فيها إلى أواخر علوم الهندسة والطبيعة والحركات الغريبة ، وجرّ الثقيل ومعرفة مراكز الأثقال . وإخراج كثير مما امتنع على القدماء — من القوّة إلى الفعل ، وعمل آلات غريبة لفتح القلاع والحيل على الحصون ، والحيل فى الحروب مثل ذلك . واتخاذ أسلحة عجيبة وسهام تنفذ أمداً بعيداً ، وتؤثر آثاراً .

(حرف الغين)

غزّال :

أحد المصوّرين على الخزَف ، وورد اسمه منقوشاً على بعض القطع .

الغيبيّ :

أحد المصوِّرين على الخزف أيضاً،ويلاحظ أن اسمه كتب على بعض القطع : « الغيبيّ الشاميّ » وجاء فى بعضها غفلا من هذه النسبة،فلا ندرى أهما إثنان أم واحد ؟

الغيبيّ الشاميّ :

ورد اسمه هكذا على بعض قطع الخزف فى دار الآثار العربية (متحف الفن الإسلاميّ) ولعله هو الغيبيّ السابق الذكر ، أو هما اثنان مختلفان .

(حرف الفاء)

فاضل بن على :

فاضل بن علىّ بن عمر الظاهر الزيدانىّ الصفدىّ[١] . الأديب الأريب الناظم الناثر الشاعر المجيد المتفوّق الأوْحد . ولد سنة أربع وسبعين ومائة وألف .

لما قتل والده أخذ مع إخوته وبنى عمه لدار السلطنة العلية القسطنطينية المحمية ، وأدخلوا السراى السلطانية ، فتعلم اللغة التركية ومهر بها .

وترجم كتاباً فى الطبّ من العربية إلى التركية باسم مخدومه ، وصار له مهارة كلية فى التصوير والنقش وتجسيم البلاد والعباد ، وله فى ذلك العجب العجاب[٢] .

أبو الفتح ابن الأقمص المعروف بابن الحوفى المصوِّر :

أبو الفتح بن الأقمص المعروف بابن الحوفى المصور ، رسم بيعة السيدة مريم بحارة الروم بالقاهرة وكان ذلك فى أمشير سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة للشهداء الأبرار[٣] .

(حرف القاف)

القصّير :

أحد مصوّرى العهد الفاطمىّ النابغين فى مصر . كانوا يشبّهونه فى التصوير بابن مقلة فى الخطّ ، وأشهر أعماله صورة تخيلية عملها فى حضرة الوزير اليازورى السابق ذكره ، تمثّل صورة راقصة بثياب بيض فى صورة حنية (عقد) دهنها

---

(١) لا يعد هذا من المصورين العرب . وقد ذكر لأنه عربى الأصل .

(٢) نقلا عن « التذكرة الكمالية » لكمال الدين محمد الغزى ، وهى محفوظة بالخزانة التيمورية بخط المؤلف .

(٣) راجع تاريخ أبى صالح الأرمنى (ص ٧ س ١٤ – ١٥) من النسخة المطبوعة فى المطبعة المدرسية فى مدينة أوكسفرد سنة ١٨٩٤ م .

أسود ترى كأنها داخلة فى صورة الحنية . وذكر المقريزىّ أنه كان يشتطّ فى أجرته، ويلحقه عجبٌ فى صنعته .

(حرف الكاف)

الكتّامىّ :

أحد تلاميذ بنى المعلّم. من صُوَره الشهيرة صورة صنعها بدار النعمان بقرافة الفسطاط بمصر، وهى تمثل صورة سيدنا يوسف عليه السلام فى الجبّ وهو عريان . والجبّ كله أسود إذا نظره الإنسان ظنّ أن جسمه من دُهن لوْن الجبّ(١) .

(حرف الميم)

محمد الدمشقىّ :

أحد مصوِّرى القرن الثانى عشر . كتب اسمه على لوْح من القاشانىّ بدار الآثار العربية (متحف الفن الإسلامىّ) . عليه صورة مكة والكعبة ، صوّره سنة ١١٣٩ هـ.

محمد بن حسن الموصلىّ :

له بدار الآثار العربية (متحف الفن الإسلامى) منارة من صُفْر محلاة بالذهب والفضة والكتابة الكوفية . عليها صورة آدميين وصنوف من الحيوان ، نقشها سنة ٦٦٨ هـ ونقش عليها اسمه .

محمد بن صنقر البغدادىّ :

له بدار الآثار العربية (متحف الفن الإسلامى) كرسى من صُفْر ، عمله للناصر محمد بن قلاون وحلاه بالنقوش البديعة ، وصور عليه هذه العبارة : « عمل العبد الفقير الراجى عفو ربه والمعترف بذنبه الأستاذ محمد بن صُنقر البغدادى

---

(١) راجع المقريزى (ج ٢ ص ٣١٨ طبعة بولاق) .

السنانى ، وذلك فى تاريخ سنة ثمانية[1] وعشرين وسبعمائة فى أيام مولانا الملك الناصر عز نصره » .

محمد بن على بن عمر :

أحد مصوِّرى القرن الثامن الهجرى ، كان يعرف بشمس الدين الدهان ، بسبب معاناته صناعة الدهانة . وكان فوق ذلك ملمًّا بصناعات أخرى . وعانى صناعة التصوير . فصوَّر صُوَر الناس بدليل ما هجاه به جمال الدين الصوفى فى بيتين من الشعر .

محمد بن على الموصلى :

نقش اسمه على منارة من صُفر محلاة بالذهب والفضة والكتابة الكوفية ، عليها صُوَر آدميين وصنوف من الحيوان ، محفوظة بدار الآثار العربية (متحف الفن الإسلامى) وعليها تاريخ سنة ٨٨٠ هـ .

محمد بن محمد بن أحمد :

شمس الدين الرسّام ، تميّز فى صناعته وبرع فى غيرها كالتذهيب وعمل المزهرات وقصّ الورق وإلصاق الصينى . كان موجوداً سنة ٨٨٥ هـ .

محمد بن محمد بن عيسى القاهرىّ :

كان بارعاً فى فنون مختلفة . وعانى صناعة التذهيب وتدرب فيها على ابن السداد ، وفى شطف اللازورد على ظهير العجمىّ ، وبرع فى فنون أخرى . وكان موجوداً فى سنة ٨٩٥ هـ .

محمود السفيانىّ :

من المصوِّرين على الصفر ، له بدار الآثار العربية تنُّور عليه رسومٌ كتبَ عليها : « عمل الحاج محمود الضراب فى النحاس يعرف بالسفيانى» .

---

(١) الصواب هنا « ثمان » .

مرشد بن محمد :

عرف بابن البصرىّ . أجاد صناعات من بينها صناعة التذهيب . وكان موجوداً سنة ٨٩٤ هـ .

بنو المعلِّم :

هم شيوخ فنّ التصوير كما ذكرهم المقريزى ، وذكر من آثارهم تزويق جامع القرافة (السابق ذكره) ووصف من أعمالهم فيه تصويره على قنطرة قوس شاذ وانا مدرجاً بدرج وآلات سود وبيض وحمر وخضر وزُرْق وصُفر ، إذا تطلع إليها مَنْ وقف فى سهم قوسها رافعاً رأسه إليها ظن أن المدرج المزوّق كأنه خشبٌ مقرنص[1] ، وإذا أتى أحد قطرى القوْس نصف الدائرة ووقف عند أول القوس منها ورفع رأسه رأى ذلك الذى توهمه مسطحاً لا نتوء فيه . قال : وهذا من أفخر الصنائع عند المزوّقين .

موسى بن عبد الغفار السميدسىّ القاهرىّ الأزهرىّ :

كان موجوداً سنة ٨٧٠ هـ ، وعانى التذهيب فبرع فى صناعته ، وصار أحدُ مَنْ عليهم يعوّل ، وكان مشهوراً فى الكتابة والتجليد[2] .

(حرف النون)

النازوك :

ذكره المقريزىّ فى تلاميذ بنى المعلِّم .

---

(١) سبق وصفه .

(٢) راجع الضوء اللامع (ج ٥ ص ١٣٨) .

(حرف الهاء)

الهرمزى :

أحد المصوِّرين على الخزف ، وله قطعٌ عليها اسمه بدار الآثار العربية (متحف الفن الإسلامى) .

(حرف الياء)

يوسف الباهلى :

ورد اسمه منقوشاً بالقلم الكوفى على صورة حجر من الشطرنج مرسوم فى كتاب فى الشطرنج بالفرنسيّة . وهو على صورة فيل . عليه ملك يحفّ به الجند من مشاة وفرسان ومكتوبٌ عليه : « من عمل يوسف الباهلى » وذكر مؤلف الكتاب أنه قطعة من أحجار الشطرنج الذى أهداه الخليفة هارون الرشيد لشارلمان .

« وصف مسجد الصخرة المشرفة » و « المسجد الأقصى المبارك »

للكاتب العبقرى المقرّ الشهابى « ابن فضل الله العمرى »

كتب ابن فضل الله العمرى الكثير عن مسجد الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى ، كما كتب الصاحب تاج الدين أبو الفضائل أحمد بن أمين الملك تأليفاً صغيراً أسماه : « سلسلة المسجد فى صفة الصخرة والمسجد » نقلت منه ما يليق بهذا الموضع ، معتمداً فى ذلك على ما حرره بالذراع .

الصخرة الشريفة :

ونبتدئ بذكر الصخرة الشريفة والبناء المحيط بها فنقول :

البناء المثمن المحيط بها وطاقاته وشبابيكه :

أما البناء المبارك من وجه الصحن المفروش بالبلاط المصقول . فارتفاعه ثمانية عشر ذراعاً ، يعلو ذلك كرسى القبة ، وارتفاعه عشرة أذرع وربع . ودوره مائة وثلاثة أذرع وثلثا ذاع . فى دوره ست عشرة طاقة زجاج مذهبة بظاهرها شبابيك .

وصف فنى للبناء على الطراز العربى :

وهى مثمنة الأركان . كل تثمينة تسعة وعشرون ذراعاً وثلثا ذراع . والبناء من ظاهره مكسو منه ارتفاع سبعة أذرع بالرخام الأبيض المشجر . ومن أعلاه سبعة أذرع إلى المياذيب بالفصّ المذهب المشجّر المختلف . وتحتوى كل تثمينة على سبع طاقات : اثنتان فى الطرفين مسدودتان ، والخمسة مركب عليها الزجاج ، ومن ظاهرها الشبابيك الحديد . ومن أعلى المياذيب حائط ارتفاعه أربعة أذرع ، مكسو بالفص بالصفة المذكورة ، مشخص فى كل تثمينة منه ثلاثة عشر محراباً . وله أبواب أربعة : فالقبلى ارتفاعه ستة أذرع وربع ، وعرضه ثلاثة أذرع ونصف وثمن . وأمامه من خارج رواق مفروش بالرخام الأبيض المشجر ، طوله من الشرق للغرب واحد وعشرون ذراعاً ونصف ، وعرضه أربعة . سقفه بسط مدهون . والوسط أمام الباب قنطرة بالفصّ المذهب ، محمول على ثمانية أعمدة من الرخام : منها غرابى اثنان فى طرفيه ، وخضر مرسينى تلوهما أربعة و « شحم ولحم » إثنان ، بين

الأعمدة الغرابى والخضر هناب رخام منقوش الظاهر سعته ذراع وثلث . تنزل فيه المياه المنحدرة من المزاريب .

ويعلق على الباب المذكور مصراعان من الأبواب ملبسة بالنحاس الأصفر المنقوش . وعلى يمنة الداخل ويسرته درابزين خشب ارتفاع ثلثى ذراع ، فى رؤوس التثمينة الأولى خاصة. ويقاس من عتبةهذا الباب من داخل إلى وجه الأعمدة الآتى ذكرها ثمانية أذرع وثلثا ذراع ، بأعلاها سقف بسط مدهون بأنواع الدهان ، ارتفاعه خمسة عشر ذراعاً ، محمول على حائط الصخرة . والأعمدة والحائط من باطن التثمينة، ملبس جميعه بالرخام بغير فصّ (بانبذاريه) رخام منقوشة تقدير ذراع مذهبة .

كل تثمينة من هذا السقف محمولة على ساريتين ملبسة بالرخام المشجّر والملوّن البديع . دور كل سارية أحد عشر ذراعاً وثلثا ذراع . وطولها ثمانية أذرع وثلثا ذراع . وجهها الذى يلى الصخرة بقرنتين . ومع السارية عمودان : أحدهما « شحم ولحم » والآخر أخضر مرسينى . بين كل عمود لأخيه خمسة أذرع . ودوره ذراعان وثلثا ذراع وارتفاعه خارجاً عن القواعد ستة ونصف يعلوها « بساتل » ملبسة بالنحاس الأصفر المنقوش المذهب فوق نقشه . يعلو« البساتل » قناطر بالفصّ المذهب البديع .

بهذه التثمينة الأولى : ثمانية سوار وستة عشر عموداً : منها أبيض وأزرق عشرة . وأخضر مرسينى ثلاثة ، و « شحم ولحم » ثلاثة .

وتقيس من واجهة قواعد هذه العمد عشرة أذرع لتثمينة ثانية عليها سقف « مقالى » مذهب ، ارتفاعه ارتفاع السقف الأول . و « مقالية » مركبة بغير تسمير لأجل كنس السقف .

وصف السقف :

والسقف الذى يعلوه الرصاص خمسة أذرع من الباطن . وآخر هذه التثمينة الدائرة الدرابزين المحيط بدور القبة . والحامل للقبة أربعة سوار مربعة ملبسة بالرخام مثل الأولى . بين كل سارية وسارية ثلاثة أعمدة من الرخام « الشحم واللحم » والأخضر المرسينى . يعلو ذلك قناطر من الوجهين .

فص مذهب ، والباطن رخام أبيض وأسود . جملة الأعمدة الحاملة للقبة

إثنا عشر عموداً : منها أخضر مرسينى سبعة ، و « شحم ولحم » خمسة .

قال : ولقد قست عموداً منها « شحماً ولحماً » فكان دوره ثلاثة أذرع ونصفاً ، وارتفاعه خارجاً عن القواعد سبعة أذرع وثلثى ذراع .

ارتفاعات القبة :

وارتفاع هذه القبة الخشب المذهبة من قطبها إلى ظاهر الصخرة الشريفة سبعة وأربعون ذراعاً ، ومن ظهر الصخرة لباطن أرض المغارة ستة أذرع ، ومن ظاهر القبة الخشب إلى القبة الثانية المكسوّة بالرصاص ذراع ونصف .

قال : ولقد قست الدور الحامل للقبة بالأعمدة والسوارى فكان مائة وثلاثة أذرع .

صفة الشباك وأبوابه :

وصفة الشباك الحديد الذى بين هذه العمد والسوارى ، له أربعة أبواب : الشمالى منها مغلق ، والثلاثة مفتوحة . فأما القبلى فيصعد إليه بدرجتين . ومن حدّ عتبته من داخل إلى صدر الصخرة أربعة أذرع ونصف وربع . وحجر الصخرة من هذه الجهة ملبس بالرخام الملوّن ارتفاع ذراعين . ويحيط بحجر الصخرة من تتمة أقطاره درابزين من الخشب المنقوش ، دوره أربعة وسبعون ذراعاً .

أثر قدم النبى صلى الله عليه وسلم فيما يقال .

وبآخر هذه الصخرة المرخمة من غرب إلى جهة الشمال حجر صغير محمول على ستة أعمدة صغار . قيل : إنه أثر قدم النبى (صلى الله عليه وسلم) ليلة المعراج .

درقة حمزة مرآة من السبعة معادن :

وقبالة القدم المشار إليه مرآة من السبعة معادن ، يسمونها : « درقة حمزة » محمولة على ثلاثة أعمدة لطاف : منهن اثنان « روحان فى جسد » .

وارتفاع الشباك الحديد أربعة أذرع وثلثا ذراع ، تعلوه شرفة خشب مدهونة . وبأعلى الشرفة شمعدانات حديد .

المحراب والمغارة :

والمحراب الذى يصلى به أمام الصخرة عن يمين الداخل من الباب القبلى داخل الدرابزين الخشب المقدّم الذكر . وتجاه المحراب باب مغارة الصخرة الشريفة ، معقود قنطرة بالرخام الغريب ، على عمودين « شمعية » ينزل إلى باطنها بأربع عشرة درجة . طول باطن المغارة من الشرق للغرب عشرة أذرع ، وعرضها سبعة ونصف من القبلة للشمال .

وجميع باطن أرض الصخرة والمغارة مفروش بالرخام .

باطن المغارة :

وبباطن المغارة المذكورة محرابان على اليمين واليسار كل محراب على عمودى رخام لطاف .

مقام الخضر :

وأمام المحراب الأيمن صفّة تسمّى : « مقام الخضر » طولها من الشرق للغرب ذراع وثلثا ذراع ، ومن القبلة للشمال ذراعان وربع . يواجهها عمود رخام قائم للسقف ، وعمود راقد مرد لها .

مقام الخليل :

وبالركن الشمالى من المغارة صفة نقر فى الصخرة يسمونها : « مقام الخليل » . عمقها من القبلة للشمال ذراع ونصف ، ومن المشرق للغرب ذراع وربع .

الباب الشرقى للصخرة :

وأما الباب الشرقى من بناء الصخرة ، فهما بابان : أحدهما داخل الآخر . جعل الباب الخارج وقاية للداخل من الأمطار والثلوج . ملبس بالرخام . رحاب ما بين البابين عرضه أربعة أذرع ، وطول خرجته إثنا عشر ذراعاً ونصف .

على يمنة الخارج بيت للبواب . وبه محراب محمول على ثلاثة أعمدة لطاف . وعلى يسرته بيت للقناديل محمول على أربعة أعمدة خضر مرسينى وزرق .

وعقد ما بين البابين بالفصّ المذهب . ومن عتبة الباب الثانى منهما إلى العمد سبعة أذرع وثلثان ، وهو الحامل للسقف البسط .

ومن واجهة العمد للشباك الحديد أحد عشر ذراعاً . ومن باطن الشباك الحديد إلى الدرابزين الخشب السائر للصخرة أربعة أذرع وربع . ومن حدّ هذا الباب الشرقى ، على يسرة الداخل منه طالباً للقبلة على مسافة تسعة أذرع : عمودان مرسينى أخضر . بأعلاهما دقيسى مذهب يطلع من باطنه إلى ظهر سقف الصخرة والقبة .

الباب الشمالى المسمى : « باب الجنة » :

وأما الباب الشمالى ويسمى : « باب الجنة » فله خرجة كالتى فى الباب الشرقى وصفتها وحليتها .

وفيما بين العمودين اللذين أمام الباب ـــ داخل درابزين خشب مذهب به محراب لطيف ـــ إشارة على الرخامة السوداء التى يصلى الناس عندها . وفقدت هذه الرخامة من مدة زمانية ، وعمل مكانها رخامة خضراء . والناس يصلون عندها ويدعون .

الباب الغربى :

وأما الباب الغربى فله خرجة كالبابين : الشرقى والشمالى . وسعة ما بين تثامين الصخرة فإنه ستة أذرع وثلثا ذراع .

هذا ما يتعلق بصفة الصخرة والبناء المثمن المحيط بها .

وصف صحن الصخرة ومساحته :

وأما الصحن المحيط بها ، فجميعه مفروش بالبلاط الجليل المصقول .

وذرعه من القبلة للشمال مائتا ذراع وتسعة وعشرون ذراعاً ، ومن الشرق للغرب مائتا ذراع وثلاثة وعشرون ذراعاً ونصف ذراع .

وذرع ما بين الرواق الذى قبلى الباب القبلى من أبواب الصخرة إلى رأس السلالم الموصلة للجامع ، ثلاثة وخمسون ذراعاً ومن رأس السلالم إلى عتبة الجامع مائة وخمسون ذراعاً ونصف وربع .

وبأعلى هذه السلالم أربع قناطر محمولة على ثلاثة أعمدة وركنين من البناء :

منها عمودان صوّان أحمر ، والوسطانى رخام أبيض فيه نقر مربع .

ذكروا فى التواريخ أن الدعاء عنده مستجاب .

وشرقى هذه القناطر على مسافة أربعين ذراعاً قناطر مثلها . أعمدتها إثنان أخضر مرسينى . وفيما بين هاتين القنطرتين فى سفل الحرم صفـّة كبيرة تسمى صفـّة السبع درج ، يقال إنها مأوى الصالحين والسياح فى الليل ، وعليها يتركعون .

وبجانب القنطرة المذكورة أولاً ، مدهون صورة محراب بخدّيه عمودا رخام لطاف .

قبة الميزان :

وفى ركنها الغربى قبّتان من رخام . واحدة تعلو الأخرى : كل منهما قطعة واحدة ، تسمى « قبة الميزان » محمولة على اثنى عشر عموداً من الرخام « الشحم واللحم » بقواعد « شمعية » .

قبّة النجو :

والقبّة التى عليها كمثل ارتفاع القبّة المذكورة بكمالها : ثمانية أذرع وثلثان ، وارتفاع العمد السفلى ذراعان وسدس ، وارتفاع العمد الفوقانى ذراع ونصف وربع . وتعرف أيضاً « بقبّة النجو » .

المدرسة المعظمية :

وبالقرنة القبلية من جهة غربى الصحن موضع يعرف « بمدرسة المعظمية » ، طولها من ظاهرها أربعة وثلاثون ذراعاً ، وعرضها من القبلة للشمال سبعة أذرع ، لها بابان يفتحان للشمال ، نجدهما ثلاثة أعمدة من الرخام كل عمود به أربعة فى جسد واحد ، ملفوفة « مثعبة » وتلو ذلك عمودان لطاف ، وارتفاع بنائها تسعة أذرع من أرض صحن الصخرة .

ويدخل من البابين المذكورين لرواق طوله ثمانية عشر ذراعاً ونصف ذراع فى عرض ستة ، بسقف شامى مذهب ثلاثة عشر مربعا ، بصدره القبلى ثلاث طاقات مطلة على الحرم وأبواب الجامع .

وبالجهة الغربية منه قبّة « معقودة » . بكل جهة من جهاتها القبلية والشمالية

والغربية ثلاث طاقات . وبجهتها الغربية باب للدخول إليها من الرواق المذكور ، وطاقة تطلّ على الرواق المذكور .

قبة الملك المعظم :

وبالجهة الشرقية من الرواق المذكور قبّة ألطف من هذه . سكن الإمام ، وقيّم المكان ، وحاصل الزيت .

الإمام والطلبة أحناف بهذه المدرسة :

ورتّب الملك المعظم لها إماماً مفرداً يصلى الصلوات الخمس . ورتب بها خمسة وعشرين نفراً من طلبة النحو وشيخاً لهم. وشرط أن يكونوا حنفيّة من جملة طلبة مدرسته إلى خارج الحرم .

القرية الموقوفة عليها :

ووقف على ذلك قرية تسمّى : « بيت لقيا » من عمل القدس الشريف . وعلى سقفها مكتوب أنه اهتمّ بعمارة ذلك فى سنة ثمان وستمائة .

وأمام الشبابيك الشمالية التى بالقبة الغربية من هذا الرواق ، على تقدير خمسة أذرع ، ممشاة معقودة عدتها سبع عشرة درجة ، عرض كل درجة ذراع ، يتوصل منهنّ إلى سفل الحرم .

مزولة المدرسة :

وأمام القبة الشرقية من هذا الرواق صفّة عليها رخامة منقوشة مزولة لإخراج ساعات النهار ، طولها من الشرق للغرب ذراعان وثلثان ، وعرضها ذراع وثلث ، وارتفاعها ذراع ونصف .

قبة للمتصدّرين بالحرم المقدّس :

ويقابل هذه المدرسة فى القرنة الشرقية من هذا الصحن قبّه لطيفة مكسوة من ظاهرها بالبياض . خلوة لبعض بالحرم الشريف ، يفتت بابها للشمال ، وتتمة جهاتها الثلاث بكل منهن طاقة مطلة على الحرم .

وفى حائطى هذا الصحن الغربية والشمالية مصطبتان تعلو إحداهما قبة من

الغرب والأخرى فى الشمال سقف على عمودين من رخام ، يصلى عليها المبلغون فى الصلوات الخمس .

وذرع ما بين عتبة الباب الشرقى إلى حدّ الدرج ، نهاية صحن الصخرة المبلط من جهة الشرق ، ستة وسبعون ذراعاً .

خلوتان للفقراء :

وبأعلى هذا الدرج خمس قناطر معقودة على أربعة أعمدة وساريتين ، بخدهنّ القبلى والشمالى خلوتان للفقراء المجاورين بالحرم . وارتفاع عقد هذه القناطر عشرة أذرع ، أسوة ارتفاع القناطر التى على سائر السلالم .

درج البراق :

وبقى ثلاث قناطر منهن مفتوحة ، يخرج منهن إلى هذه الدرج المسماة « بدرج البراق » . وعدّتهن ست وثلاثون درجة . وذراع ما بين أول درجة من هذا الدرج إلى حدّ السور الشرقى مائة وستة وخمسون ذراعاً وثلث . وذرع ما بين الباب الشرقى البرانى وقبة السلسلة خمسة أذرع ونصف وربع .

أعمدة القبة :

وهذه القبّة محمولة على اثنى عشر عموداً أخضر مرسينى و « شحم ولحم » . طول كل عمود ، خارجاً عن قواعده ، ثلاثة أذرع وثلث وربع وثمن ، وارتفاع سقفها البسط الملبس بالرصاص ثمانية أذرع .

جميع ما بين الأعمدة محروق ، وما بين العمود والعمود مُتَّكَاية من الحجر الصوّان المنحوت المجلى ، تقدير شبر لا غير . طول كل قطعة من هذه أربعة أذرع ونصف ذراع . وعرض ما بين عمودى المحراب خمسة أذرع مسدود بالرخام الملوّن . بخدّى المحراب عمودان رخام أبيض . وبأعلى هذه الأعمدة قناطر ملبسة بالفص المذهب والأخضر المختلف الألوان ، ارتفاع القناطر ذراعان وربع ذراع . وسعتها من المحراب لآخرها ثمانية عشر ذراعاً . وبباطن هذه القبة قبة محمولة على ستة أعمدة أخضر مرسينى ، و « شحم ولحم » . ما بين العمود والعمود أربعة أذرع ، سعتها

ثمانية أذرع ونصف ذراع ، بأعلى الأعمدة قناطر ملبسة بالفص ، طول أربعة أذرع ونصف ، والقبة الخشب من أعلى ذلك .

المشاة الموصلة للحرم :

وينزل من هذه القناطر فى ثمان درج إلى الحرم الشريف . وأمام الدرج ممشاة مستطيلة مفروشة بالبلاط ، عرضها خمسة أذرع وربع وينتهى متشاملاً إلى باب الحرم المعروف «بباب شرف الأنبياء»وطول هذه الممشاة مائة ذراع وثمانية وسبعون ذراعاً . وسيأتى « إن شاء الله » ذكر هذا الباب عند ذكر أبواب الحرم .

وعن يمين الداخل من هذه القناطر ويسراه فى منتهى شمالى الصحن مسطبتان . طول كل منهما ثمانية أذرع ونصف ذراع ، من الشرق إلى الغرب ، وعرضها من القبلة للشمال ذراعان وثلثا ذراع . يصلى الناس عليهما .

قبة المعراج :

ومن هذا الباب الشمالى على مسافة اثنين وأربعين ذراعاً طالباً للغرب عمل مسطبة ارتفاعها عن الصحن المبلط ثلث ذراع ، وطولها من الشرق للغرب ثلاثة عشر ذراعاً ثلث ذراع ،وعرضها من القبلة للشمال عشرة أذرع . بنى عليها قبة مثمنة ، تسمى : « قبة المعراج » وبابها يفتح للشمال ، سعته ذراع وثلث ذراع وطوله ذراعان وثلث ، بظاهر القبة المذكورة حاملاً لأركانه من الأعمدة الرخام الأبيض ثلاثون عموداً . طول كل عمود ، خارجاً عن القواعد ، ذراعان وثلثا ذراع .

والتثمينة التى بين الأعمدة ملبسة ألواح رخام ملكى مشجرة بأزرق . يصعد إلى بابها بثلاث درج رخام . ثم ينزل إلى داخلها بمثلهن .

أرضها مفروشة بالرخام الأبيض ، وحيطانها من داخل كذلك ، مثل الظاهر . باطنها من الأعمدة أيضاً ثمانية عشر عموداً . وبأعلى الرخام المذكور طاقات نصاص شبه الجبس « المفكندج » ثلاثة ، وزجاج أربعة . وبأعلى الطاقات كرسى القبة . وعرضها من الشرق للغرب سبعة أذرع ، ومن القبلة للشمال ستة أذرع وربع ذراع . سعة محرابها ذراع وثلثا ذراع ، وهو بأول المسطبة لجهة القبلة . . والباب والسلالم بآخرها لجهة الشمال . وتتمة المسطبة يصلى عليها الناس .

ومن قطب القبة لأرضها ارتفاع ستة عشر ذراعاً . وبظاهرها فى أعلاها قبة

لطيفة مكان الهلال . محمولة على ستة أعمدة صغار رخام شمعية ، طول كل واحد منها تقدير ذراع .

وذرع ما بين الباب الغربى إلى رأس القناطر التى أمامه بآخر صحن الصخرة من جهة الغرب ثمانية عشر ذراعاً وثلثا ذراع . وهى أربع قناطر معقودة على ثلاثة أعمدة مُكَتَّبة بالأزرق وساريتين . وينزل من هذه القناطر بأربع وعشرين درجة إلى الحرم . ومن حدّ هذه الدرج إلى السور الغربى (وهو الذى فيه الباب الجديد المعروف الآن — بباب القيسارية— « أى فى عصر ابن فضل الله العمرى » وفيه باب الميضاة وسائر الأبواب الغربية الآتى ذكرها إن شاء الله عند ذكر أبواب الحرم ، خمسة وثمانون ذراعاً وثلث ذراع :

الآبار والصهاريج بصحن الحرم :

وبظاهر هذا الصحن من الصهاريج المركب على فوهة كل منهن حرزة رخام أو حجر منحوت سبعة . لهن تسعة أبواب . منها بالجهة القبلية بئر يعرف بالرمانة له بابان : هذا الباب الذى بالصحن ، وباب بسفل الحرم أمام الجامع ، وبالجهة الشرقية بئران ، يعرف أحدهما بالشوك ، ويعرف الآخر ببئر الورد ، له بابان جميعها من صحن الصخرة الشريفة . وبالجهة الشمالية بئر يعرف بباب الجنة . وبالجهة الغربية ثلاث آبار : إحداها يعرف بالكأس لأن على فوهته كأس رخام طويل ، والآخر له بابان من الصحن ، والآخر بفرد فَمٍ .

وإذا ذكرنا ما فى هذا الصحن من الصهاريج ، فلنذكر ما فى سُفل الحرم من الصهاريج ، فنقول :

الصهاريج فى سُفل الحرم المقدس :

فى سفل الحرم من الصهاريج خمسة عشر صهريجا . بالجهة القبلية ستة : بالقرب من الزاوية الفخرية واحد ، وبباب الجامع واحد وداخل باب الجامع الشرقى واحد ، ويسمى ببئر الورقة ، وله بابان أحدهما هذا الذى داخل باب الجامع ، والآخر يعمل فيه نجارة الحرم ، والبئر الأسود ، وله ثلاثة أبواب : أحدها ينزل إليه بدرج ، وبئر يعرف بالبحيرة ، له بابان ، وبئر فى الحاكورة التى عند الباب الشرقى ، وله بابان : واحد فى الحاكورة ، وباب خارج عنها .

وبالجهة الشرقية ثلاثة آبار منها بالقرب من باب الرحمة واحد له بابان .

وبالجهة الشمالية ثلاثة آبار : بئر البركة ، وبئر بباب شرف الأنبياء ، وبئر بالرواق الحامل للزاوية المعروفة باللاوى وخانقاه الأسعردى .

وبالجهة الشمالية ثلاثة آبار : بئر البركة ، والآخر عند باب الرباط المنصورى ، وله بابان : باب فى الحاكورة ، وباب خارج عنها ، يعرف بابن عروة ، وبئر عند الباب الحديد مغطى بحصر الأروقة .

وهذه الآبار الأثنان والعشرون معمرة بالمياه .

وهناك أيضاً غيرها ثلاثة صهاريج خربة معطلة . واحد عند درج الميزان ، والثانى عند محراب عمر ، والثالث تحت الزيتون بالجهة الشرقية من الحرم .

وقد استوعبنا الآن صفة صحن الصخرة وما اشتمل عليه .

فلنذكر ما بباطن الحرم من المساجد والمزارات والأبنية وغير ذلك .

صفة السور القبلى وما صاقبه من المساجد وغيرها

السور القبلى ومساطبه ومحاريبه :

وأول هذا السور من جهة الغرب مسطبة طولها من المحراب للشمال ستة أذرع ، وعرضها ستة ونصف . وبصدرها محراب . ويتلوها من جهة شرقها باب الزاوية الفخرية ، ويتلو باب الزاوية الفخرية من الشرق صفة عشرة أذرع وربع وعرضها ثلاثة ونصف . ويتلو هذه المسطبة باب جامع المغاربة وطول جامع المغاربة من محرابه لرأس دهليزه أحد وثلاثون ذراعاً ونصف . وعرضه أحد عشر ذراعاً ونصف . ومحرابه لطيف ، مركب على عمودين من رخام لطاف .

ومن ظاهر حائط هذا المحراب إلى حائط جامع النساء خرجة فى الزاوية الفخرية التى إلى جانبه ، وطول دهليزه واحد عشر ذراعاً وثلثا ذراع ، وعرضه أربعة أذرع وثلثا ذراع .

وفى باطن سوره الشرقى مسطبة لطيفة ، عرضها ذراع ونصف ، وطولها ثمانية أذرع ونصف وربع وثمن .

خزائن القناديل والحوائج :

وفى ثخائن السّور خزائن لطاف للقناديل وحوائج القوّمة به . وله باب واحد يفتح للشمال سعته أربعة أذرع ، وارتفاعه خمسة أذرع .

جامع المغاربة وجامع النساء :

وقولنا جامع المغاربة ، لغلبة هذا الاسم على ألسنة الجمهور .

ولو قلنا مسجد المغاربة ، لما علم الجمهور بالقدس وكذلك جامع النساء . كل ذلك ليس بجوامع تقام فيها خطبة . وإنما لكل منها إمام مفرد ، يصلى فيه الصلوات الخمس لا غير .

ويتلو جامع المغاربة فضوة كبيرة يتلوها جامع النساء . وطوله من الشرق للغرب اثنان وستون ذراعاً ونصف ذراع ، وعرضه من القبلة للشمال إثنان وعشرون ذراعاً وثلثا ذراع ، وهو رواقان سقفهما إثنا عشر عقدا : كل رواق ستة عقود محمولة فى الوسط على ستّ عضائد .

ويصدره من الشبابيك خمسة : عرض الشباك الأول منها ذراعان ونصف ، وعمقه فى السور ثلاثة أذرع ، وهو عرض السور جميعه فى هذه البقعة وارتفاعه ثلاثة أذرع وثلثا ذراع . وتتمة الشبابيك دون هذا المقدار .

وبحائطه الغربى شباك مطل على حارة المغاربة .

وباب هذا الجامع يفتح للشمال . وبكل خدّ أربعة أعمدة رخام أبيض فى جسد واحد . طولها خارجاً عن القواعد ذراعان إلا ربعا . وأمامه شجرتان عظيمتان من الجوز ، تحتهما مصطبة يصلى الناس عليها .

ويدخل من الباب المذكور وينزل بخمس درج إلى الأروقة المذكورة . ومن باب جامع النساء على مضى سبعة وعشرين ذراعاً من جهة الشرق ، الباب الغربى من أبواب الجامع المسمّى الآن « عصر ابن فضل الله العمرى » بالمسجد الأقصى .

« صفة السور الشرقى »

السور الشرقى وفيه « مهد عيسى » :

تقدم أن فى قُرنة السور القبلى « مهد عيسى » عليه السلام ، وشماليّه رواق

معقود على ستة عقود وقد خربّت مساطبه من العمائر القديمة ، وبعض أرضه مبسوطة بالفص . طوله ثلاثة وأربعون ذراعاً، ومن جانبه للقبلة كشف إلى حدّ « مهد عيسى ».

مسجد باب الرحمة :

وشمالى هذا الرواق ، على مضى ثلثمائة ذراع : « مسجد باب الرحمة » . وطوله من الشرق للغرب ثلاثون ذراعاً ، وعرضه قبلة وشمالاً أربعة عشر ذراعاً ونصف . وسعة محرابه ثلاثة أذرع وربع . يصلى فيه إمام مفرد . وهو معقود بالحجر المنحوت ستّ قباب : إثنتان مرتفعتان ، وأربعة مبسوطة على عمودين صوّان بيض فى الوسط وساريتين فى وسطه ، طول كل عمود أحد عشر ذراعاً ، ودورته أربعة أذرع ونصف .

باب الرحمة :

وهذا المسجد متخذ باطن البابين المسميين : « بباب الرحمة » .

وهما بابان قديمان قد سدّا . على كل منهما مصراعان من خشب مصفّح من خارج بالحديد . طول كل منهما أحد عشر ذراعاً، وعرضه ستة ونصف . وخلف كل منهما بابان بالصفة المذكورة إلا أنهما مصفّحان بالنحاس الأصفر المنقوش قد سمّرا وأحكم إغلاقهما . قيل إنهما من بقايا العمائر السليمانية . سمّيا « بأبواب الرحمة » .

ومنتهى السور الشرقى رواق طوله من القبلة للشمال ستة عشر ذراعاً ونصف . ومن الشرق للغرب سبعة أذرع وثلث ، ويعقبه فى أول السور الشمالى « باب أسباط » وسيأتى ذكره ، إن شاء الله .

وليس فى هذا السور الشرقى الآن « عصر ابن فضل الله العمرى » باب يسلك منه للحرم الشريف . ولم يكن له فى الزمن القديم سوى البابين المذكورين .

ويقال : إن عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — أغلقهما لمّا فتح القدس ، فلم يفتحا إلى الآن (عصر ابن فضل الله العمرى) .

المقبرة خارج هذا السور :

وقد اتخذ الناس ظاهر هذا السور مقبرة يدفنون فيها موتاهم ، وفيها قبر « شداد ابن أوس » .

وادى جهنم وما فيه من عجائب المبانى والآثار والنقوش والمعابد القديمة

وتلو المقبرة المذكورة واد عميق يعرف « بوادى جهنم » ، يزرع . وفيه كروم وبساتين . ومنه يتطرق إلى عين ماء ، وفيه أبنية عجيبة وآثار غريبة ونقوش ومعابد قديمة . وهو وقف على « المدرسة الصلاحية » وحدّ هذا الوادى من الشرق « طُور زَيْتا » الذى يقال : إن الله تعالى رفع « عيسى عليه السلام » منه . وبه قبر « رابعة العدوية » ، يزار قصداً . وفيما بين السور الشرقى وصحن « الصخرة الشرقية » أشجار من الزيتون والميس والتوت والتين . تقدير عدتها مائة شجرة ، يستظل الناس تحتها ويصلون .

وصف الفصول الأربعة بالحرم المقدسى

قال الصاحب تاج الدين أحمد بن أمين الملك :

« ولقد مضى علىّ فى مجاورة الحرم الشريف الفصول الأربعة ، فرأيت له فى كل فصل محاسن فى غيره لم تجمع ، وهو أنه من مبدإ فصل الربيع تبدو فيه من الأزاهر المختلفة الألوان ما يستوقف بحسنه لبّ الذكىّ الأروع . وكل أحد ممن له معرفة بالأعشاب يأتى إليه ، ويأخذ من تلك الأزاهر ما علم منفعته ومضرّته » .

قال : « وأما ما شاهدته بالعيان ، أننى جلست وقتاً فى بقعة تكللت بأزاهر من الشقائق والبهار والأقحوان وإلى جانبى فقير عليه أطمار رثّة يبدى تبسُّما ، وتارة يعلن صوته بالتسبيح والتكبير ترنُّما ، ويقول : سبحان من جمع فيك المحاسن وكساك هذه الحلل الفاخرة ، وجعلك تحتوى على كنوز الدنيا والآخرة !

فقلت له : يا سيدى ! أما فضله وبركته ، فقد صدق العيان فيها الخبر ، وقام بها الدليل والبرهان وتواتر بها الأثر ، ولكن ما كنوز الدنيا ؟

فقال : ما من زهرة تراها إلا ولها فى النفع والضرر خواصّ ، يعرفها أهل الاختصاص !

فقلت : لعلّ تظهر للعيان شيئاً مما عرفت يزداد بك اليقين تبصرة ، وتكون هذه الجلسة معك عن صبح النجاح مسفرة .

فأخذ بيدى ومشى خطوات إلى جهة من جهات الحرم . ومدّ يده أخذ قبضة من ذلك الكلأ ، فعاد وقال : هل معك خاتم أو درهم ؟

فقلت : نعم .

فأخرجت درهماً مما معى . فعركه بذلك الكلأ ، فعاد كالدينار فى صفوته . ثم أخذ حشيشة أخرى ، وعركه بها ، فعاد أبيض . أنقى مما كان أولاً .

وقال : هذه رموز احتوت على تلك الكنوز . ولم يترك نبيّ الله سليمان شيئاً من المواهب التى منحها الله على اختلاف صورها ومعناها ، إلا وأودعه فى هذا الحرم . فأين من يفهم تلك المعانى ، أو من كان لها يعانى ؟

ثم أخذ منهجاً غير ما كنت أسلكه ، فسألته عن التثبّت والتابث ، فقال : الدنىء من صرف نظره إلى العرض الأدنى ، والسرى من صرف زمانه بالتهجّد فى هذا المغنى . أوصيك أن تغتنم الفرصة فى ركعات تقدمها بين يديك ، فما سواها فان ، ولا تلتفت إلا إلى ما يقرّبك من الرحمن .

فقلت : يا سيدى ! ومثلك من يفتح لى أبواب الصواب .

فقال : ما بعد السنّة والكتاب من باب .

ثم فارقنى مهرولاً ، معلنا بصوته ومرتلاً ، يقول :

— سبحانك يا دائم ! سبحانك يا قدّوس ! سبحانك يا رحمن ! سبحانك يا محيي النفوس !

فجعلت هذا الذكر لى ديدناً ، وكلما اشتاقت له منى عين أطربت بذكراه أذنا ه

صفة السور الشمالى وفيه عدة أبواب

باب أسباط :

أوّلها من جهة الشرق باب يسمى : « باب أسباط » وهو تلو الرواق المقدم ذكره الذى هو نهاية السور الشرقى . وارتفاع هذا الباب خمسة أذرع ، وعرضه ثلاثة أذرع ونصف وربع وثمن ذراع .

ويعقب هذا الباب من غربه ، رواق معقود على عشرة سوار . طوله إثنان

وسبعون ذراعاً ، وعرضه ثمانية أذرع . بصدره أربعة شبابيك مطلة على بركة قديمة عميقة .

ويعقب هـــذا الرواق ساحة ، وهى أرض كشف ببعضها مصبّ مياه البركة وبعضها كشف قصد أن يبنى به أروقة . وإلى الآن « عصر ابن فضل الله العمرى » لم تكمل . وطولها أربعة وسبعون ذراعاً .

المدرسة الكريمية :

ويعقب هذه الأرض « المدرسة الكريمية » وجاورت ما أمامها من الأروقة بحائطين : غربية وشرقية . وجعلوا المصيفين قدّامها . وطول هذه المدرسة من الشرق للغرب خمسة وعشرون ذراعاً . وجعل قدّام هذه الأروقة مسطبة يصعد إليها بأربع درجات بارزة فى الحرم . طولها من القبلة للشمال ستة عشر ذراعاً .

وهذه المدرسة بناها « كريم الدين بن عبد الكريم » ناظر الخواصّ الشريفة السلطانية الناصرية . ويعقب هذه المدرسة باب ، يسمى « باب حطّة » ، عرضه أربعة أذرع وثلثا ذراع ، وارتفاعه ثمانية أذرع ، أمامه ممشاة مفروشة بالبلاط ، طولها مائة وثمانية وسبعون ذراعاً ، وعرضها خمسة أذرع وكسر ، يصعد من آخرها بدرج إلى ثلاث قناطر معقودة على عمودين رخام وساريتين ، يدخل منهن إلى صحن الصخرة .

وبحذّى هذا الباب مسطبتان لطيفتان ، عرض كل منهما ذراعان : الشرقية منهما لصيقة للمدرسة الكريميّة المذكورة ، وتلو الغربية رواق ، طوله إثنان وسبعون ذراعاً فى العرض المذكور .

وفى سوره ثلاثة شبابيك للرباط العلمى الدواداري وبأوّله من الشرق بالقرب شباك للتربة الأوحدية ، من بنى أيوب .

باب شرف الأنبياء :

ثم يتاو هذا الرواق باب يعرف « بباب شرف الأنبياء » ، طوله ثمانية أذرع ، وعرضه أربعة . وأمامه ممشاة نظير الممشاة المذكورة . وقد تقدّم ذكر هذه أيضاً .

ويتلو هذا الباب رواق طوله سبعة وأربعون ذراعاً ، وعرضه سبعة أذرع ونصف ، معقود على ثمان سوار . بأوّله شباكان ، أحدهما مفتوح يتوصّل منه إلى

زاوية الصاحب أمين الدين المعروف « بأمين الملك » . وتلوهما باب يصعد من باطنه إلى « زاوية اللاوى » . وتلو الباب مسطبة ، فيها صهريج .

ويعقب هذا الرواق من الغرب رواق معقود على ثلاث سوار . طوله تسعة عشر ذراعاً ونصف ، وعرضه من الشمال للقبلة تسعة أذرع . ويصلّى به الآن (عصر ابن فضل الله العمرى) بعض النسوة ، الصلوات الخمس ، خلف الأئمة .

مدرسة آل ملك وخانقاه الأسعردى المتاجر

وبأعلاه مدرسة الأمير سيف الدين الحاج آل ملك الجوكندار ، وخانقاه مجد الدين الأسعردى التاجر . وبأوّله جوار الصهريج المذكور ، سلم يصعد منه إلى المدرسة والخانقاه المذكورتين .

ويعقب هذا الرواق كشف ليس به أروقة . وهو صورة مسطبة عالية . وينزل من وسطها بستّ درج إلى الحرم .

مدرسة الجاولى :

وبأقصى ارتفاع هذا السور خمسة شبابيك لمدرسة الأمير علم الدين سنجر الجاولى ، رحمه الله . وليس لها استطراق إلى الحرم .

ومن حدّ هذا الكشف ، طالباً لجهة الغرب ، خلوتان لكل منهما باب يفتح للجهة القبلية من الحرم . وداخلهما كله فى باطن السور الشمالى . وهى من جبل صخر أصمّ ، صفة مغارة . وقيل : يعرف قديماً « بمغارة إبراهيم » . وفى الشرقية منهما شباك لطيف .

وإلى جانب هاتين الخلوتين ، خلوة لشيخ الحرم . وبها شباكان على الحرم الشريف . وطولها ستة عشر ذراعاً ، وأمامها مسطبة فى الطول المذكور ، وعرضها أربعة أذرع وثلث . وبأعلى هذه الخلوة ، خلوة يصعد إليها بسلم ، بسبع درج فى حدّ الباب الذى يفتح للشرق .

ويتلو ذلك رواق على عقدين ، طوله من الغرب طالباً للشرق خمسة عشر ذراعاً ، وعرضه تسعة ونصف . وتلوه سلم مستطيل جدًّا ، يصعد من أعلاه إلى مئذنة ،

وإلى دار هناك « لبنى جماعة » . وهذه المئذنة هى أقصى السور الغربى ، وارتفاعها ثلاثة وخمسون ذراعاً ، وبأعلاها « درابزينات » خشب منقوشة ، وهى مكللة من العمد الرخام اللطاف بأحد وثلاثين عموداً .

صفة للسور الغربى

السور الغربى :

ويشتمل على سبعة أبواب بما فيه من باب الطهارة فإنه الآن « عصر ابن فضل الله العمرى » غير نافذ .

وأمام كل باب شجرة كبيرة من الميس أو التوت ، وتحتها مسطبة يصلى الناس عليها ، ويستظلون ، خلا باب الغوانمة ، فليس قدامه شيء . ومبدأ السور من المأذنة المذكورة .

أبوابه :

وأول أبوابه من هذه الجهة ، باب الغوانمة . وطوله أربعة أذرع ، وعرضه ثلاثة أذرع . يصعد إليه من الحرم الشريف بعشر درج . وبحدّه الشمالى خلوة للبواب ، بارزة فى الحرم تقدير خمسة أذرع . ومن هذه الخلوة إلى المأذنة خمسة وثلاثون ذراعاً . ومن الباب المذكور — على مضى ثمانية عشر ذراعاً طالباً للقبلة — باب لطيف فى باطن عرض السور لبعض الفقراء المجاورين . ومن حد هذه الخلوة إلى نهاية أربعة وعشرين ذراعاً حاكورة بها أشجار وكروم تحت دار وقفها علاء الدين الأعمى .

آثار علا الدين الأعمى ناظر الحرم :

وكان هذا الرجل من نظّار الحرم المتقدّمين ، وله تأثيرات حسنة فى الحرم من المواعيد والأبنية .

وطول الحاكورة طالباً للشمال خمسة وأربعون ذراعاً فى عرض سبعة أذرع وكسر .
ومن نهاية الحاكورة إلى أقصى السور ، وهو المأذنة المذكورة ، كشف بلا أروقة .

باب الرباط المنصورى:

ولصيق هذه الحاكورة من القبلة باب كبير يعرف «بباب الرباط المنصورى» . طوله ستة وعرضه خمسة ونصف . وأمامه ممشاة يتوصل بها إلى السلم الذى يتوصل منه إلى صحن الصخرة ، قبالة الباب الحديد الآتى ذكره .

ونجد الباب المذكور إلى جهة الشمال عقد على ساريتين طوله تسعة أذرع ، وعرضه عرض الحاكورة وسائر الأروقة المتصلة به . وهذا العقد أوّل العقود فى السور الغربى .

مساكن ومجالس وخلوات :

وعمل فى ثخانة الحائط التى فى أوّله مع ثخانة السارية خلوة صغيرة للقيّم والبوّاب بالباب المذكور .

وتحت هذا العقد يجلس الناظر والمباشرون يومئذ للنظر فى المصالح . وتلو الباب المذكور عرضه عرض الأروقة ، وطوله مائة وثمانية أذرع ، معقود على ستّ عشرة سارية . وعلى تقدير عشرة أذرع من أوّله شباك القاعة التى هى سكن الناظر على أوقاف الحرم . وفى آخره خلوة لطيفة سكن القيّم وبرسم القناديل .

باب الحديد :

وتلو ذلك الباب المعروف بالحديد. طوله أربعة أذرع ونصف ، وعرضه ذراعان وثلثا ذراع . وأمامه ممشاة مبلطة يتوصل منها إلى سلم لصحن الصخرة الشريفة . عرضه ثلاثة وعشرون ذراعاً ونصف ، وعدد درجه إحدى وعشرون درجة . وليس بأعلاه قناطر أسوة ببقية السلالم .

وتلو هذا الباب رواق على ثمان سوار ، طوله ثمانية وخمسون ذراعاً ، وعرضه عرض سائر الأروقة ، وبآخره باب لطيف لخلوة لبعض الفقراء .

الباب الجديد :

ثم يتلو هذا الرواق باب كبير عمل من قريب (عهد ابن فضل الله العمرى) واستجدّ فتحه . ينزل إليه بعشر درجات . له مساطب فى خدّيه . طول كل منها

سبعة أذرع ، وعرضها ذراع وثلثا ذراع . قد أتقنت عمارته . وارتفاعه ثمانية أذرع ، وعرضه خمسة أذرع . وعقده بوجهين . منقوش بالحجر الملوّن . وطراز كتابته بالذهب ، نقر فى الحجر . وأبوابه مصفّحة بالنحاس المذهب المخرّم ، متقن العمارة والزخرفة . ويتوصل منه إلى القيسارية المستجدّة . وتشتمل على صفى حوانيت ، بعضها وقف على الحرم ، وبعضها وقف على المدرسة والخانقاة اللتين أنشأهما الأمير سيف الدين تنكز — رحمه الله — وسيأتى ذكرها عن كثب . إن شاء الله !

الخلاوى والطهارات والمساكن :

وإلى جانب هذا الباب رواق معقود على ساريتين كبير جدّاً ، طوله خمسة عشر ذراعاً ، وعرضه إلى خارج الساريتين سبعة أذرع وثلثا ذراع ، وإلى باطنهما خمسة أذرع ونصف . بصدره شباك لقاعة من وقف الحرم . وبجانب الشباك خلوة لطيفة للقيِّم والبواب . وإلى جانب هذا الرواق باب الطهارة . وهو يشتمل على طهارتين : إحداهما للنساء ، والثانية للرجال . وتشتمل طهارة الرجال على ثلاثة وعشرين بيتاً وفسقية كبيرة . وبأعلى طهارة النساء مساكن تكرى لوقف الحرم .

باب الطهارة :

وباب الطهارة ينزل إليه من أرض الحرم بأربع درجات . وطول الباب أربعة أذرع وثلثا ذراع ، وعرضه ثلاثة وثمن . وبعده سبع درجات إلى دهليز مستطيل ، يتوصَّل منه إلى طهارة الرجال وإلى سلم يتوصَّل منه إلى علوّ طهارة النساء . وطهارة النساء فى أوائل الدهليز ، على يمين الداخل .

ويتلو باب الطهارة رواق طوله ثلاثة وستون ذراعاً ، وعرضه سبعة ونصف . معقود على تسع سوار .

وفيه فى ثخانة السور بابان لخلوتين : إحداهما للقيِّم والأخرى برسم فقير . وفى آخره من جهة القبلة محراب ملاصق للمأذنة ، يصلى فيه صلاة مفردة بإمام مفرد . وتجاوره المأذنة المختصة بالحرم وارتفاعها ثمانية وأربعون ذراعاً . وبأعلاها درابزينان من الخشب وهى مكللة من العمد الرخام اللطاف بثمانية أعمدة .

باب السلسلة « وهو باب السحرة » :

ويتلو المأذنة بابان قد غلق الشمالى منهما وسمر ، والمأذنة إلى جانبه. ويسمى الباب المفتوح «باب السلسلة» ويعرف قديماً « بباب السحرة » . سعته خمسة أذرع وثلث ، وطوله ثمانية ونصف . وكذلك المغلق . وأمام هذا الباب ممشاة قلع يتوصل منها إلى سلالم صحن الصخرة بعقد قبالة المعظمية . ذرعها سبعة وسبعون ذراعاً وربع .

ويتلو الباب رواق معقود على عشر سوار ، طوله سبعة وخمسون ذراعاً ، وعرضه سبعة أذرع وربع ، وارتفاع عقده عشرة أذرع ونصف . وهو نظير ارتفاع سائر سقوف أروقة الحرم .

وهذا الرواق فيه شباكان للمدرسة التنكزية . أبوابهما من الآبنوس والعاج وداخلهما المدرسة . وظهره حامل للخانقاه التنكزية . وفى آخره باب لطيف يصعد منه إلى أعلى المدرسة وسكن الصوفية . وفى آخره سواريه ستة أعمدة من صوّان كبار .

ويتلو هذا الرواق من القبلة مسطبة ارتفاعها ذراع وطولها من الجنوب للشمال ثمانية وثلاثون ذراعاً إلا ثمنا ، وعرضها عرض الرواق المذكور .

باب حارة المغاربة :

وتقيس من هذه المسطبة ثلاثة وثلاثين ذراعاً ، تجد باب حارة المغاربة ، وسعته ثلاثة أذرع وربع ، وطوله أربعة ونصف .

وتلو الباب المذكور على ثلاثة أذرع مسطبة . وهى نهاية السور الغربى وأوّل السور القبلى . وهذه المسطبة مجاورة للزاوية الفخرية التى هى أوّل السور القبلى من جهة الغرب وقد تقدّم ذكرها .

وإذ قد استوعبنا صفة السور المحيط ، فلنذكر الآن ما وعدنا بذكره مما اشتمل عليه سوى صحن الصخرة .

الخلاوى والحواصل تحت الصخرة :

ونبدأ بما هو تحت الصخرة ، وعدّته تسع خلاو : أحدها جعل حاصلا لأصناف الحرم .

فمنها بالجهة القبلية ثلاثة: منهن ما على أبوابه مساطب ومعرّشات كرم ، وفيه أبواب الرواق المعظّمى التى تحت مدرسته . وهو مصلى للحنابلة بإمام مفرد وبجانبه الشرقى حاصلان يجعل فيهما زيت الحرم وأصنافه .

وفى الجهة الشرقية من تحت صحن الصخرة أربع خلاو : منها ما عمل قدّام أبوابه حاكورة وغرست أشجار . والجهة الشمالية خالية من الخلاوى والحواصل .

وبالجهة الغربية خاوتان . إحداهما جعلت حاصلاً لأصناف الحرم . وفيه أبواب للرواق المعظمى . وقبالة أبواب الرواق المعظمى من الغرب قبة موسى عليه السلام،وهى أمام باب السلسلة أمام رواق الحنابلة . بين المسطبة الحاملة لها وبين باب السلسلة ثمانية وعشرون ذراعاً وطول المسطبة من القبلة للشمال أربعة وعشرون ذراعاً ، وعرضها من الشرق للغرب أحد وعشرون ذراعاً ونصف ، وارتفاعها نصف ذراع ، بصدر المسطبة القبلى القبة المذكورة . طولها من ظاهرها من القبلة إلى الشمال عشرة أذرع ، وعرضها من الشرق للغرب مثل ذلك . وارتفاع كرسى القبة من ظاهر المسطبة ثمانية أذرع . تشتمل هذه القبة من باطنها على أرض مفروشة بالرخام . بابها يفتح للشمال . عرضه ذراع ونصف ، وطوله ذراعان وثلثان . وبخدّيه شباكا حديد فى طول الباب وعرضه . وبكل جهة من جهاتها شباكا حديد . يغلق على كل شباك ، زوج أبواب . وهى محمولة على الأركان وبين كل حائط وأخيه قوس عقد . وبأعلى كرسى القبة كرسى ثان ، فيه خمس طاقات زجاج . وبأعلى الكرسى الثانى القبة المعقودة . وتقدير ارتفاعها من ظهر الكرسى الثانى ثمانية أذرع . وليس فيها عمد رخام بالجملة الكافية ، حتى ولا فى خدّى المحراب .

زخرفة الحرم الخليلى وضيافاته :

قلت (ابن فضل الله العمرى) : وهذا الحرم مؤزّر جدره بالرخام الملوّن والمذهب. وعليه أوقاف جليلة. ويمدّ فيه كل يوم بعد العصر سماط ويفرّق فيه من الخبز على الواردين بحسبهم على قدر كفايتهم .

زيارة (ابن فضل الله العمرى) لقبر إبراهيم الخليل سنة ٧٤٥ هـ :

ولقد زرت الخليل — صلوات الله عليه وسلامه — فى ذى الحجة سنة خمس

وأربعين وسبعمائة . أخبرنى جماعة المباشرين أن فى بعض ليالى العشر من هذا الشهر فى هذه السنة فرقوا زيادة على ثلاثة عشر ألف رغيف ، وأن غالب أيام العام ما بين السبعة آلاف والعشرة آلاف . ويفرّق أيضاً مع الخبز طعام العدس بالزيت الطيب والسمّاق . وفى بكرة النهار يطبخ أيضاً قدر من الدشيش ، ويفرّق على الواردين . وفى بعض أيام الأسبوع ، يطبخ ما هو أفخر من ذلك .

قمح الضيافة وأهراؤه :

وله خدّام برسم غربلة القمح وعجينه وخبزه . لا يبطلون ليلاً ولا نهاراً .

وأهراء القمح والطاحون والفرن ، نافذ بعض ذلك إلى بعض : بحيث أن القمح يفرّغ فى الأهراء ويُخرَج خبزاً مخبوزاً ، ولم يزل على هذا مدى الشهور والأعوام والليالى والأيام ، لا ينقطع له مدد ، ولا يُحصر بضبط ولا عدد :

استمرار السماط فى أيام الفرنج وزياداتهم :

ولما استولى الفرنج على بلد الخليل — عليه السلام — أجروا هذا السماط وزادوا على من كان قبلهم ، وبالغوا فى صلة هذا المعروف .

زيادة ملوك الإسلام فيه :

ثم زاد ملوك الإسلام فى السمّاط . وهو معروفٌ يشمل المأمور والأمير ، والغنىّ والفقير .

قصائد لابن فضل الله العمرى فى مدح الخليل :

وقلت من قصيدة مدحته ، عليه الصلاة والسلام :

هــذا خليــل الله إبراهيم قد   لاحت لنا أعلامه الشمّ الذّرى !
هذا الذى سنّ القِـرى لضيوفه   كرماً ، ولولاه لما سُنّ القِـرى !
هذا الذى مدّ السماط فما انطوى   ذاك السماط تكرماً ، وسل الورى

وقلت مرة أخرى :

هــو ذا صاحب السماط ولكن   صاحب الحوض نجله وذووه !

ذو فنـــاء يُقرى به كل ضيف　　لم يخيب تحت الدجى طارقوه !
منعم ســـيد جـــواد كريم ،　　منـــذ قدوا سماطه ما طووه .

وقلت مرة أخرى ، حين زرته فى ذى الحجة سنة خمس وأربعين وسبعمائة :

خليل إله العرش أول من قَرى　　ضيوفاً ! وها قد جئته واستضفته
أتيت كريمـــاً لا تزال رحـــابه　　مطبقـــة بالوفد حيث نظرته
دعت ناره الضيفان فى غسق الدجى　　وليس ســـواها بارقاً ثَمَّ شمته
فتى الجود شيخ الأنبياء جميعهم　　ووالدهم حقـــاً ، يقيناً علمته

وقلت ، عند الوداع فى هذه السنة :

هـــذا الخليـــل وهـــذه أبناؤه !　　يكفيك بعـــد فراقه أنبـــاؤه !
هيهـــات لا توفى أقـــل حقوقه　　ولو أن جفنك لا يجف بكاؤه !
فأمسك فؤادك إن ملكت عنانه !　　وهيهات قد طارت به أهواؤه !
وتعز عن أهل الكثيب وإنمـــا　　من أين للصلب الكثيب عزاؤه !

تفصيل « ابن فضل الله العمرى » لزيارته :

قلت : وكان قدومنا هذه المرة على الخليل — عليه السلام — يوم الإثنين لأربع عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة خمس وأربعين وسبعمائة ، فبتنا ليلتنا نتبرك مما حوت تلك القبور من العظام العظام ، ونعفر الوجوه فى تلك البقعة المشرفة فى مواضع أقدام أولئك الأقوام . ثم أصبحنا وقد حمدنا السرى عند الصباح ، وطلبنا حوائجنا عند تلك الوجوه الصباح . فلما قضينا من الزيارة الأرب ، وهزتنا من النوبة الخليلية الطرب ، بعثت وراء الصاحب ناصر الدين أبى عبد الله محمد بن الخليلىّ التميمىّ الدارىّ ، وهو بقية هذا البيت الجليل ، والمنتهى إليه النظر على وقف الحبيب سيدنا محمد ﷺ — صلى الله عليه وسلم — لله وبلد أبيه إبراهيم [الخليل] .

استحضار ابن فضل العمرى نسخة الإقطاع النبوىّ لتميم الدارىّ ووصفه لها :

والتمسنا منه إحضار الكتاب الشريف النبوىّ المكتتب لهم بهذه النطية — أى العطية بلغة اليمن — وذلك إشارة إلى إقطاع تميم الدارىّ الصحابىّ — والمشرف لهم به على سائر البرية ، فأنعم بإجابة الملتمس ، وجاء به أقرب من رجع النفس . وهو فى

خرقة سوداء من ملحم قطن وحرير ، من كمّ الحسن أبي محمد المستضيء بالله أمير المؤمنين ، وبطانتها من كتّان أبيض على تقدير كل أصبع منه ميلان أسودان مشقوقان بميل أبيض ، جعل ضمن أكياس يضمها صندوق من آبنوس يلف فى خرقة من حرير . والكتاب الشريف فى خرقة من خفّ من آدم ، أظنها من ظهر القدم ، وقد موّه سواد الجلد على الخط ، لا أنه أذهبه ، وما أخفى من يد كاتبه المشرّفة ما كتبه . وهو بالخط الكوفى المليح القوىّ . فقبلنا تلك الآثار ، وتمتعنا منه بمدد الأنوار . ومعه ورقة كتبها المستضيء بنصه شاهدة لهم بمضمونه ، ومزيلة لشك الشاك المريب وظنونه .

ومضمون ما كتب كهيئته وسطوره :

« نسخة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كتبه » :

« لتميم الدارىّ وإخوته فى سنة تسع من الهجرة بعد منصرفه » .

« من غزوة تَبُوك فى قطعة آدم من خفّ أمير المؤمنين علىّ وبخطه » .

« نسخته كهيئته »

بسم الله الرحمن الرحيم

« هذا ما أنطى محمد رسول الله لتميم »

« الدارىّ وإخوته حبرون والمرطوم »

« وبيت عينون وبيت إبراهيم وما فيهن »

« نطية بت بذمتهم ونفذت وسلمت ذلك لهم »

« ولأعقابهم فمن آذاهم آذاه الله فمن آذاهم »

« لعنه الله شهد عتيق بن أبو قحافة وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وكتب »

« علىّ بن أبو طالب وشهد »

هذه نسخة الكتاب الشريف :

و « أبو قحافة » ألف وباء وواو — ثم « قحافة » — و « بو طالب » باء

وواو — ثم « طالب » . وليس فى « بو » ألف . بين ذلك ليعرف . و « كتب » فى ذكر على رضى الله عنه مقدمة ، و « شهد » مؤخرة ، بين ذلك أيضاً ليعرف .

نقل هذه النسخة من خط الخليفة المستضىء .

وقد رأيت ذلك كله بعينى ، ومن الخط المستضىء ، نقلت ، وهو خطه المعروف المألوف . وقد رأيته وأعرفه معرفة لا أشك فيها ولا أرتاب. وقرأته من الكتاب النبوىّ نفسه . وهو موافق لما كتبه المستضىء ، نقلاً منه . على أن آثاره كادت تتعفى ، وتحتجب عن الناس لفساد الزمان وتتخفى .

كتب أستاذنا العالم الباحث المحقق المدقق المرحوم أحمد زكى باشا تعليقاً على هذه العبارة يقول :

« وقد رأى كثير من الناس هذا الكتاب الشريف قبل ابن فضل الله . فمن ذلك ما رواه صلاح الدين الصفدىّ « فى ورقتى ٢٧ و ٢٨ من الجزء ٤٨ من تذكرته ، وهذا الجزء مخطوط ومحفوظ بدار الكتب الخديوية » . وهذا نصّ ما فيه :

قال الفقيه القاضى أبو بكر العربى المعافرىّ — رحمه الله تعالى — فى كتاب القبس له : « وقد كان عند أولاد تميم الدارىّ — رضى الله عنه — بحبرون بدمشق ، قرية إبراهيم — صلى الله عليه وسلم — كتاب النبىّ — صلى الله عليه وسلم — فى قطعة من أديم : « بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أقطع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم تميما الدارىّ . أقطعه قريتى حبرون وعينون قريتى إبراهيم الخليل . يسير فيهما بسيرته ، وكتب علىّ بن أبى طالب، وشهد فلان وفلان » فبقيتا فى يده يسير بسيرته ، وشاهد الناس كتابه إلى أن دخلت الروم سنة ستين — لعلها ستّ وتسعون . ولقد اعترضه فيهما بعض الولاة بأن يزيلهما من يده إبّان كونى بالشام . فحضر مجلسه القاضى حامد الهروىّ . وكان حنفيـًّا فى الظاهر ، ومعتزليـًّا فى الباطن، ملحداً شيعيـًّا، وكان الوالى سمكان بن أرتبك « أزبك ؟ » . فاستظهر أولاد تميم بكتاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقال القاضى حامد ، هذا الكتاب لا يلزم ، لأن النبىّ — صلى الله عليه وسلم — أقطع ما لا يملك . فاستفتى الفقهاء فقال الطوسىّ ، وكان بها حينئذ . هذا كافر ، والنبىّ صلى الله عليه وسلم كان يقطع الجنة ويقول : قصر عمر ، قصر فلان ، فكيف لا يقطع فى الدنيا ؟ وقد قال رسول الله — صلى الله

عليه وسلم : زوبت لى الأرض . . الحديث . فوعده صدق وكتابه حقّ . فخزى القاضى والوالى ، وبقى أولاد تميم بكتابهم » .

ومما يدل على وجود هذا الكتاب إلى ما بعد ابن فضل الله بثلاثة أرباع القرن أن القلقشندى صاحب « صبح الأعشى » كتب فصلاً طويلاً على هذا الإقطاع وعلى الكتاب النبوىّ الكريم . وذكر فى آخره ما نصه : « وهذه الرقعة التى كتب بها النبي – صلى الله عليه وسلم – موجودة بأيدى التميميين خدّام حرم الخليل عليه السلام إلى الآن ، وكلما نازعهم أحد ، أتوا بها إلى السلطان بالديار المصرية ليقف عليها ويكفّ عنهم من يظلمهم . وقد أخبرنى برؤيتها غير واحد . والأديم التى هى فيه قد خلق لطول الأمد »

(انظر صبح الأعشى ج ٧ ص ٣٩ من النسخة الفتوغرافية المحفوظة بالخزانة الزكية الموجودة الآن بدار الكتب والوثائق القومية) .

وذلك يدل على أن الكتاب النبوىّ كان موجوداً إلى سنة ٨٢١ هجرية .

وكان التبرك برؤية ذلك على ظهر القبو الصغير الشمالى ، فى الحرم الخليلى الملاصق لقبر زوج يعقوب – عليه السلام – المفضى إلى المأذنة بحضرة مخزن العدس.

رؤية ابن فضل الله العمرى لهذا الكتاب الشريف سنة ٧٣٩ .

وقد كنت رأيت ذلك مرة متقدمة بالحصن سكن بنى الخليل ، بظاهر البلد ، لما أتيت زائراً بعد العود من الحج على الدرب المصرى فى المحرم سنة تسع وثلاثين وسبعمائة . ولكنى إذ ذاك لم أنقله .

قبر يونس بن متى وزيارة ابن فضل الله العمرى له مرات آخرها سنة ٧٤٥ هـ.

قبر يونس بن متى عليه السلام

بقرية حلحول على يسار الذاهب من بلد القدس إلى بلد الخليل عليه السلام . ويعرِّج الزائر إليه . وعليه بناء وقبة ، وله خادم زرته مرات . وآخر عهدى به فى ذى الحجة سنة خمس وأربعين وسبعمائة وكتبت على جدار القبة بيتين خطرا لى فى ذلك الوقت وهما :

(هنا بياض بالأصل مقدار سطرين)

قبر موسى الكليم عليه السلام

قبر موسى بن عمران — عليه السلام — بالقرب من أريحاء، وتعرف القرية بشيحان .

رواية فى تحقيق موضعه ومنام عجيب

رأيت بخط علاء الدين ابن الكلاّس ما صورته : « قال الشيخ إبراهيم ابن الشيخ عبد الله بن يونس الأرموى عن والده قال : زرت قبر موسى — عليه السلام — الذى بالقرب من أريحاء . قال الشيخ إبراهيم : وكان إذ ذاك لم تبن عليه قبة ولا مشهد . قال : فقلت فى نفسى : اللهم أرنى ما أزداد به يقيناً فى صحة هذا القبر . قال : فبينا أنا نائم رأيت كأن القمر انشق وخرج منه إنسان طوال . قال : فجئت إليه وسلمت عليه ، وقلت له : من أنت ؟

قال : موسى بن عمران ، وهذا قبرى ، وأشار إليه ، ثم قعدنا . وإذا بالقرب منا رجل يطبخ فى قدره فلما استوى طعامه ، أحضره إلينا فإذا شورباة أرز ، فأكل موسى عليه السلام منها ثلاث ملاعق ، وأنا ثلاث ملاعق ، والرجل ثلاثاً . ثم تداولناها بيننا إلى أن فرغت .

قال الشيخ عبد الله : وكنت على عزم العودة إلى بلاد العجم ، إلى عند شيخى .

فقال لى موسى عليه السلام : أنت لا تسافر إلى شيخك ، وكيف تسافر ؟ وأنت تريد أن تتزوج بامرأة من نسل الرسول وترزق منها أربعة أولاد .

وأقام الشيخ إبراهيم أصابع يده اليمنى الأربعة، وضم الإبهام إلى باطن كفه، يحكيه .

قال الشيخ إبراهيم : فكان كما ذكر موسى عليه السلام ، فلم يسافر والدى ، وتزوج بامرأة شريفة ، وهى أمى ، ورزق أربعة أولاد ، أنا أحدهم . ولما حضرته الوفاة ، قلت له : يا سيدى أنت راض عنى ؟ فقال : كيف لا أرضى عنك ، وقد بشرنى بك موسى عليه السلام .

(هنا بياض آخر الصفحة بالأصل مقداره ثلاثة عشر سطراً) .

هذا آخر الوصف الرائع الشافى ، والبيان التاريخى الوافى عن « مسجد الصخرة المشرفة » و« المسجد الأقصى المبارك » الذى سجله الكاتب البليغ والمنشئ الناقد الضليع العبقرى المقر الشهابى « ابن فضل الله العمرى » رئيس ديوان الإنشاء فى عصر الملك

المنصور « قلاوون » ملك مصر ، ومن قادة الفكر العربى النابغين ، فى أكبر موسوعة عربية إسلامية فى الجغرافيا والتاريخ والأدب . تناول فيه ما شاهده بنفسه ، أو نقله عمن عاينوه فى عصورهم التاريخية . وقد انفرد بذكره فى موسوعته الخطيرة ، دون سواه من المؤرخين ، ويعتبر الآن وثيقة تاريخية هامة لهذين المسجدين العربى والإسلامى بصفة عامة ، والشعوب العربية بصفة خاصة من المقام السامى والمركز العظيم .

لا سيما وقد كانت المكتبات العربية بمصر ، وخزانات الكتب بالمساجد فى عصره زاخرة بنفائس المخطوطات النادرة المثال ، والذخائر الثمينة القليلة الوجود . وهى بخطوط مؤلفيها ، قادة الفكر العربى فى العصور الإسلامية إلى عصر « ابن فضل الله العمرى » فى متناول يديه ، لأنه كان يشغل أكبر وظيفة ، وهى رياسة ديوان الإنشاء ، ومؤلفه النفيس المطبوع فى المراسيم والمكاتبات السلطانية وهو « التعريف بالمصطلح الشريف » يدل على علو شأنه ، ومركزه السامى ، وتضلعه فى الكتابة والإنشاء .

* * *

وقد ظلت هذه الكتب النفيسة فى أماكنها ، يرتشف من مناهلها العذبة العلماء الباحثون ، وطلاب العلم النابغون النابهون . إلى أن جاء الفتح العثمانى المشئوم ، فى عهد السلطان سليم التركى الغشوم ، أوائل القرن العاشر الهجرى ، فنهب وسلب ما فى هذه المكتبات والخزانات من الدرر الغوالى ، واللآلىء الثمينة التى تقدر الآن بعشرات الملايين من الجنيهات وأخذها معه حين خروجه من مصر ، ولم يكتف بذلك ، بل أخذ معه مهرة الصناع والنابغين منهم . والعباقرة فى كل فن وصناعة من العرب المصريين إلى الآستانة .

* * *

لذا نهيب بالسادة رؤساء الجمهوريات العربية ، وملوك ورؤساء الحكومات العربية ، والقادة العسكريين رؤساء جيوشها الأبطال ، وجنودها الفدائيين الشجعان ، وشعوبها على اختلاف طبقاتهم ، وقادة الفكر العربى فى مشارق الأرض ومغاربها المحافظة عليهما ، وبذل النفس والنفيس فى الإبقاء عليهما ، ومحاربة كل من تسول له نفسه من جنود الاستعمار والصهيونية الاستيلاء عليهما — كما يحلمون بذلك — أسوة بما اغتصب من أرض فلسطين العزيزة فى قلب كل عربى ، واتخاذها دولة عميلة بما جلب لها من يهود العالم بمساعدة الدول المستعمرة ، لتكون قاعدة عسكرية لها ، وأصبحت الآن خنجراً موجهاً إلى قلوب الدول العربية المتاخمة لها .

نوابغ الخطاطين الذين برعوا فى الخطّ العربىّ والماهرون فى الرسم والنقش والتزويق والزخرفة والتذهيب فى العصور الإسلامية

أسس الخطاطون العرب الذين برعوا فى الخط العربىّ مدارس لتعليم الخط العربىّ ، تخرّج فيها العباقرة المعروفون ، الأذكياء المشهورون ، الذين خلدوا لهم بكتابة المصاحف الشريفة ، ودلائل الخيرات الكريمة ، والكتب القيّمة ، فى شتى العلوم والفنون والآداب ، آثاراً بعيدة خالدة رائعة ، المحفوظة إلى اليوم بدور الكتب شرقا وغرباً ، وهى تعتبر الآيات البينات فى الحُسن والرواء .

ولما كان المصوّرون عادة بحكم عملهم تابعين للخطاطين . فعليهم أن ينتظروا إلى أن ينتهى الأخيرون من كتابة المخطوط . ثم يشرعوا هم بدورهم فى توضيح النصوص بالتصاوير فى حدود ما يتركونه لهم من مساحات فى صفحات المخطوط .

ولقد كان المصورون أقلّ مكانة من الخطاطين الذين كان عملهم يقوم بصفة أساسية على كتابة كلام الله تعالى ، بل كان أيضاً أقلّ من المذهّبين الذين يقومون بتذهيب المصاحف الكريمة ، ودلائل الخيرات الشريفة . ولا يذهب عن الذهن تصوير « الحرمين الشريفين » فيها . وما امتاز بها بعض نسخها من الإتقان والإبداع فى الزخرفة والتجميل والنقش والتذهيب .

ولا يخفى أن كل ما وصلنا عن نوابغ المصوِّرين والرسَّامين من العرب فى العصور الإسلامية هو قليل من أخبارهم وَرَدَتْ فى ثنايا صفحات الكتب . وقد ذكرنا ما وصلنا إليه بعد البحث والتنقيب فى أمَّهات الكتب المخطوطة وقليلٌ ما هى .

لأن الناس لم يكونوا حريصين على إنتاج المصوِّرين ، فكم من صُوَر طُمِست باسم الدِّين ! ! وكم من رسوم شوِّهت نتيجة تحريض الفقهاء ! ! وكم من كتب مصوَّرة نفيسة رائعة أحرقت بدافع الدين ! !

وناهيك بانتشار الخطّ العربىّ فى الأقطار التى يتفاهم سكانها باللغة العربية وهم يقدرون بنحو ٩٠ مليون نفس أو يزيدون من الآسيويين والإفريقيين ، وهم محصورون

اهم المعالم الجغرافية
التي تذكر في تاريخ الخط العربي

بين خليج العجم ودجلة[1] فى الشرق ، والمحيط الأطلانطيق فى الغرب ، وبين البحر الأبيض المتوسط وآسيا الصغرى شمالاً وخط الاستواء جنوباً ، ويدخل فى ذلك : جزيرة العرب ومصر والشام والعراق والجزيرة وبلاد المغرب فى طرابلس الغرب وبرقة وتونس والجزائر ومراكش وفى كل الجهات الغربية من الصحراء حتى بلاد السنغال كما ترى فى (الخريطة فى الصفحة التالية) ثم فى بلاد النوبة والسودان وشواطئ البحر الأحمر والنيجر والسودان الغربى فى وادای وبرنو وغيرها ثم فى زنجبار وفى جهات كثيرة من الصحراء وبعض شواطئ أفريقيا وجزرها وغير ذلك من البلدان التى يتكلم سكانها باللغة العربية .

وعلى كل الحال فإن من يتكلم العربية فيما بين نهرى الفرات والنيجر يكتبها بالخط العربى .

هذا وقد انتشر الآن فى أمريكا الشمالية والجنوبية بانتشار اللغة فى البلدان التى استوطنتها الجالية السورية هناك ، وقد أصدروا به الجرائد العربية العديدة فى الولايات المتحدة وكندا والمكسيك والبرازيل والأرجنتين وغيرها . هذا إذا ضربنا صفحاً عمن يتعلمون اللغة العربية ويكتبونها بالخط العربى من المستشرقين والمشتغلين بالعلوم الشرقية ولغاتها من علماء أوربا ، ولا سيما علماء ألمانيا وفرنسا وانجلترا وسويسرا وإيطاليا ، وطلبة العلم فى الجامعات والكليات الأوربية الكبرى . وفضلاً عن ذلك كله فإنه منتشر بين جميع أهل الدين وطلبة العلم الذين يتكلمون العربية ويتعلمونها للمعاملات الدينية فى سائر أقطار الهند والصين وإيران ، وما والاها من بلاد خراسان وأفغانستان وما وراء النهر بتركستان ، وبلاد التتار فى آسيا وشرقى أوربا ، وجزائر الهند الشرقية ، وسائر البلاد التى دخلها الإسلام فى القارات الخمس ، ولا يقل عدد هؤلاء الأعلام الذين تقتدى بهم الأمة الإسلامية عن مليون من النفوس هم خاصة الناس . ونقول بالإجمال إن الكتابة بالخط العربى عامة بين سائر

(١) لا يقال الدجلة بأداة التعريف (ال) كما لا يقال فرات بدونها بل الفرات . وأغلب كتاب العرب يؤنثون (دجلة) باعتبار اللفظ ويذكرونه باعتبار النهر . ويسمى عند الأثوريين ايديجات ، وعند الماديين دجل ، أى السهم ، وعند العبرانيين الداجل ، أى السريع وأدجل ودجلة وسماه الرومان دجليتوس وحرفه اليونان إلى تجرس ، وتابعهم الإفرنج فى تسمية تيجر (Tigre) والأرجح أن اسمه العربى مشتق من الاسم المادى أو العبرى ، ويعرف اليوم عند الأتراك وفى خرائطهم باسم (الشط) .

المسلمين الذين يقرءون كتاب الله[1] .

تعليم الخط العربيّ قديماً :

ورد فى ترجمة « عمر بن أحمد بن العديم » كيف تعلّم الخطّ العربيّ ، والنظام المتبع قديماً فى تعليمه . وقد ذكرها ياقوت فى معجم الأدباء (ج ٦ ص ٣٦ طبعة هندية) وهذا نصّه :

« قال : فلمّا بلغتُ سبعة أعوام حصلت إلى المكتب فأقعدتُ بين يدَى المعلّم ، فأخذ يمثّل لى كما يمثّل للأطفال ، ويمدّ خطاً ويرتّب عليه ثلاث سينات ، فأخذت القلم وكنتُ قد رأيته ، وقد كتب : « بسم » ومدّ مدته ، ففعلتُ كما فعل ، وجاء ما كتبته قريباً من خطه ، فتعجب المعلم فقال لمن حوله : لئن عاش هذا الطفل لا يكون فى العالم أكتب منه . وصحت لعمرى فراسة المعلم فيه ، فهو أكتب من كلّ مَنْ تقدّمه بعد ابن البوّاب بلا شكّ » اهـ .

المدرسة الأولى لتعليم الخط العربى فى فجر الإسلام

أوّل ما ظهرت الكتابة العربية فى مكة من قبل « حرب بن أمية » أو أخيه « أبى سفيان بن أمية » ، عمّ « أبى سفيان بن حرْب » الذى أخذ الخطّ عن أبيه « حرب » وعلمه « عمر بن الخطاب » وجماعة من قريش ، كما تعامه « معاوية ابن أبى سفيان » من عمه « أبى سفيان » أو غير ذلك .

إذ معنى هذا كله أن هؤلاء كانوا رؤساء قومهم ، فالتمسوا طريقةً فى الكتابة من أهل الحيرة والأنبار أو اليمن والتزموها . وعنهم تناقلها الناسُ ، فصاروا عندهم كالواضعين لها وتعتبر هذه « المدرسة الأولى لتعليم الخط العربى » فى فجر الإسلام .

* * *

أما فى المدينة فقد ثبت أنّ يهودياً « قدم علم الكتابة » ، كان يعلمها الصبيان هنالك ، ، فجاء الإسلام ، وفيهم بضعة عشر يكتبون ؛ منهم : « زَيد بن ثابت » يكتب الكتابتين جميعاً : العبرية والعربية ، و « أُبىّ بن كعب » و « بشير بن سعد »

[1] نقلا عن كتاب « انتشار الخط العربى فى العالم الشرقى والعالم الغربى » للصديق الفاضل الباحث المحقق المرحوم « عبد الفتاح عبادة » .

و « عمار بن فهيرة » و « عبد الله بن الأرقم » و« ثابت بن قيس بن شماس » و« خالد بن سعيد بن العاص » و « حنظلة بن الربيع الأسدىّ » و « شرحبيل بن حسنة » و « معاوية بن أبى سفيان » وكان ألزمهم بذلك و « زيد بن ثابت » و « معاوية » وعندما بُعث النبىّ صلى الله عليه وسلم ، كان أوّل من كتب له . « الخلفاء الأربعة ».

فكان هؤلاء جميعاً — رضى الله عنهم — رؤساء « المدرسة الأولى » لظهور « الكتابة العربية » وعنهم تناقلها الناسُ ، وصاروا هم كالواضعين لها .

* * *

قال العلامة المؤرخ « ابن خلدون » فى « مقدّمة تاريخه » بعد أن ذكر أنّ « الخطّ العربىّ » لأوّل الإسلام غير بالغ الغاية من الإحكام والإتقان والإجادة ، ولا إلى التوسط لمكان العرب من البداوة والتوحش وبُعدهم عن الصنائع . . .

ثم لما جاء المُلْك للعرب وفتحوا الأمصار ، وملكوا الممالك، ونزلوا البصرة والكوفة ، واحتاجت الدولة إلى الكتاب ، استعملوا الخطّ وطلبوا صناعته ، وتعلموه وتداولوه ، فترقت الإجادة فيه واستحكم . وبلغ فى الكوفة والبصرة رتبةً من الإتقان إلا أنها كانت دُون الغاية .

والخطّ الكوفىّ معروفُ الرسم لهذا العهد ، ثم انتشر العرب فى الأقطار والممالك وافتتحوا إفريقية والأندلس . واختط بنو العباس بغداد ، وترقت الخطوط فيها إلى الغاية لما استبحرت فى العمران ، وكانت دار الإسلام ، ومركز الدولة العربية . وخالفت أوضاع الخطّ ببغداد أوضاعه بالكوفة ، فى الميل إلى إجادة الرسوم وجمال الرونق وحسن الرواء . واستحكمت هذه المخالفة فى الأمصار إلى أن رفع رايتها ببغداد الإمام « علىّ بن مقلة » الوزير . ثم تلاه فى ذلك « علىّ بن هلال الكاتب » الشهير « بابن البوّاب » ووقف سند تعليمها عليه فى المائة الثالثة وما بعدها . وبعدت رسوم الخطّ البغدادىّ وأوضاعه عن الكوفىّ ، حتى إلى المباينة ، ثم ازدادت المخالفة بعد تلك العصور بتفنن الجهابذة فى أحكام رسومه وأوضاعه ، حتى انتهت إلى المتأخرين مثل : « ياقوت » و « الولىّ علىّ العجمىّ » — ووقف سند تعليم الخطّ عليهم ، وانتقل ذلك إلى مصر ، وخالفت طريقة العراق بعض الشىء ، ولقنها العجم هنالك ، فصارت مخالفة لخطّ أهل مصر أو مباينة . . . إلخ » انتهى .

الباعث الأوّل لنهضة الخط العربى :

إن الباعث الأوّل لنهضة الخطّ العربىّ فى « مدرسته الأولى » هو سيدنا رسول الله النبىّ الأمىّ « محمد بن عبد الله بن عبد المطلب » صلى الله عليه وسلم بواسطة كتاب الوحى الذين كتبوا صُحُف « الكتاب العزيز » وَمنْ نقلوا عنهم ممن هداهم الله إلى الإسلام وعادوا بصحفهم عليهم .

ثم بواسطة ما كتبه رسول الله إلى الملوك بعد أن جاء نصر الله والفتح ، ودخل العرب فى دين الله أفواجاً ، وعلى آثار رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قَفَى خلفاؤُه الراشدون من بعده ، فما كاد « عثمان بن عفان » يرسل بمصاحفه إلى الآفاق ، حتى تسابق الناسُ إلى نسخها ، وتنافسوا فى كتابتها . وتفنَّن أهل كل مصر فى نسخ « المصحف » على حسب ط يقتهم فى الكتابة . وبذلك صار الخطّ العربىّ « خطّ المصاحف » ينهض ويرتقى ويسير مع الفتح الإسلامىّ خطوةً خطوةً حتى عم مشارقَ الدنيا القديمة ومغاربها .

* * *

والملحوظ بعد هذا أن هذا « الخطّ المحمدىّ » فى « مدرسته الأولى » تلون فى البيئات المختلفة بألوان مختلفة ، فضلاً عن أنه تنوع فى الإقليم الواحد ، فصار أقلاماً لكل قلم سماته الخاصة «وكان فى كل إقليم بحسب درجة هذا الإقليم فى العمران » لأنه من جملة الصنائع كما ذكرناه فيما سلف عن العلامة المؤرخ « ابن خلدون » فى مقدمة تاريخه المعروف .

* * *

وفى دار الكتب والوثائق القومية مصحفٌ شريفٌ من غير شكل ولا نقط على قاعدة رسم ما كتب فى « المدرسة الأولى فى فجر الإسلام » ولعلّ هذا المصحف هو أحد المصحفين اللذين تكلم عليهما المقريزى فى خططه عند ذكر « الجامع العتيق » فى الفسطاط ، قال : «وكان قد حضر إلى مصر رجلٌ من أهل العراق وأحضر مصْحفاً ذكر أنه مصحف عثمان — رضى الله عنه — وأنه الذى كان بين يديه يوم الدار ، وكان فيه أثر الدم . وذكر أنه استخرج من خزائن المقتدر ، فأخذه أبو بكر الخازن وجعله فى الجامع وشهره ، وجعل عليه خشباً ، وكان الإمام يقرأ فيه يوماً ، وفى مصحف

أسماء بنت أبي بكر بن عبد العزيز بن مروان يوماً ، ولم يزل على ذلك إلى أن فع هذا المصحف واقتصر على القراءة فى مصحف أسماء، وذلك فى المحرم سنة ٣٧٨ هـ ».

وقد عثر أخيراً فى « رواق المغاربة » بالجامع الأزهر على مصْحف شريف لعثمان — رضى الله عنه — وقد نشرت جريدة الأهرام خبره مع تصوير بعض صفحاته .

وذكرنا هذا بالتفصيل فى القسم الأوّل من هذا الكتاب.

مدارس الخط العربى فى القرن الثالث الهجر

مدرسة الوزير ابن مقلة

هو أبو علىّ محمد بن علىّ بن الحسن (أو الحسين) بن مقلة الوزير ، صاحب الخطّ الذى تضرب بحسنه الأمثال ، قيل : إنّ أوّل من نقل « الخط العربىّ » من أصله « الكوفى» إلى الأقلام التى استعملت فيهما بعد ، ودخل فيها — التحسين على طول الأيام إلى أن صارت على ما تكتب به الآن ، هو هذا الإمام الجليل ، وهو خطأ ، فإنه قد عثر على كتب بخطّ السابقين فى أواخر خلافة « بنى أمية » وأوائل خلافة « بنى العباس »وخطها ليس على صورة « الكوفىّ » بنوعيه : « المبسوط » و« المقوَّر» وإن كان إليه أميل ، لأنه من زمن « الكوفىّ » أقرب .

ويظهر أن الوزير « ابن مقلة » ساهم فى تهذيب الخطّ مساهمة قوية انتهت إلى أن المتّبعين طريقته، والمنتمين إليه ،والناسجين على منواله جعلوه المبتدع الأوّل لهذه الحروف من أصلها « الكوفىّ » وسارت بهذه البدعة الركبان فى أطراف البلدان ، دعاية للوزير ، وتنويهاً بشأنه وبراعته ونبوغه .

كان « ابن مقلة » فى أول أمره كاتباً فى بعض الدواوين بدنانير معدودة فى الشهر ، ثم إنه تعلق « بأبى الحسن بن الفرات » وزير « المقتدر » الخليفة العباسىّ الذى استخلف سنة ٢٩٥ للهجرة . فرفع من قدر « ابن مقلة » إذ أنه كان بين يديه يعرض عليه رقاعاً فى مهمات الناس وينتفع بسبب ذلك ، فما زال كذلك حتى علت حاله ، وكثر ماله .

ولما ولى « ابن الفرات » الوزارة الثانية ، تمكن « ابن مقلة » فى دولته ، وارتفعت

جاله وعرض جاهه ، ثم نَزَغَ الشيطانُ بينهما فدخل فى جملة أعدائه والساعين به، حتى نكب « ابن الفرات » وعزل ، فلما عاد إلى الوزارة قبض على « ابن مقلة » ، وصادر على مائة ألف دينار أدّتها عنه امرأته ، وكانت ذات مال طائل .

ثم استوزره « المقتدر » وخلع عليه خلع الوزارة ، فاستقلّ بأعبائها ، أمراً ونهياً ، وبذل فى الحصول عليها خمسمائة ألف ، ثم عُزِل وقُبِض عليه، ثمّ أعيد، وما زالت تتقلب به الأحوال حتى استوزره « الراضى » ثم جرت خطوب أوجبت أن « الرضى » حبسه بداره وضيق عليه ، ثم سعى به أعداؤه عند « الراضى » وخوّفوه غائلته فقطع يده اليمنى ، ومكث فى السجن مدّة مقطوع اليد ، وكان ينوح على يده ويقول :

« يدٌ كتبتُ بها كذا وكذا مصحفاً ، وكذا وكذا حديثاً من أحاديث الرسول — صلى الله عليه وسلم — ووقَّعت إلى شرْق الأرض ومغربها، تقطع كما تقطع يدُ اللصّوص!! ».

ومن شعره يشير إلى قطع يده :

ما مللتُ الحيـــاة لـــكن توثقـــ ـــت بإيمانهم فبانت يمينى !
ثم أحسنتُ ما استطعتُ بجهدى حفظَ أرواحهم فما حفظونى !
ليس بعـــد اليمين لذّة عيش ، يا حياتى ، بانت يمينى فبينى !

وفيها يقول بعض الشعراء :

لئن قطعوا إحدى يدَيه مخافة لأقلامه لا للسيوف الصوارِم
فما قطعوا رأياً إذ ما أجـــاله رأيتُ الرّدَى بين اللها والغلاصم

* * *

ولما قطع الراضى يد « ابن مقلة » كتب باليسار ، مثل ما كان يكتب باليمين .
ثم شدّ على يده المقطوعة وكتب بها ، فلم يفرق بين خطه قبل قطعها وبعده .

والمعروف أنّ « ابن مقلة » تولى الوزارة ثلاث مرّات واعدّة خلفاء ، ووقعتْ له حوادث ومحن ، حتى قطعتْ يدُه ولسانه ، وحبس حتى مات .

قيل : إنه ولى بعض أعمال فارس ، ثم وُزِّرَ للمقتدر سنة ٣١٦ هـ ، ثم قبض عليه وصادره وحبسه عامين . قال الصُّولىّ : « ما رأيتُ وزيراً منذ توفى القاسم بن عبيد الله أحسنُ حركةً ، ولا أظرفُ إشارةً ، ولا أملحُ خطًّا ، ولا أكثرُ حفظاً ،

ولا أسلطُ قلماً ، ولا أقصرُ بلاغةً ، ولا آخذٌ بقلوب الخلفاء ، من محمد بن علىّ (يعنى ابن مقلة) . ثم قال : وله بعد هذا كله، علمٌ بالإعراب وحفظ اللغة » .

وقال محمد بن إسماعيل الكاتب :

لما نكب أبو الحسن بن الفرات أبا علىّ ابن مقلة ، لم أدخل عليه فى حبسه ، ولا كاتبته خوفاً من ابن الفرات ، فلما طال أمره كتب إلىّ يقول :

ترى حرمت كتب الأخلاء بينهم … أبن لى ؟ أم القرطاس أصبح غالياً ؟
فما كان لو ساءلتنا كيف حالنا؟ … وقد دهمتنا نكبةٌ هىَ ما هيا !
صديقك مَنْ راعاك عند شديدة … وكلٌ تراه فى الرخاء مراعيا
فهبك عدوى لا صديقى فربما … تكاد الأعادى يرحمون الأعاديا !

وأنفذ إلى الوزير ابن الفرات فى طىّ ورقة محمد بن إسماعيل ورَقةً فيها :

« أمسكت — أطال الله بقاءَ الوزير — عن الشكوى، حتى تناهت البلوَى فى النفس والمال والجسم والحال، إلى ما فيه شفاءٌ للمنتقم، وتقويمٌ للمجترم حتى أفضيتُ إلى الحيرة والتبلد ، وعيالى إلى التهتك والتشرد ، وما أبداه الوزير — أيده الله — فى أمرى إلا بحقّ واجب ، وظنّ غير كاذب . وعلى كلّ حال فلى ذمامٌ وحرمة، وصحبةٌ وخدْمة ، إن كانت الإساءة أضاعتها، فرعاية الوزير — أيده الله — تحفظها، ولا مُفْزعٌ إلى الله بلطفه، وكنف الوزير وعطفه ، فإن رأى — أطال الله بقاءه — أن يلحظَ عبده بعين رأفته ، وينعم بإحياء مهجته . وتخليصها من العذاب الشديد، والجهد الجهيد ، فليجعل له من معروفه نصيباً ، ومن البلوَى فرجاً قريباً » .

والمشهور أن ابن الفرات نكب ابن مقلة بعد أن تولى الوزارة لثالث مرة بعد حامد بن العباس وزير المقتدر .

ولما خُلع المقتدر سنة ٣١٧هـ ووُلِّىَ القاهر بالله استوزر ابن مقلة ، غير أنّ القاهر لم يلبث إلا ثلاثة أيام ثم خُلع ووُلِّىَ المقتدر. فقبض على ابن مقلة وأمر بإحراق داره — وكانت عظيمة — وقد ظلم الناس فى عمارتها مدّة وزارته. وكانت سنتين وأربعة أشهر وعشرة أيام .

ولما مات المقتدر وتولى بعده القاهر الخلافة سنة ٣٢٠ هـ واستوزر ابن مقلة ثم تأكدت الوحشةُ بينهما فخلعه وأحرق داره ، كما أُحرقتْ من قبلُ ، ثم اختفى

ابن مقلة وبعد حين ظهر وعمل مع الوزير محمد بن ياقوت الذى كان وزيراً للراضى بن المقتدر الذى استخلف بعد خلع القاهر وسمله، وهو أول خليفة سملت عيناه اتقاء شره ؏

وفى سنة ٣٢٣ هـ استكتب الراضى الوزير ابن مقلة لولديه . وفى هذه الأيام بلغه أن أحد المعروفين بالقراءة يغير حروفاً من القرآن بغير ما أنزل الله . فأحضره وأحضر جماعة من القراء بينهم القاضى ، فأغلظ المقرئ لهم جميعاً ورماهم بالجهل . فأمر الوزير ابن مقلة بضربه فضرب ، فدعا على الوزير بأن تقطع يده ويشتت شمله . فأجاب الله دعاءه — كما سيأتى — .

وفى هذه السنة قبض الراضى على وزيره محمد بن ياقوت ، فعظم شأن ابن مقلة، إذ استقل بتدبير الدولة ؏

ولما مات الراضى وتولى الخلافة بعده أخوه المتقى بن المقتدر ، حصلت فتن شديدة فى دار الخلافة كادت تجتاح ابن مقلة اجتياحاً ، فلما وصل محمد بن طغج الأخشيد ، طلب إلى ابن مقلة أن يهاجر معه إلى مصر فأبى، فلما خلع المتقى وولى المستكفى ، ثم خلع وولى المطيع ، دبر أعداء ابن مقلة عليه، وسعوا فى هلاكه ، فقبض عليه وأحرقت داره للمرة الثالثة .

* * *

وفى سنة ٣٢٦ هـ قطعت يد ابن مقلة ، ثم قطع لسانه ، ومات فى حبسه سنة ٣٢٨ هـ . وسبب نكبته هذه هو أنه اتهم بأنه يطمع بحكم أحد أمراء الأتراك فى الحضرة ، فاستفتى الخليفة القضاة أمره ، فيقال : إنهم أفتوا بقطع يده — ولم يصح ذلك — فأخرجه الخليفة من السجن إلى الدهليز ، وقطع يده بحضرة الأمراء ، ثم قطع ابن رائق لسانه حينما شعر بدنو بجكم من بغداد. هذا ولم يترك ابن مقلة حرفاً من حروف الهجاء لم يعالجه بالشرح معالجة المربى القدير [1] .

* * *

وقد أجاد الوزير ابن مقلة وأخوه أبو عبد الله وولدا طريقة اخترعاها وبرزا فيها على كتاب زمانهما وتفرد أبو عبد الله بالنسخ ؏

(١) نقلا عن تاريخ الخط العربى للأستاذ المربى الجليل المرحوم محمد فخر الدين بك المدرس بمدرسة دار العلوم (كلية دار العلوم الآن) .

وتفرد الوزير ابن مقلة بنوع يسمى : « الدّرج » ، هندّس حروفهُ وأجادَ تحريرها ، وعنه انتشرتْ الطريقة فى مشارق البلاد ومغاربها على أنه المبتكر ، أو أنه أوّل َمنْ أبدعها من الكوفى ؟

مدرسة ابن البواب

وأخذ عن مدرسة « ابن مقلة » : « محمد بن السمسانىّ ومحمد بن أسد » . وعن مدرستهما الوارد ذكرهما فى مؤلفنا الخاص المسمى : « مدارس الخط العربى » ويشمل نوابغ الخطاطين الذين برعوا فى الخطّ العربىّ وماهرين فى الرسم والزخرفة والنقش والتزويق والتذهيب والتزميك من فجر الإسلام وأزهى العصور الإسلامية إلى الآن أخذ أبو الحسن علىّ بن هلال المعروف « بابن البوّاب » المتوفى سنة ٣١٤ هـ وهو الذى أكمل قواعد « الخطّ العربىّ » وتممها ، واخترع غالبَ الأقلام التى أسس أصولها الوزير ابن مقلة ، وهو الذى يذهب إلى أن ثانية السين تكون أطول من أوّلها . وستأتى مدرسته فى مؤلفنا المذكور.

وممن أخذ عن «مدرسة ابن البوّاب » : « محمد بن عبد الملك » . وعنه أخذتْ الشيخةُ الكاتبة المحدّثة « زينبُ الأبـّريـّةُ » ، الملقبة « بشْهدةَ » . وعنها أخذ كثير من نوابغ الخطاطين ؛ كأمين الدين « ياقوت بن عبد الله الرومىّ المستـَعـْصمى» المتوفى سنة ٦٩٨هـ الملقب بـ« قبلة الكتّاب » ، و« محمد بن علىّ المكتّب »[1] بالفسطاط و « شعبان بن محمد الآثارىّ » محتسب بمصر . وقد صنف ثانيهم مختصراً فى « قلم الثلث » ونظم الثالث فى صنعة الخطّ « ألفيـّة » لم يسبق إلى مثلها. وسنذكر مدارسهم فى كتابنا المذكور آنفاً .

* * *

ومن أراد من العلماء الباحثين الاستزادة والاستيفاء فى البحث والتعمق فى الاستنباط فعليه بما اعتمدنا فيما كتبنا على فهرست ابن النديم ، وكشف الظنون لحاجى خليفة . وأوّل الجزء الثالث من الموسوعة الجليلة « صبح الأعشى » لأبى العباس القلقشندىّ .

---

(١) المراد بالمكتب الواردة فى ترجمته هو ما نسميه فى عصرنا الآن : « المدرس » .

ألقاب الأقلام المستعملة فى تلك العصور الإسلامية الزاهية:

أما ألقاب الأقلام التى كانت مستعملة فى تلك العصور الإسلامية الزاهية فهى : « الجليل » هو غالباً ما نسميه فى عصرنا (عصر العلامة القلقشندى) : « بالجلى » و « الثلث » ونحوه ، مختلف فى أصله ، فيذهب « الوزير ابن مقلة » إلى أن « للخط الكوفى » أصلين من أربع عشرة طريقة هما لهما كالحاشيتين ، وهما : « قلم الطومار» ، وهو قلم مبسوط كله ، ليس فيه مستديرة ، وكثيراً ما كتبت به مصاحف المدينة . و « قلم غبار الحلية » وهو قلم ومستدير كله ليس فيه شىء مستقيم . فالأقلام كلها تأخذ من المستقيمة والمستديرة نسباً مختلفة : فإن كان فى المكتوب من الخطوط المستقيمة « الثلث » ، سمى « قلم الثلث » ، وإن كان فيه الثلثان سمى « قلم الثلثين » ، وهكذا .

وذهب بعض الكتاب إلى أن هذه الأقلام منسوبة إلى « قلم الطومار » فى العرض ، وهو الذى كانت الخلفاء تكتب علاماتهم به فى الزمن المتقدم ، أى فى أيام « بنى أمية » فمن بعدهم .

« فقلم الطومار » وهو أجل الأقلام ، عرضه ٢٤ شعرة من شعر « البرذون » ، و « قلم الثلث » منه بمقدار ثلثه ، وهو ثمان شعرات ، و « قلم النصف » بمقدار نصفه ، وهو اثنتا عشرة شعرة ، و « قلم الثلثين » بمقدار ثلثيه ، وهو ثمان عشرة شعرة — وعلى هذا المذهب شعبان الآثارى فى « ألفيته » .

وقد روى أن عمر بن عبد العزيز أتى « بطومار » ليكتب فيه فامتنع وقال : فيه ضياع الورق ، وهو من « بيت مال المسلمين » وهذا دليل على أنه كان موجوداً من قبل . ويظن أنه كان من أيام معاوية . فهو الذى قرر أمور الخلافة ، ورتب أحوال الملك . ولابد أن يكون منها الخط والكتابة . ومعنى الطومار : (الفرخ الكامل من الورق) ، وبالضرورة لا يكتب فى « الطومار» إلا بقلم الطومار السابق بيانه . وكان يتخذ من لب الجريد الأخضر . ثم كان فى أيام « المماليك » فيتخذ من القصب الفارسى الأبيض ، وهو الذى كان « معشر القرويين » يكتبون به ألواحهم فى « الكتاتيب » وكان « قلم الطومار » يشق ثلاثة شقوق أو أكثر ليتوزع منها جميعها المداد على الورق بسهولة .

ويظهر لنا من تتبع الكتابات أنّ كلمة « مبسوط » فى الكتابة يراد بها أن الحروف التى من مثل : الباء وأختيها ، والراء وأختها ونحوهما كالدال المتطوّفة ترسم مرسلةّ (بد ط ف و م رى ب ر و) وكلمة مستدير أو مقور يراد بها أن تكون مجموعة (ن ر و يد) . وفى هذا كفاية .

ومن أراد الاستزادة فى الشرح فليراجع أوّل الجزء الثالث من الموسوعة النفيسة « صبح الأعشى » لأبى العباس القلقشندىّ .

* * *

ونكتفى الآن بهذه المدارس التى كانت معدّة لتعليم « الخطّ العربىّ » ، وسنذكر بقيتّها بالتفصيل الوافى ، والشرح الكافى — بعون الله تعالى — فى كتابنا الخاص بها الذى أشرنا إليه فى « مدرسة ابن البواب » ، والحمد لله الذى وفقنا لهذا « وما توفيقى إلا بالله » .

تحريراً بالقاهرة الكبرى فى يوم الإثنين ١٤ رجب سنة ١٣٨٥ (٨ نوفبر سنة ١٩٦٥) .

محمد عبد الجوّاد الأصمعى

الموظف بدار الكتب والوثائق القومية سابقاً

فهارس الكتاب

١ – فهرس الموضوعات

رقم الصفحة

رقم الصفحة

رقم الصفحة

---

(١) لم يذكر المؤلف من الآلة الأولى إلى الآلة الخامسة فوضعنا هذه الأصفار للتنبيه . وأشرنا إلى هذا فى موضعها .

إحياء صناعات عربية فنية دقيقة — رقم الصفحة

وصف الحرم المقدسى ومزاراته إلى سنة ٧٤٣ هـ
تصنيف خاصّ به لأحمد بن أمين الملك
وصف فنى عربى للبناء على الطراز العربىّ

رقم الصفحة

رقم الصفحة

فهرس أسماء

نوابغ المصورين والرسامين من العرب
فى العصور الإسلامية

أسماء المصورين والرسامين والمزوِّقين والمزخرفين من العرب في أزهى العصور الإسلامية

(تنبيه)

هذه الأسماء قد رتبناها على الحروف الهجائية دون المبالاة بأداة التعريف ، أو أب ، أوابن ، أوأبو ، أوبنو. مثال ذلك :

« البصريون » قد وضعناه فى حرف الباء ، و « أبو تجزأة » فى حرف التاء ، و«ابن الرزاز » فى حرف الراء ، و « ابن الزيات » فى حرف الزاى و « بنو المعلم » فى حرف الميم وهكذا ، فتنبه :

٢ — فهرس أسماء المصورين والرسامين والمزوِّقين والمزخرفين من العرب فى أزهى العصور الإسلامية

الفهرس الثانى

أسماء الأعلام

(مرتبًا ترتيبًا هجائيًا)

فهرس أسماء الأعلام

« تنبيه »

هذه الأسماء قد رتبناها على الحروف الهجائية دون المبالاة بأداة التعريف ، أو « ابن » ، أو « أبو» ، أو « بنت » ، مثال ذلك :

« ابن بنت الأعز شهاب » تجده فى حرف الألف و (ابن الأيتمر) فى حرف الألف أيضاً ، و « البلقينى» تجده فى حرف الباء ، و « ابن البواب » فى حرف الباء أيضاً ، و « أبو الحسن ابن الفرات » ، فى حرف الحاء، و « ابن السداد » فى حرف السين ، و « أبوسعيد بن الزيات» فى حرف السين ، أيضاً ، و « ابن عباس » فى حرف العين ، و « أبو العز » فى حرف العين أيضاً ، و « أبو الفرج الأصبهانى » « فى حرف الفاء ، وهكذا .

٣ — فهرس أسماء الأعلام

(حرف الغين)

(حرف الفاء)

الفهرس الثالث

أسماء الأمم والقبائل

(مرتبة ترتيباً هجائياً)

٤ ــ فهرس أسماء الأمم والقبائل

(الفهرس الرابع)

فهرس أسماء الأماكن والجبال والبحار والأنهار

(مرتبة ترتيبًا هجائيًا)

٥ ـ فهرس أسماء الأماكن

الاسم — الصفحة

(حرف الخاء)

(حرف الدال)

الاسم — الصفحة

(حرف الراء)

(حرف النون)

(حرف الهاء)

(الفهرس الخامس)

أسماء الكتب والمراجع

(مرتبة ترتيباً هجائياً)

٦ ـ فهرس أسماء الكتب والمراجع

(الفهرس السادس)

« أسماء الكتب المصورة المنقول منها
بعض الصور المناسبة لهذا الكتاب »

« مرتبة ترتيباً هجائياً »

٧ — الكتب المصورة حسب ترتيبها العلمى

زخرفة المصاحف الشريفة وتجميلها بالنقوش الرائعة بالذهب واللازورد

العناية بكتابة المصاحف وزخرفتها

٨ — فهرس أسماء الكتب المصورة مرتبة ترتيباً هجائياً

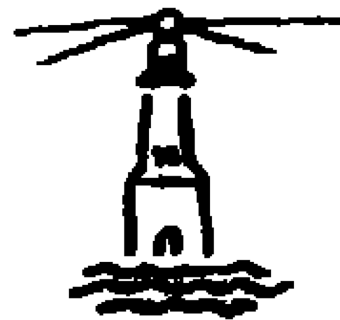
تم إيداع هذا المصنف بدار الكتب والوثائق القومية
تحت رقم ٣٩٠٧ / ١٩٧٠

مطابع دار المعارف بمصر
سنة ١٩٧١

ILLUSTRATIONS
OF
ARABIC MANUSCRIPTS

IN ISLAM, AND ARABIC ILLUSTRATORS AND PAINTERS IN ISLAMIC PERIODS

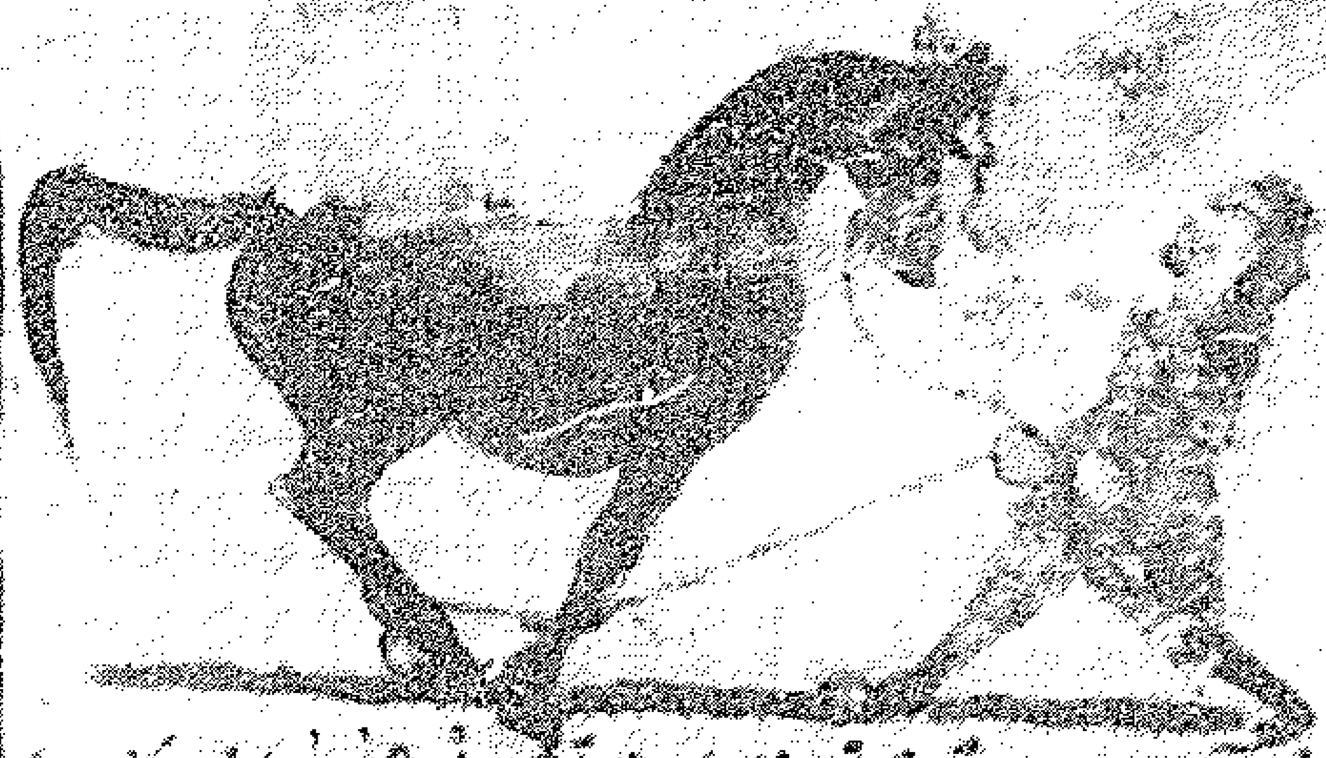
By
Mohammed Abdel Gawad Al Asmaai
Administration of Culture
Ministry of Waqfs



AL-MAAREF PRESS, CAIRO

اللوحات

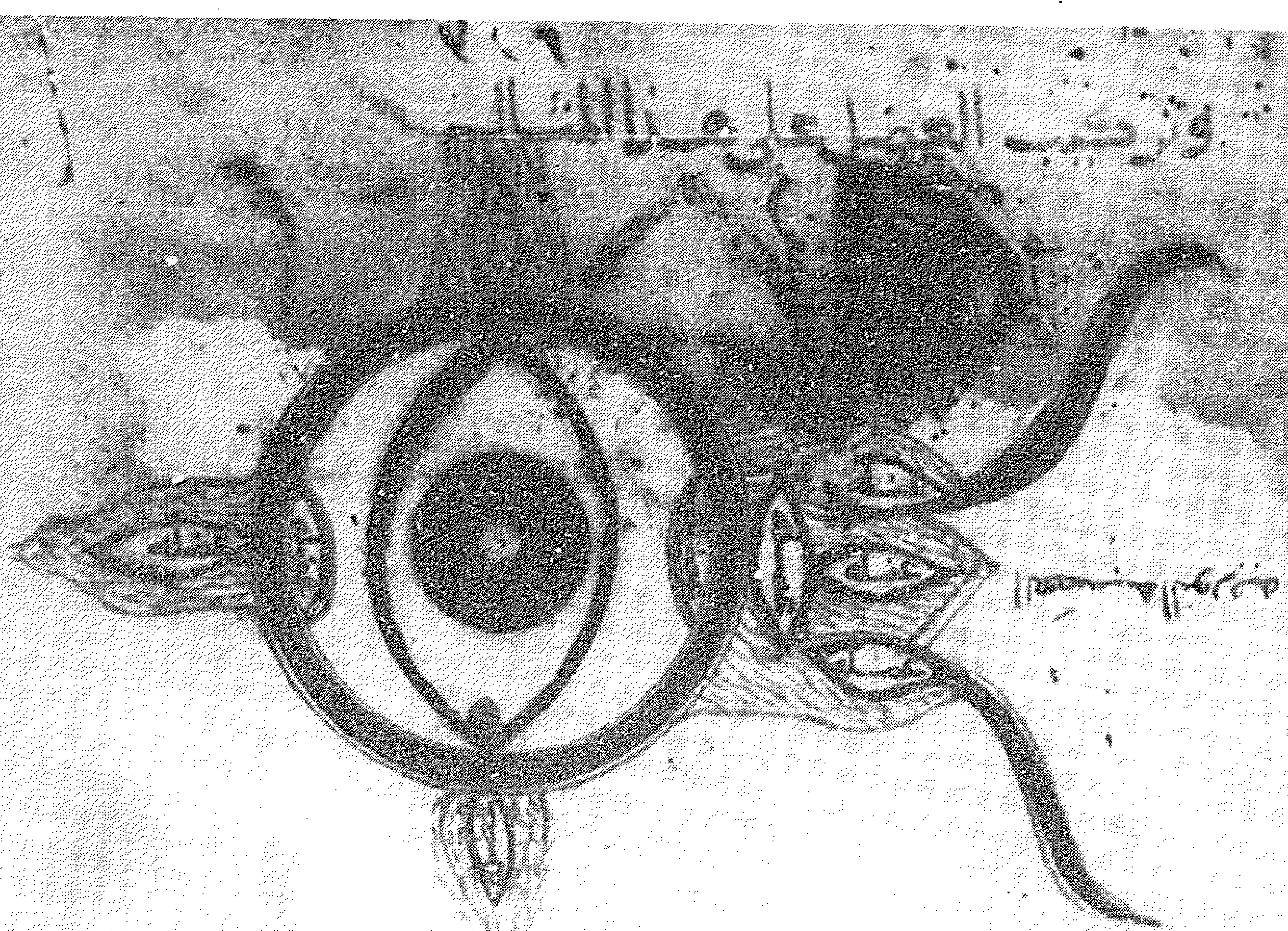




لوحة (١)



لوحة (٢)



المقالة الثانية في طبيعة الدماغ ومنافعه [illegible] من اراد
معرفة طبيعة العين ان يكون بطبيعة الدماغ عالما اذ كان مبداها منه
ومنها فعلها يرجع اليه وانما يعرف الانسان طبيعة الشيء اما بجوهره واما
بخاصته التي هو مخصوص بها فلذلك قد يجب علينا ان نعلم ما حال الدماغ
وما الشيء الذي هو مخصوص به فنقول ان كل عضو من الاعضاء يحد بحدين خاصيين
احدهما من عنصره اعني من طبيعته والاخر من نوعه اعني من فعله ومنفعته
وللدماغ ايضا حدان خاصيان احدهما يخبر عن جوهرها كما ذكرنا من طبيعته وهو
ان نقول ان الدماغ عضو بارد ابرد اعضاء البدن وارطبها والحد الاخر
من فعله والحاجة اليه وهو ان نقول ان الدماغ ابتدا الحس والحركة
الارادية والسياسة وكلا الحدين خاصان للدماغ دون غيره من الاعضاء
اما الحد الاول وهو ان الدماغ ابرد اعضاء البدن وارطبها فانه لا يعم
شيئا من الاعضاء مع الدماغ لانه ليس في البدن عضو ارطب من الدماغ
ولا ابرد منه وذلك لما انا ذاكره لك بعد ايضاح فعل [illegible]
الحد الثاني القائل ان الدماغ ابتدا الحس والحركة الارادية
والسياسة فانه ايضا لا يدل على عضو سوى الدماغ وذلك [illegible]

لوحة (٣)

صورة ارمينيه والران واذربيجان

حد الجزيره

لوحة (٤)

وهذه صورة العراق

الدجله

نهر النهروان

الكوفه

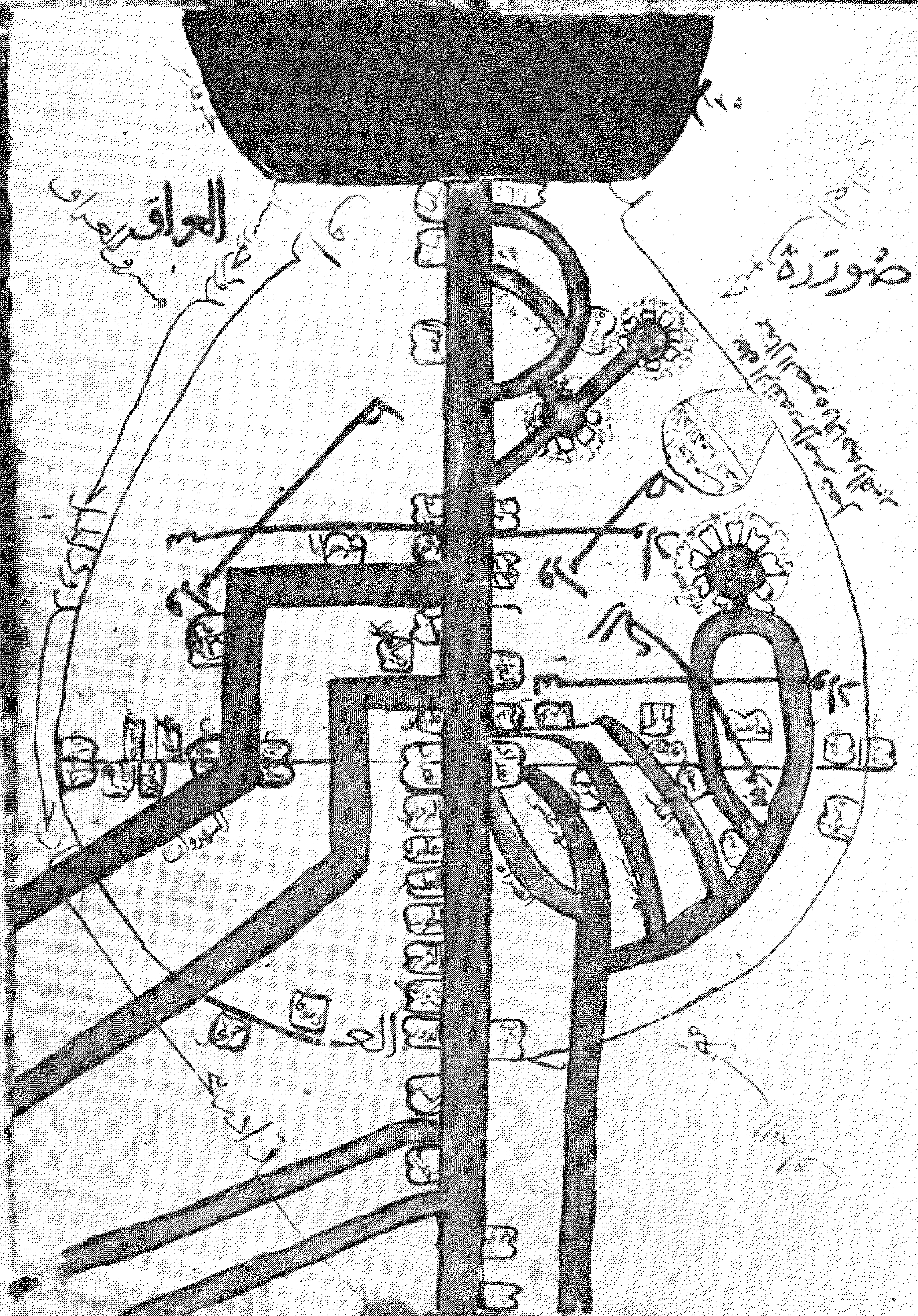
القادسيه

سواد الكوفه

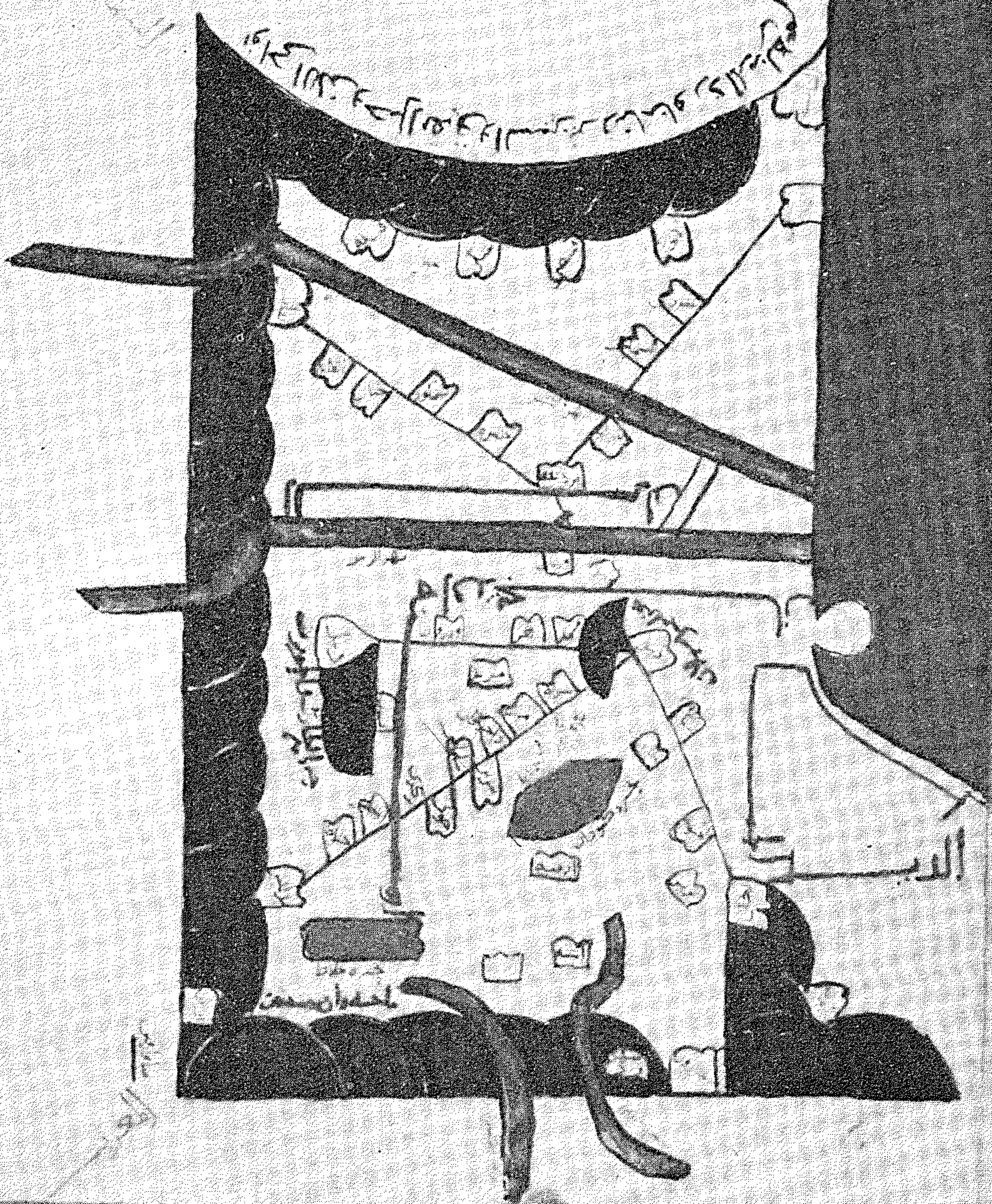
المذار

واما مدنها فان البصرة البصرة مدينة عظيمة لم تكن في ايام العجم وانما اختطها المسلمون ايام
عمر بن الخطاب ومصرها عتبة بن غزوان وهي خطط وقبايل كلها ويحيط بغربيها البادية مفوضتا :

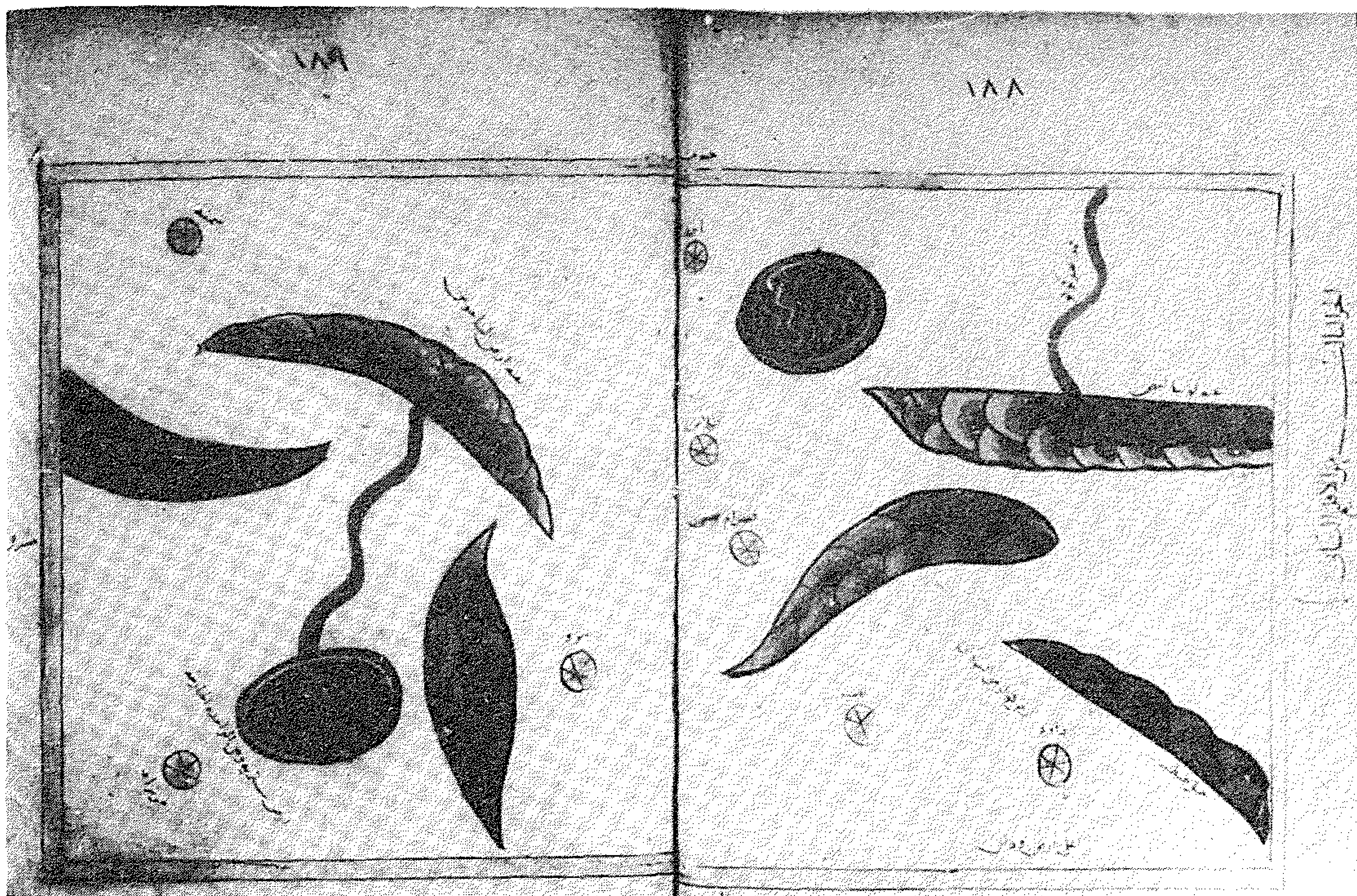
لوحة (٥)



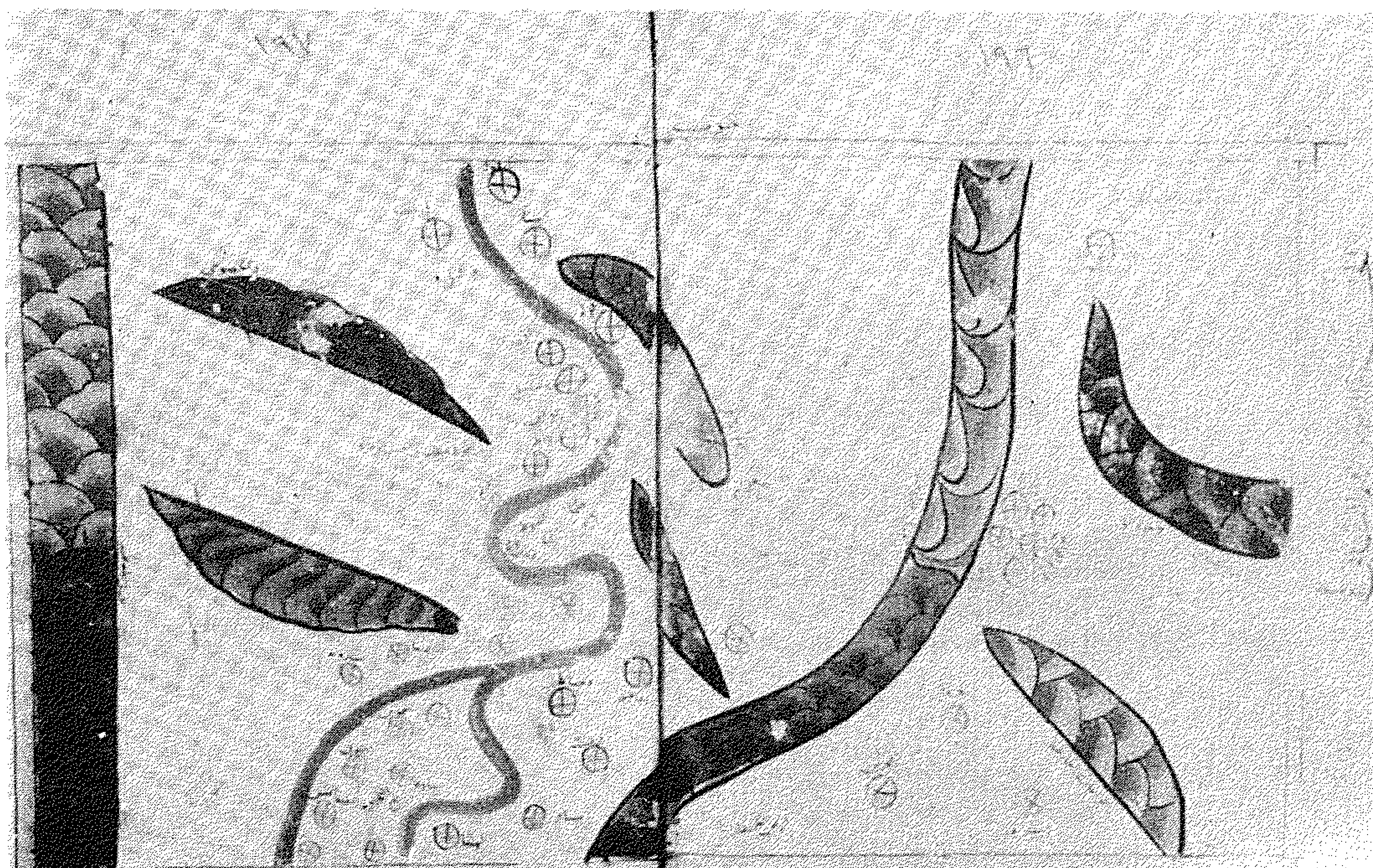
لوحة (٦٠)



لوحة (٧)



لوحة (٨)

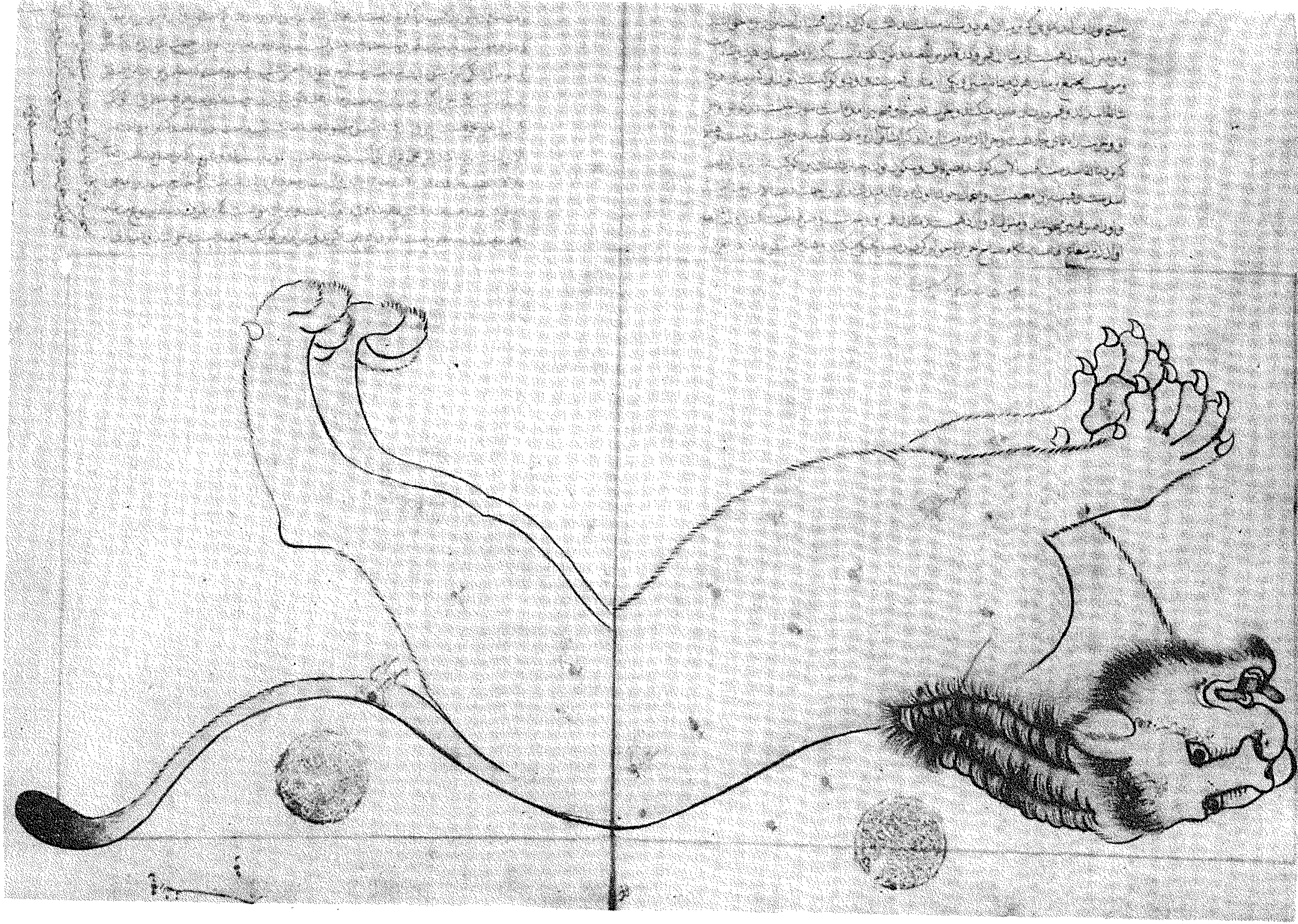


لوحة (٩)

لوحة (١٠)



لوحة (١١)



لوحة (١٢)

لوحة (١٣)

لوحة (١٤)

لوحة (١٥)

لوحة (١٦)

لوحة (١٧)



لوحة (١٨)



لوحة (١٩)

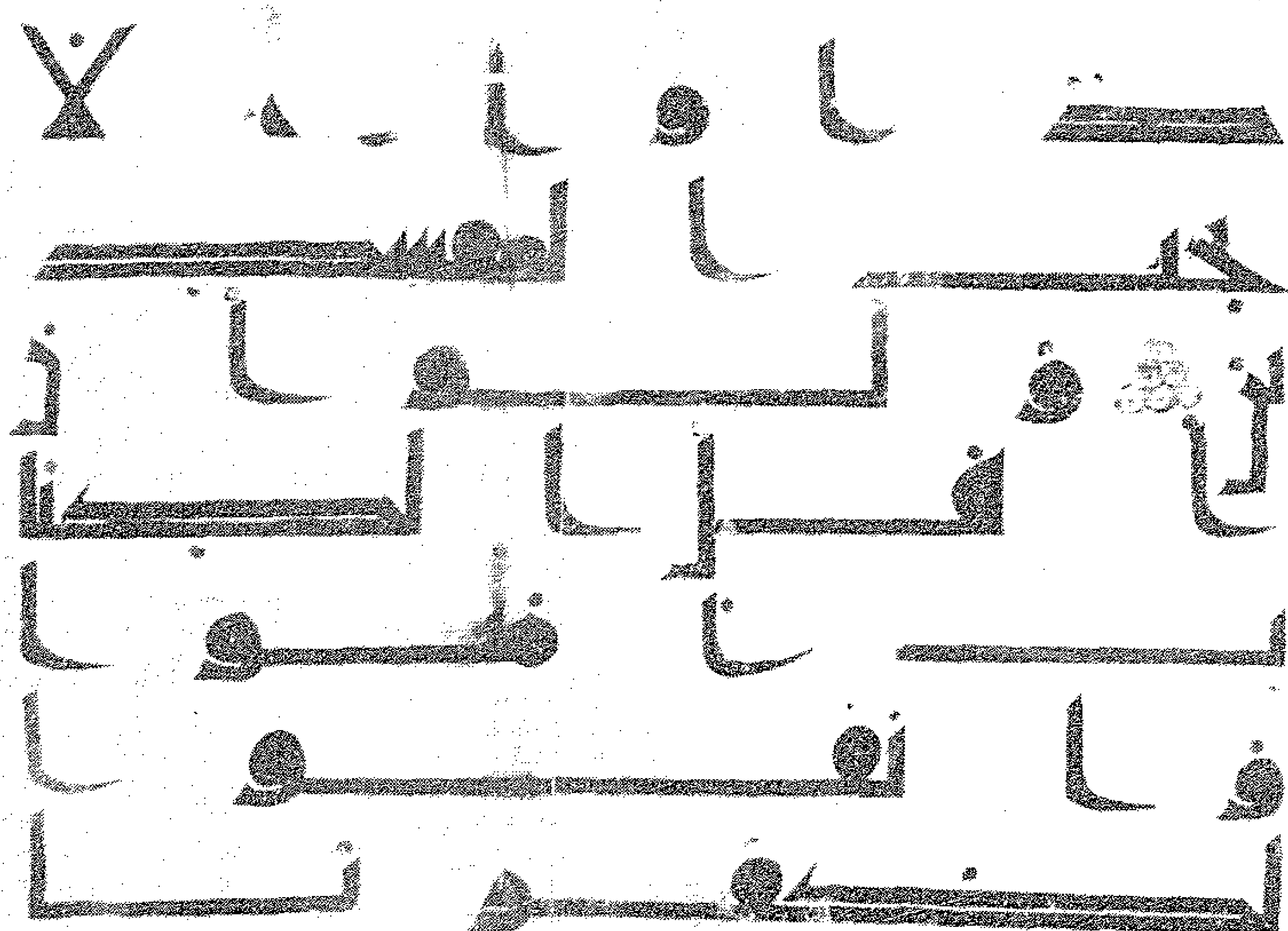


لوحة (٢٠)

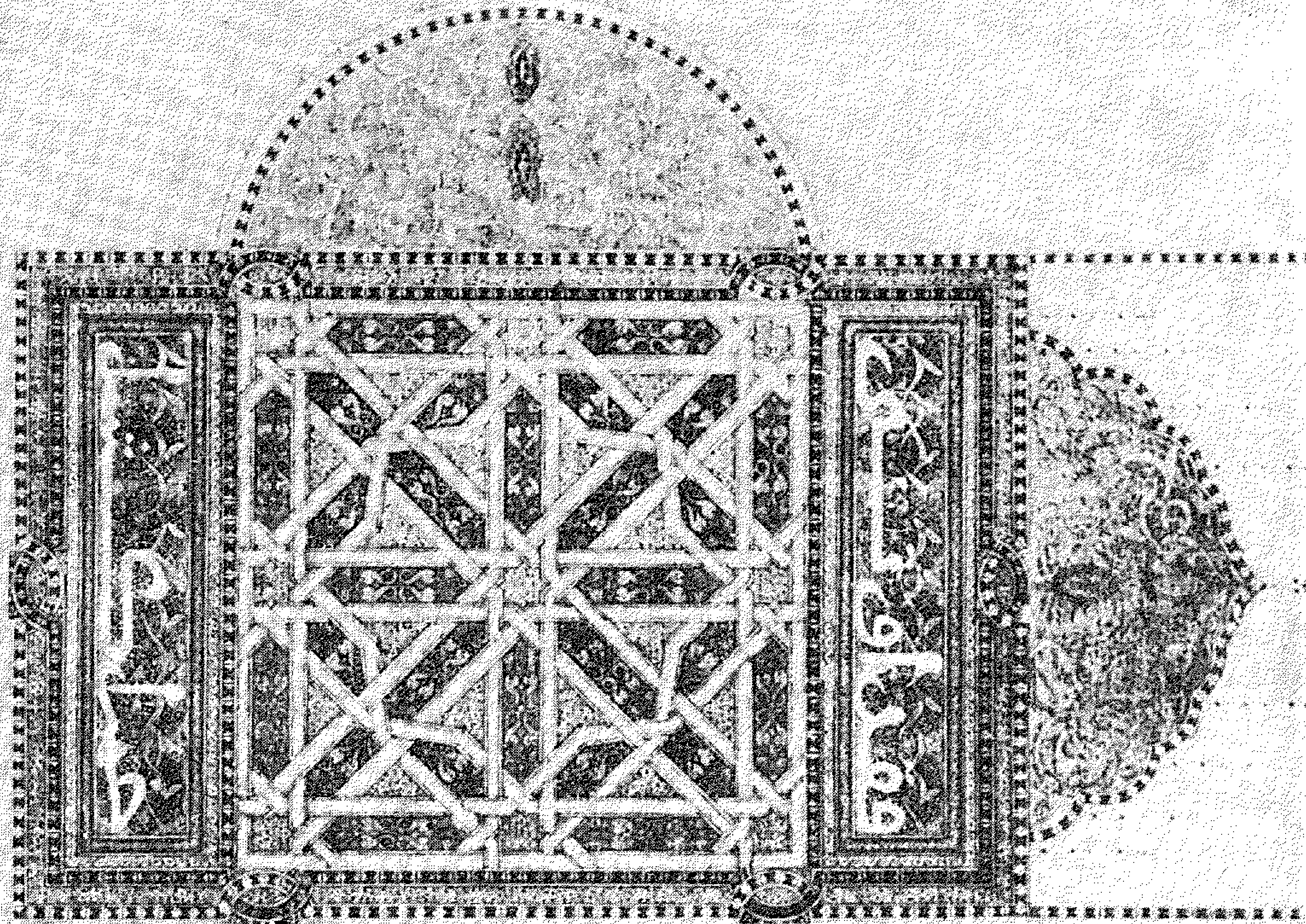


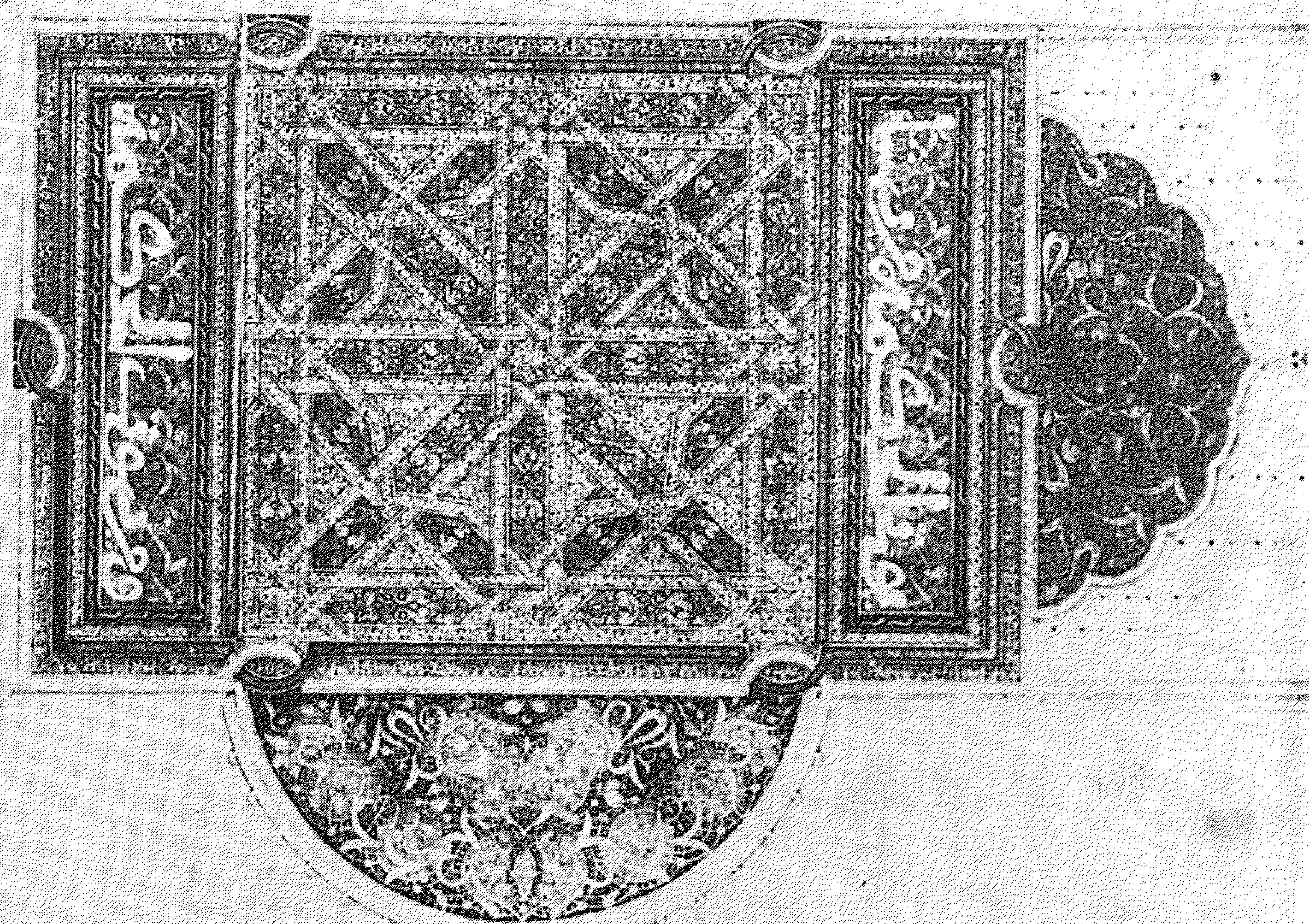
لوحة (٢١)

لوحة (٢٢)



لوحة (٢٣)

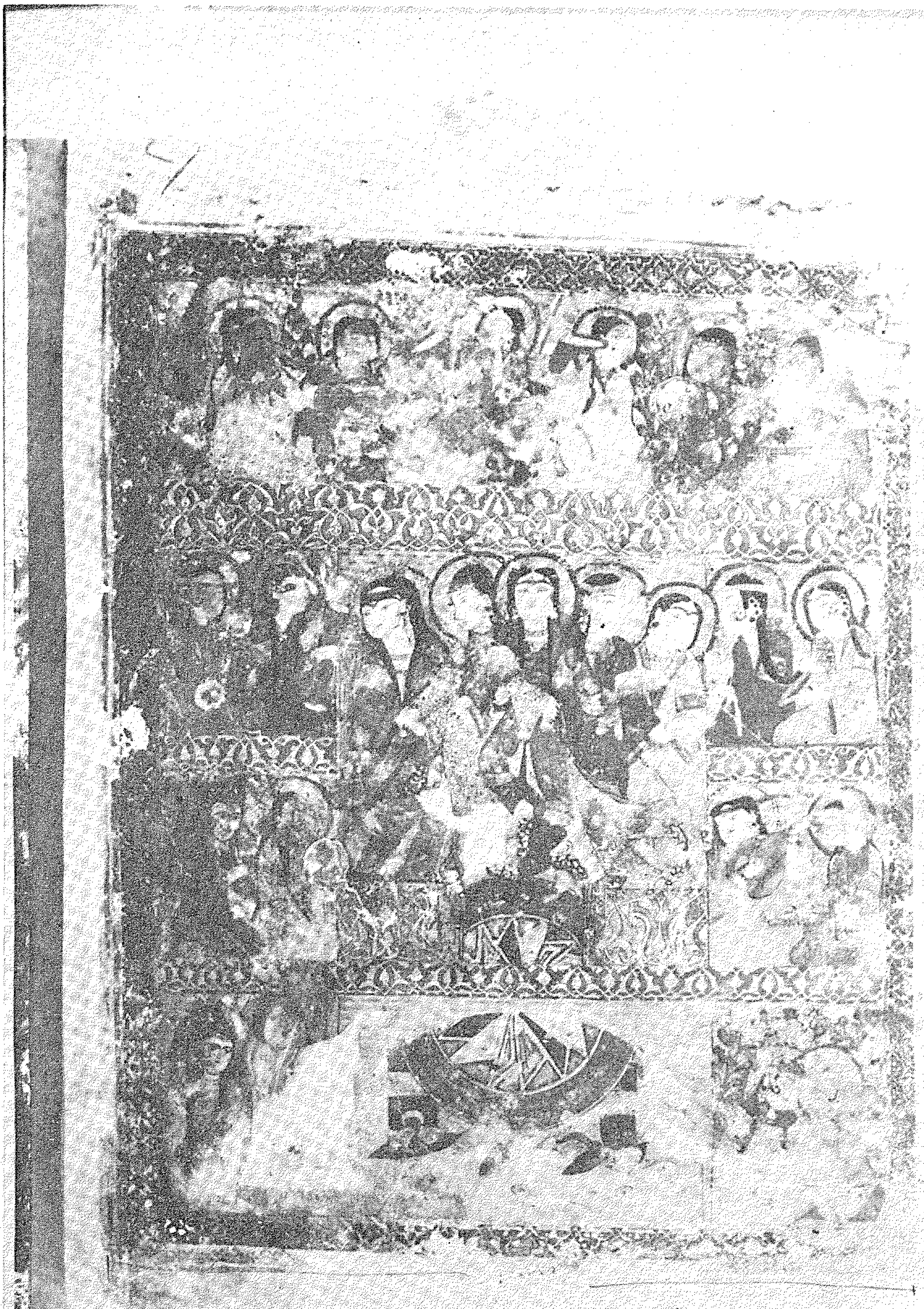




لوحة (٢٤)



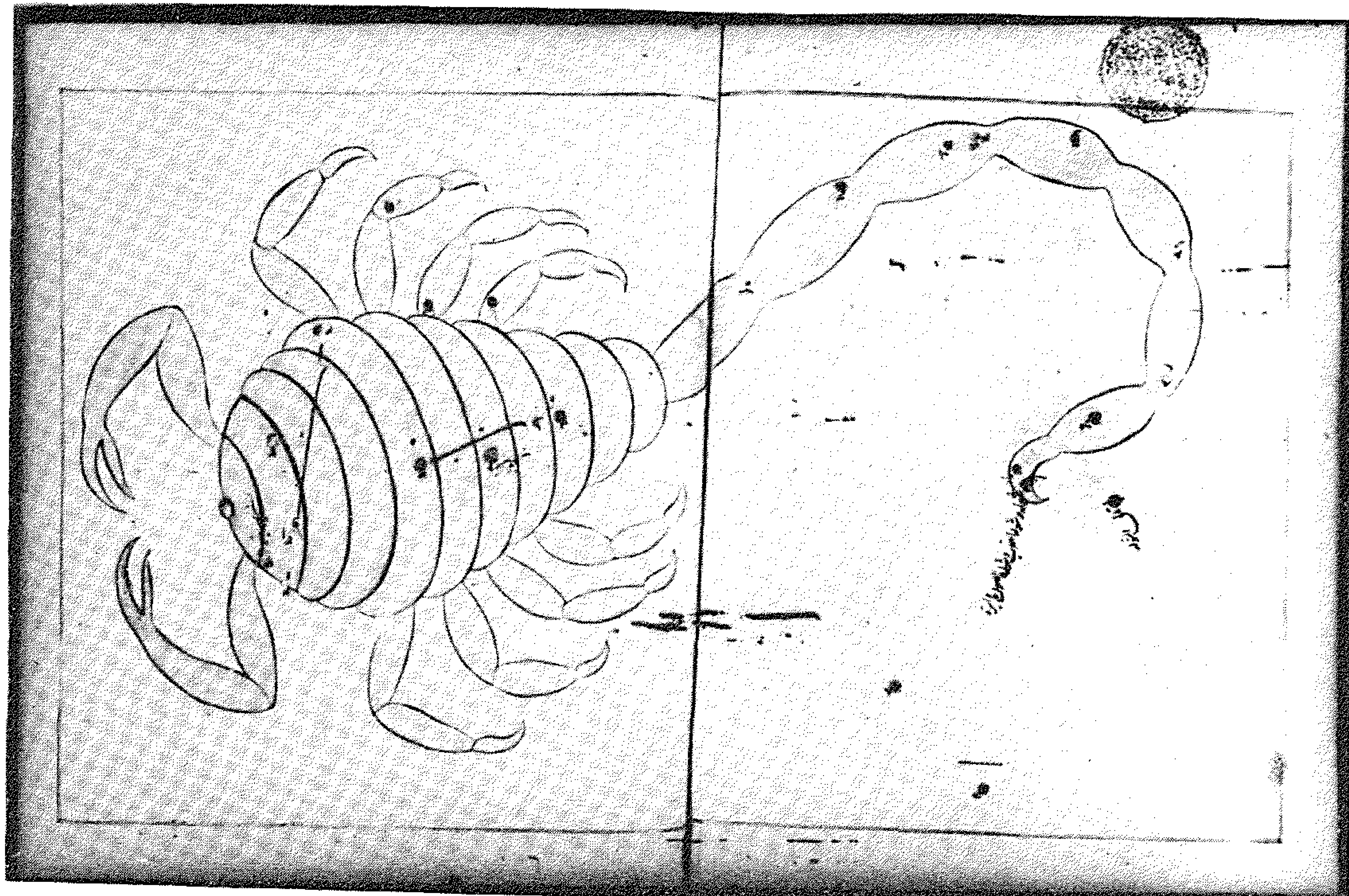
لوحة (٢٥)



لوحة (٢٦)



لوحة (٢٧)

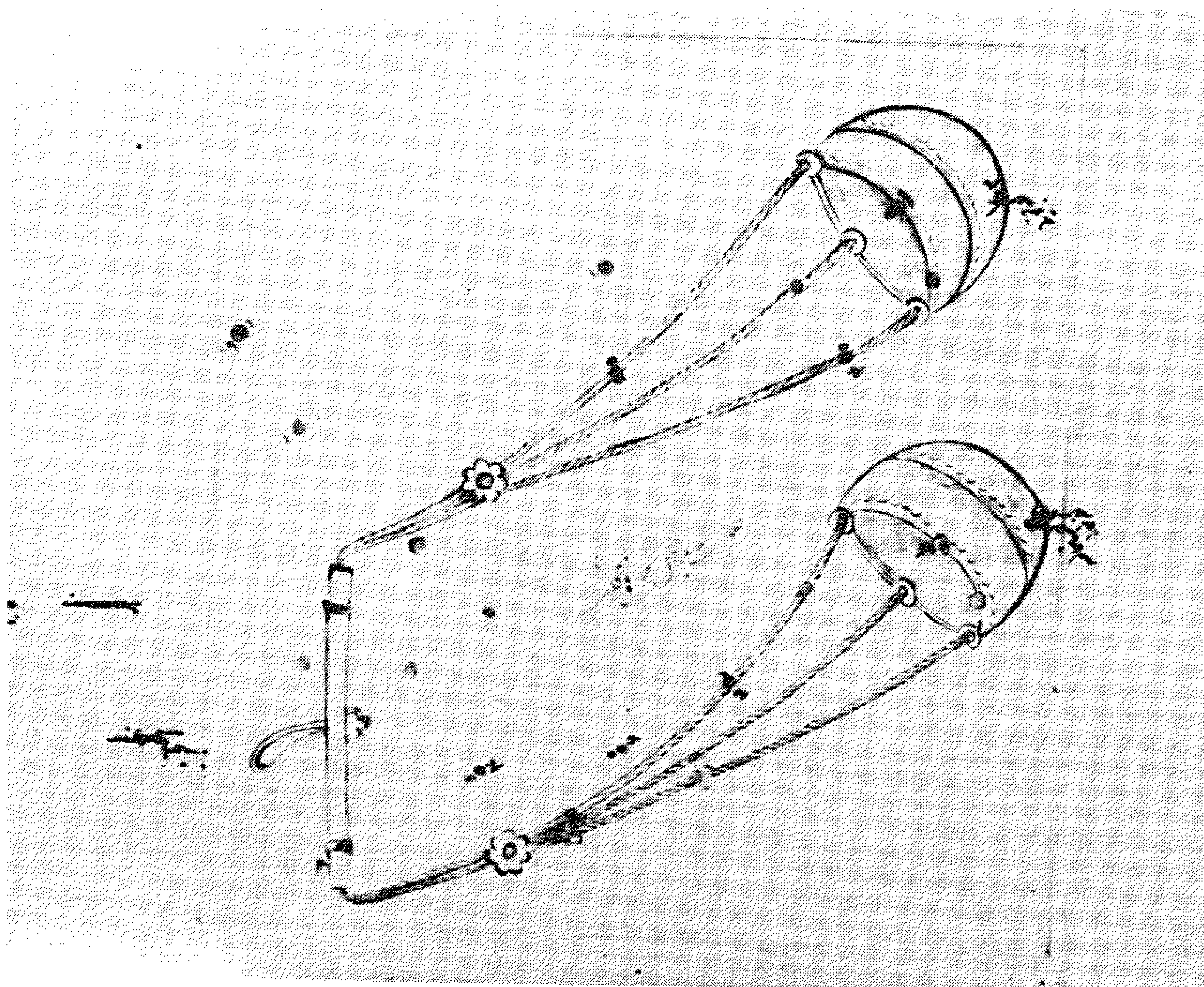


لوحة (٢٨)

لوحة (٢٩)



لوحة (٣٠)



لوحة (٣١)

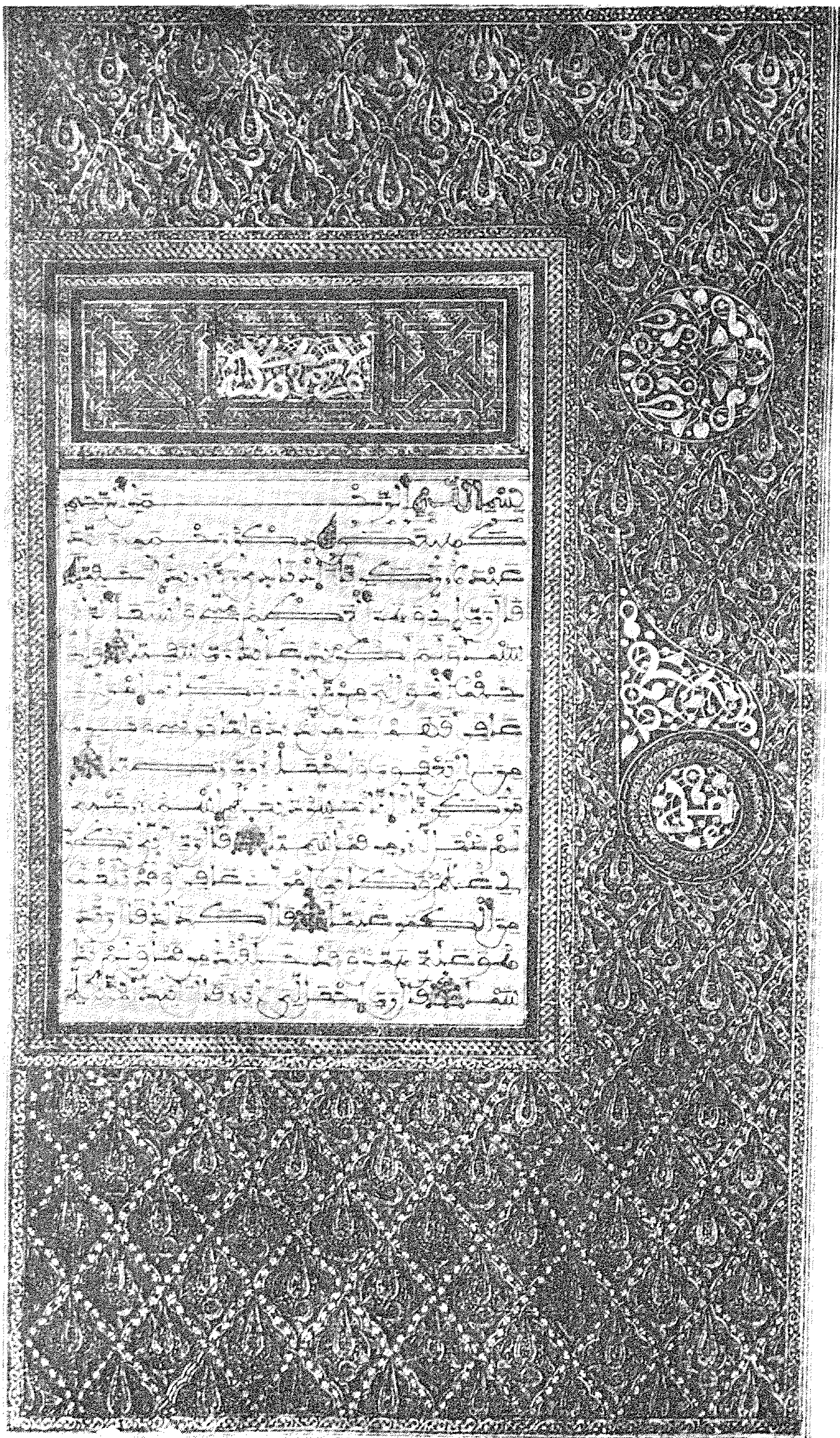
بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء ذات البروج ۝ واليوم الموعود ۝ وشاهد ومشهود ۝
قتل اصحب الاخدود ۝ النار ذات الوقود ۝ اذ هم عليها قعود ۝
وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود ۝ وما نقموا منهم الا
ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد ۝ الذي له ملك السموت والارض
والله على كل شيء شهيد ۝ ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنت
ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق ۝ ان الذين
امنوا وعملوا الصلحت لهم جنت تجري من تحتها الانهر ذلك الفوز
الكبير ۝ ان بطش ربك لشديد ۝ انه هو يبدئ ويعيد ۝
وهو الغفور الودود ۝ ذو العرش المجيد ۝ فعال لما يريد ۝
هل اتيك حديث الجنود ۝ فرعون وثمود ۝ بل الذين كفروا في تكذيب ۝
والله من ورائهم محيط ۝ بل هو قران مجيد ۝ في لوح محفوظ ۝

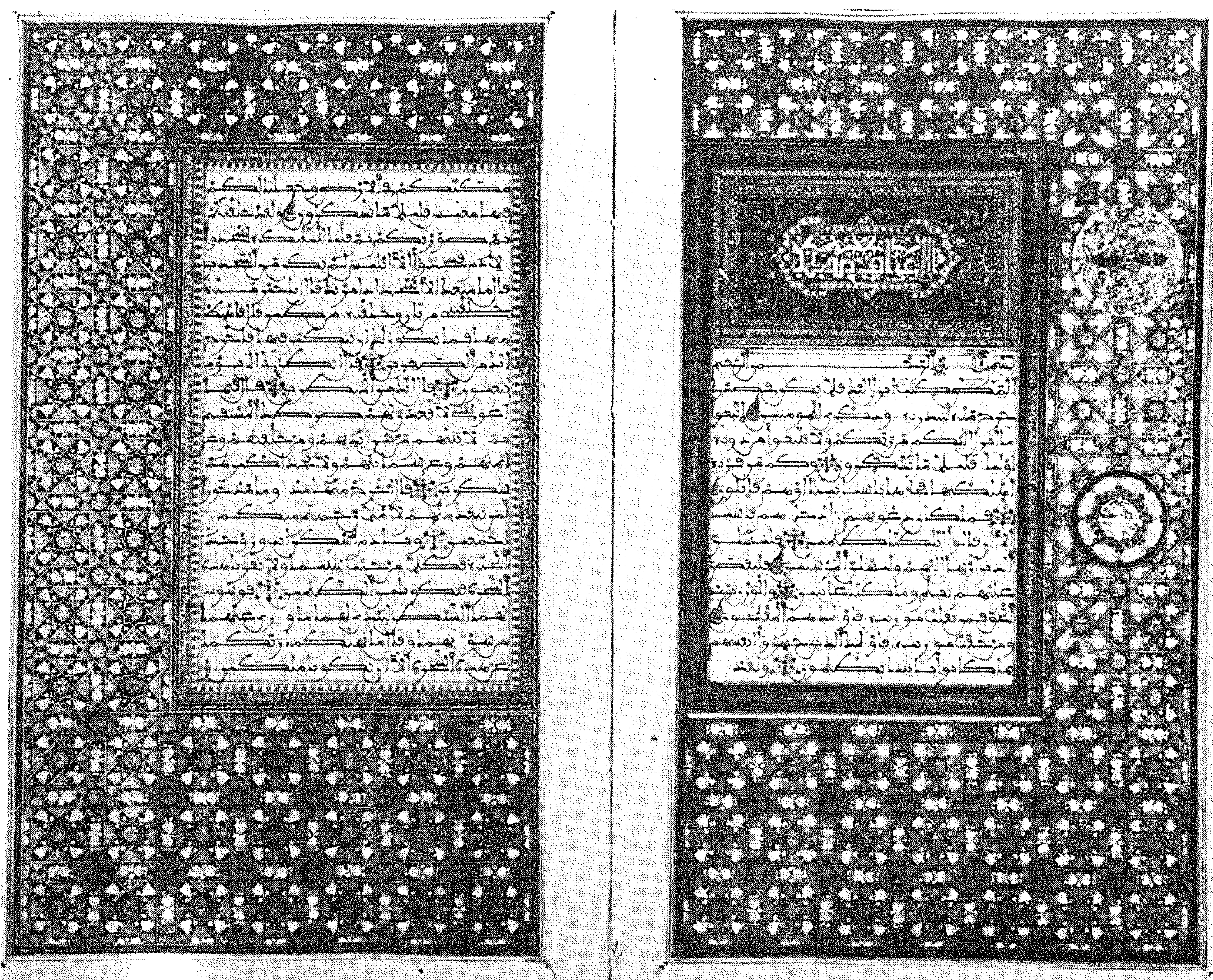
بسم الله الرحمن الرحيم ۝

والسماء والطارق ۝ وما ادريك ما الطارق ۝ النجم الثاقب ۝
ان كل نفس لما عليها حافظ ۝ فلينظر الانسان مم خلق ۝ خلق

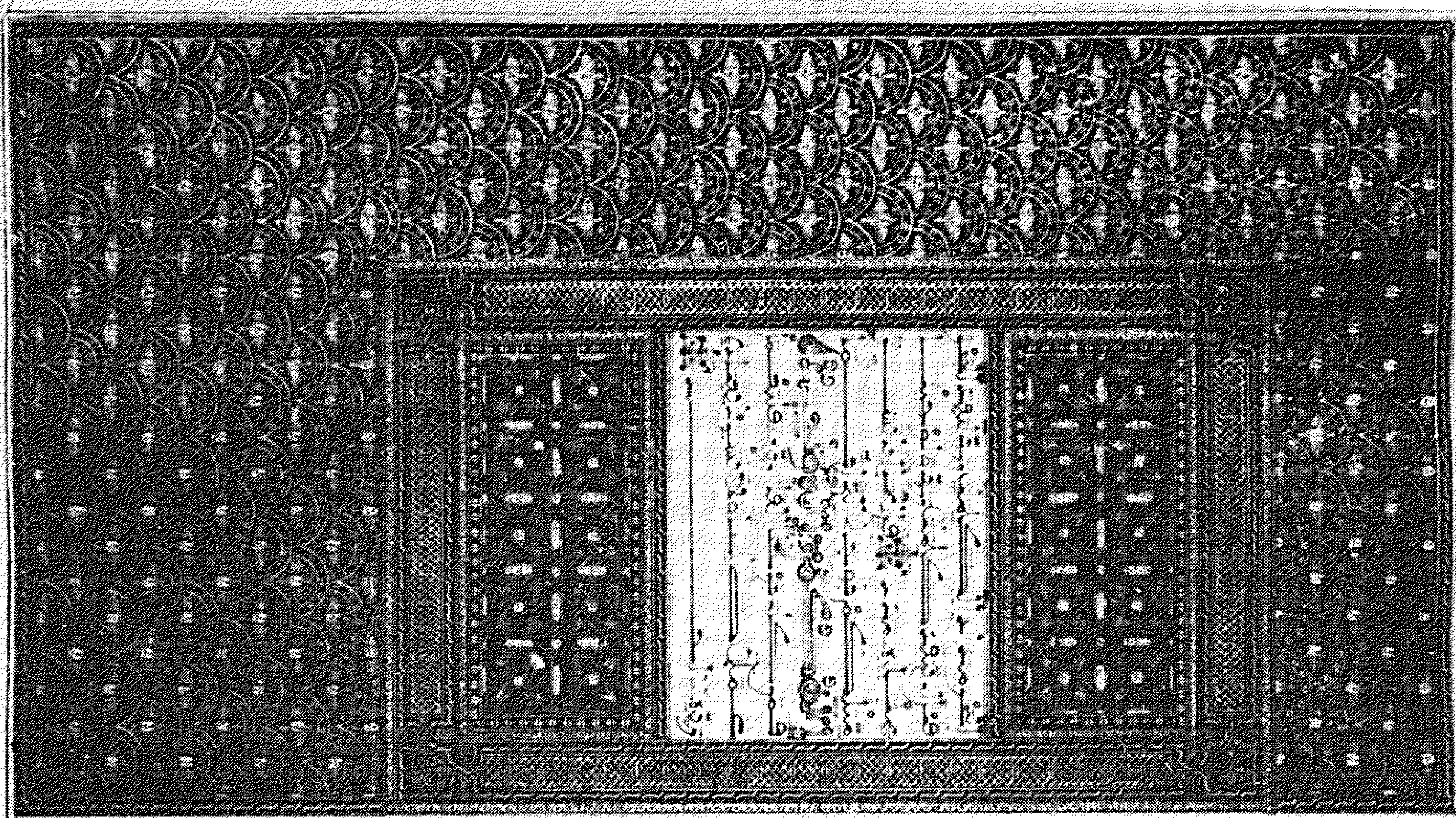
لوحة (٣٢)

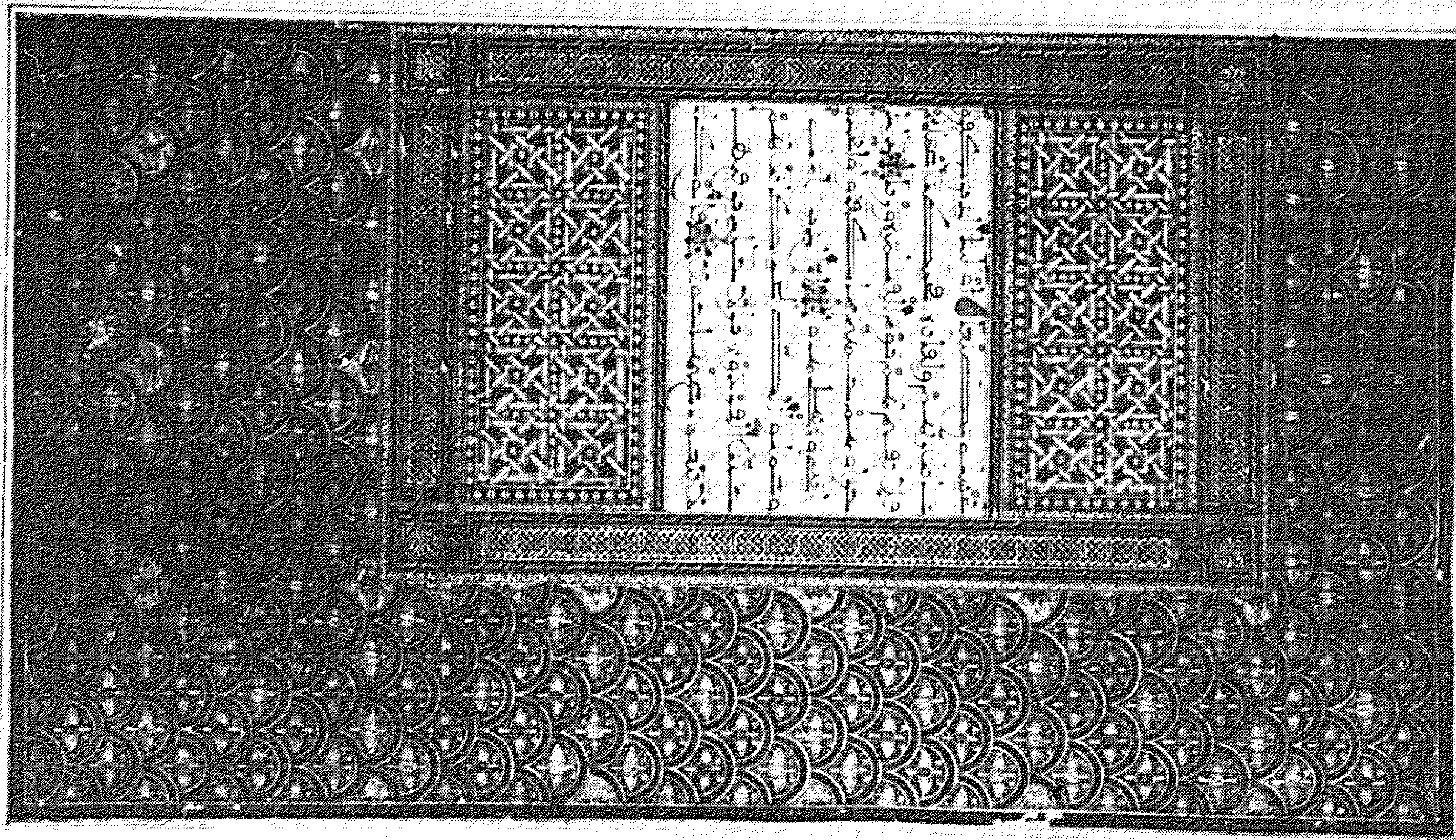


لوحة (٣٣)



لوحة (٣٤)

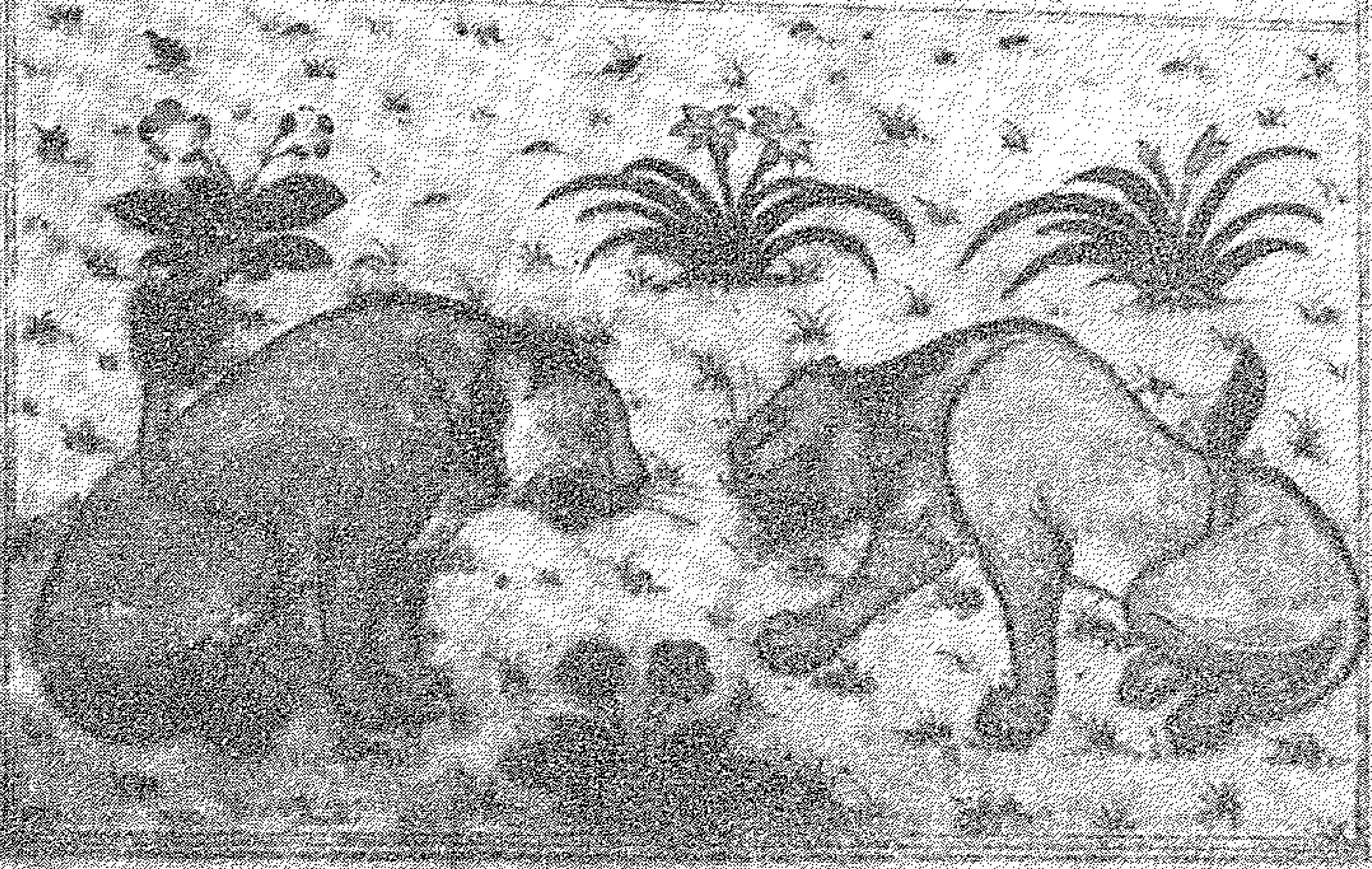




لوحة (٣٥)

وجنان رای بود که او از جملهٔ عدولست و بی تحقیق و ایمان قدم در کاری ننهد و نیز با شگال دوستی دارد
و نیست عاقبت می جوید بیشتر رفت و گفت چون ملک را رایت این بالا روشن گشت زود ترحکم سیاست
تقدیم فرماید که اگر این باب را مهمل گذارد بیش گناه کاران از مصلحت بترسند پس شیر فرمود تا شگال را موقوف
کردند و بند بر پای در حبس نهادند انگاه یکی از حاضران گفت که مرا از رای روشن ملک که آفتاب در اوج جوش
چون سایه بیش و پس او دود و مانند ذره در حمایت نور او بروز کند

در شگفت بمانم که کار این شگال را می بوی چگونه پوشیده شد و از بخت و مکر طبع او چرا غافل بود
گفت عجیبتر آنست که بتدارک این خیانت در تاخیر افکند شیر بند پیغام فرستاد و گفت که اگر این عذر
را عذری داری باز نمای اگر چه پیغام برده بود پیغمبر شگال جواب درشت باز رسانید تا آتش خشم شیر بالا گرفت
و زبانه آن بقتل شیر را بر آن تند کرد تا معهود را زیر پای آورد و دشمنان در کشتن شگال مطلق کرداند و خیران
مادر شیر بودند دانست که تعجیل کرده است و جانب شگال و رعایت نگذاشته باخود اندیشید که
ملوک و وزیر خود را از وسوسهٔ دیو لعین هرگاه که خشم بر ملوک مستولی شد شیطان بر ایشان مسلط گردد
پیغامبر علیه الصلوة والسلام گفته است ذا نطقه که بکشتن او شتاب
یافته بودند گفت پیغام کرده توقف باید کرد و خود بنزدیک شیر رفت و پرسید که گناه شگال چه بود



لوحة (٣٦)



لوحة (٣٧)

لوحة (٣٨)

لوحة (٣٩)

ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم ۝

سورة الفرقان وهي سبع وسبعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ۝ الذي
له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك
وخلق كل شيء فقدره تقديرا ۝ واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون
شيئا وهم يخلقون ۝ ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون
موتا ولا حيوة ولا نشورا ۝ وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتريه
وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءو ظلما وزورا ۝ وقالوا أساطير
الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا ۝ قل أنزله الذي يعلم السر في

لوحة (٤٠)

سورة البقرة

بسم الله الرحمن الرحيم

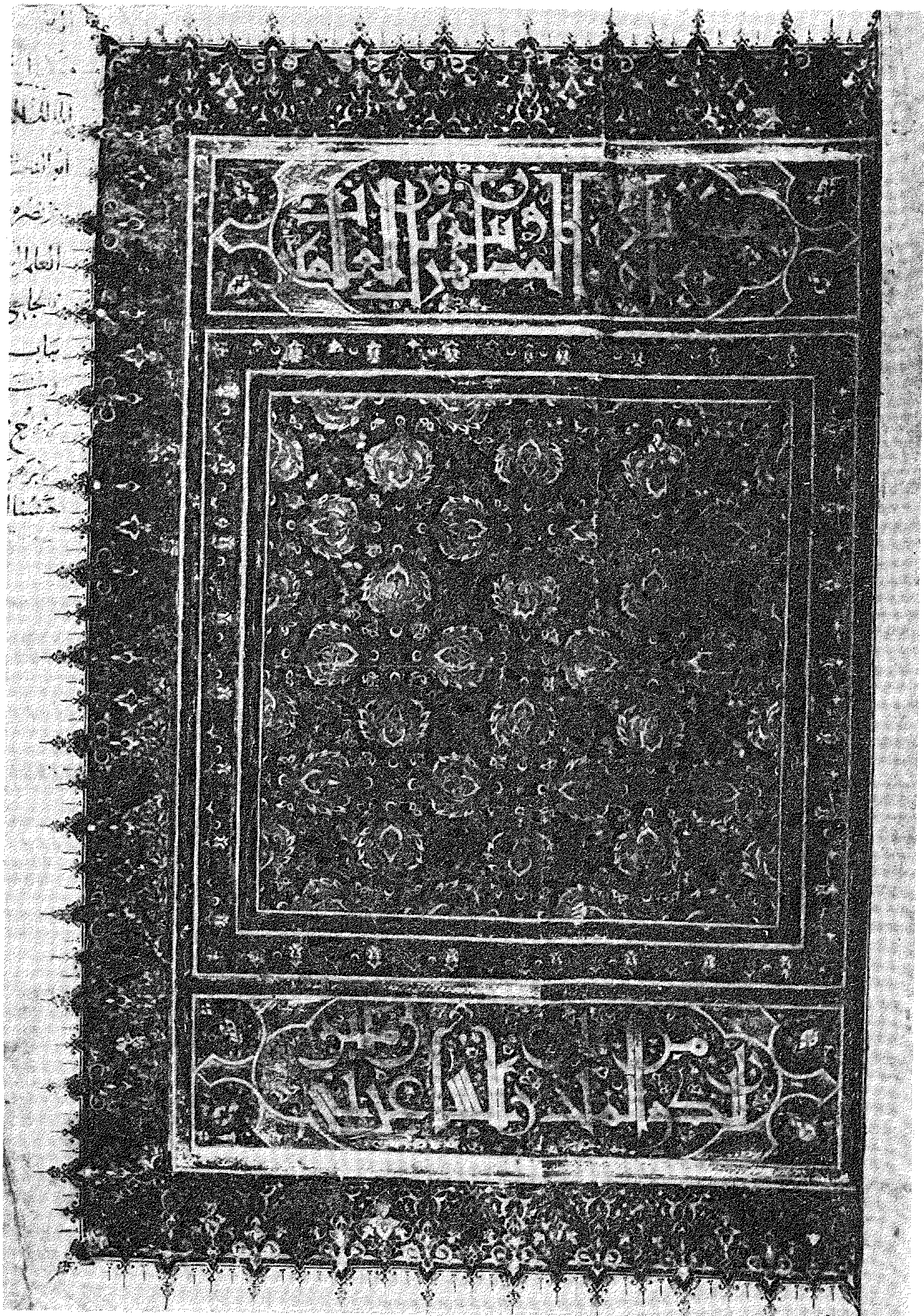
الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين

الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ومما

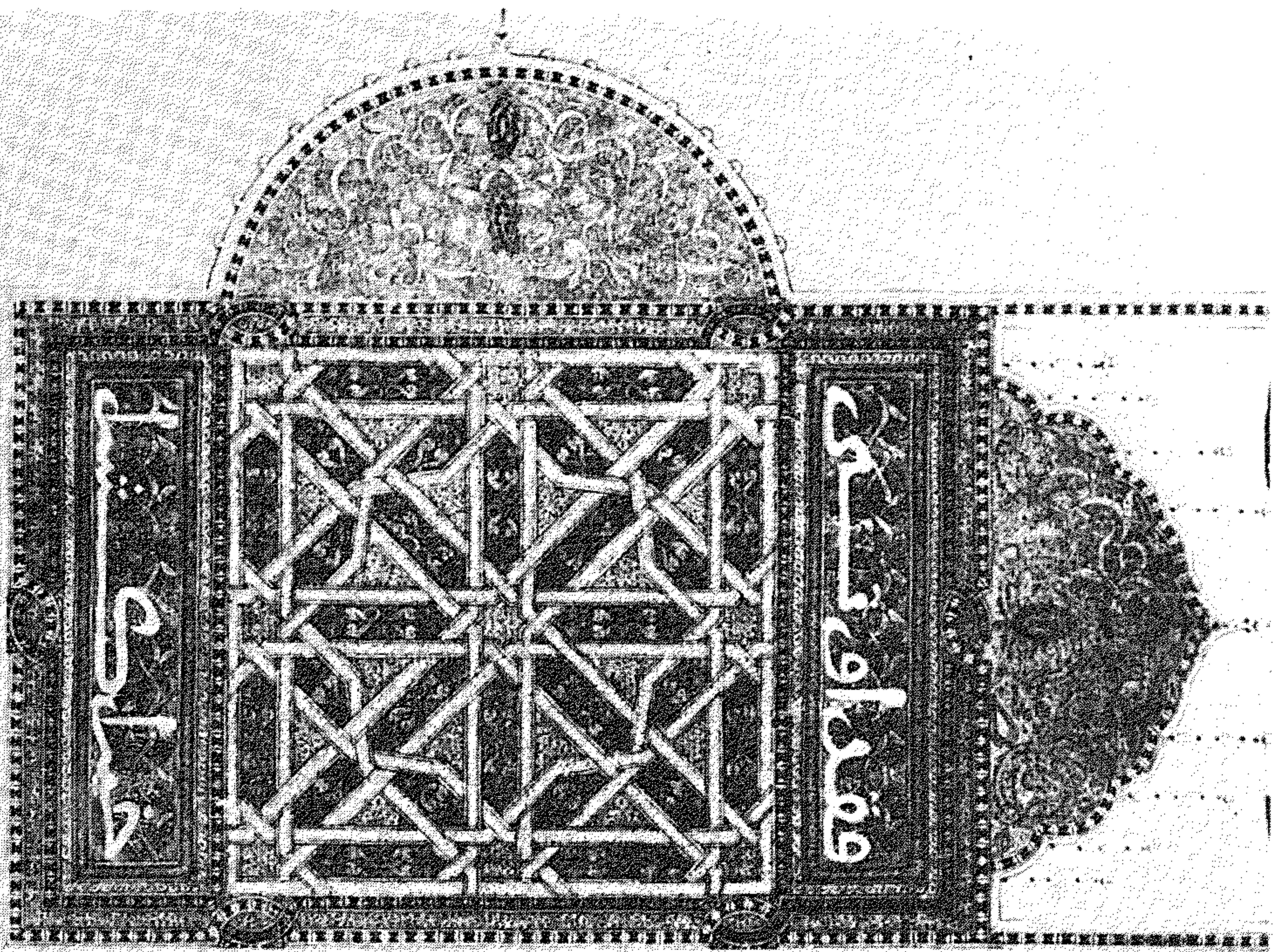
رزقنهم ينفقون والذين يؤمنون بما انزل اليك

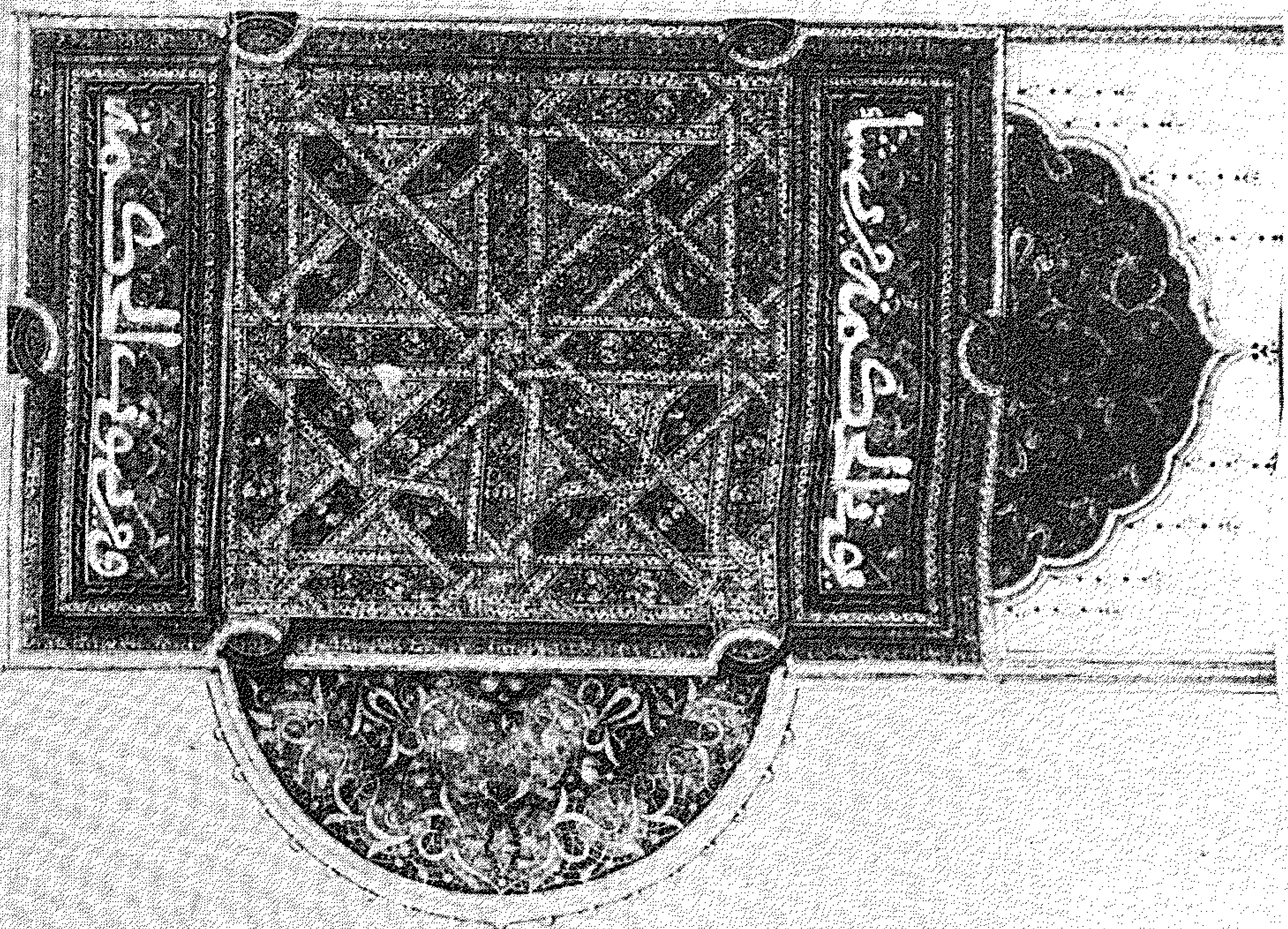
وما انزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون

لوحة (٤١)

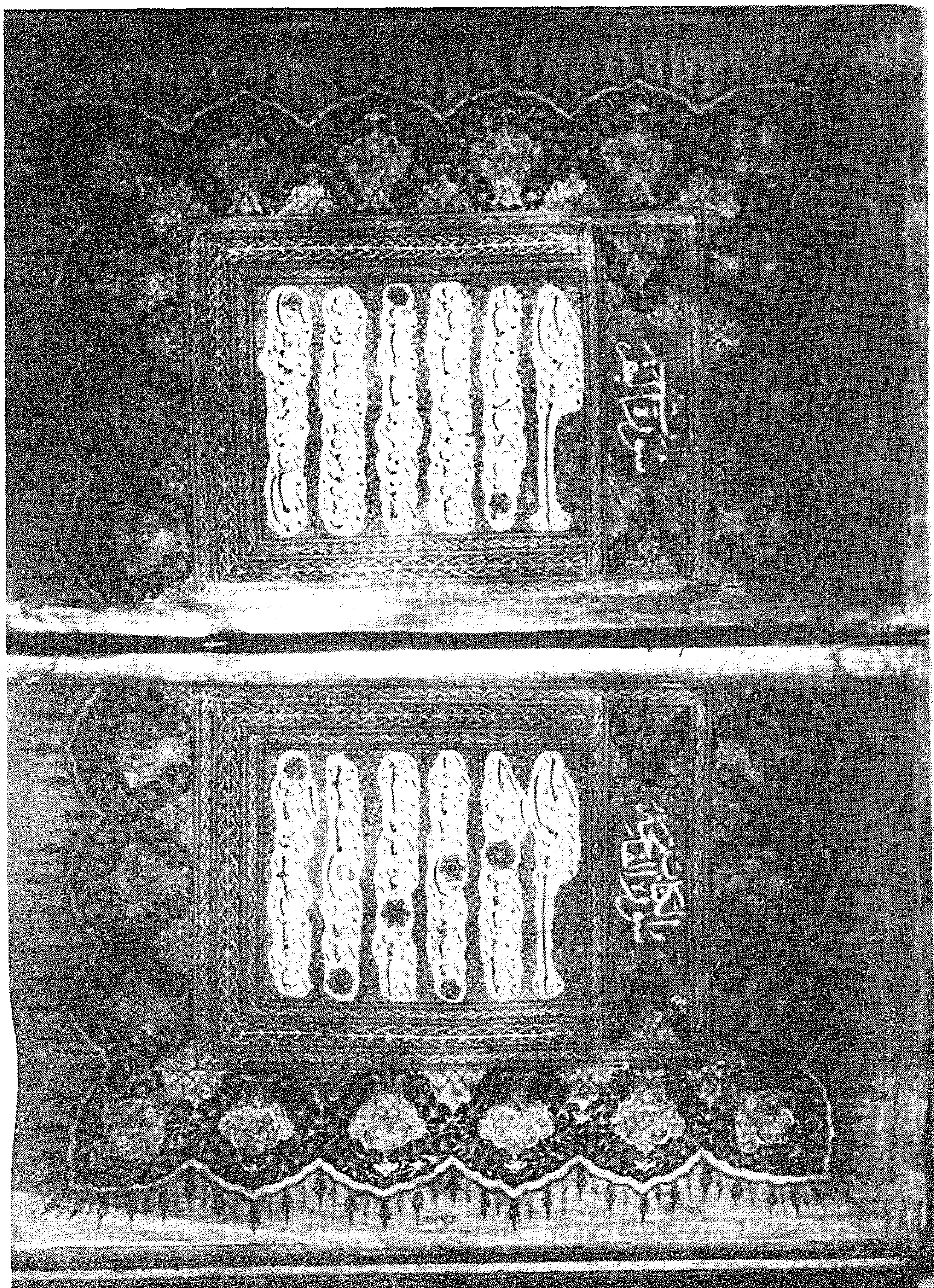


لوحة (٤٢)

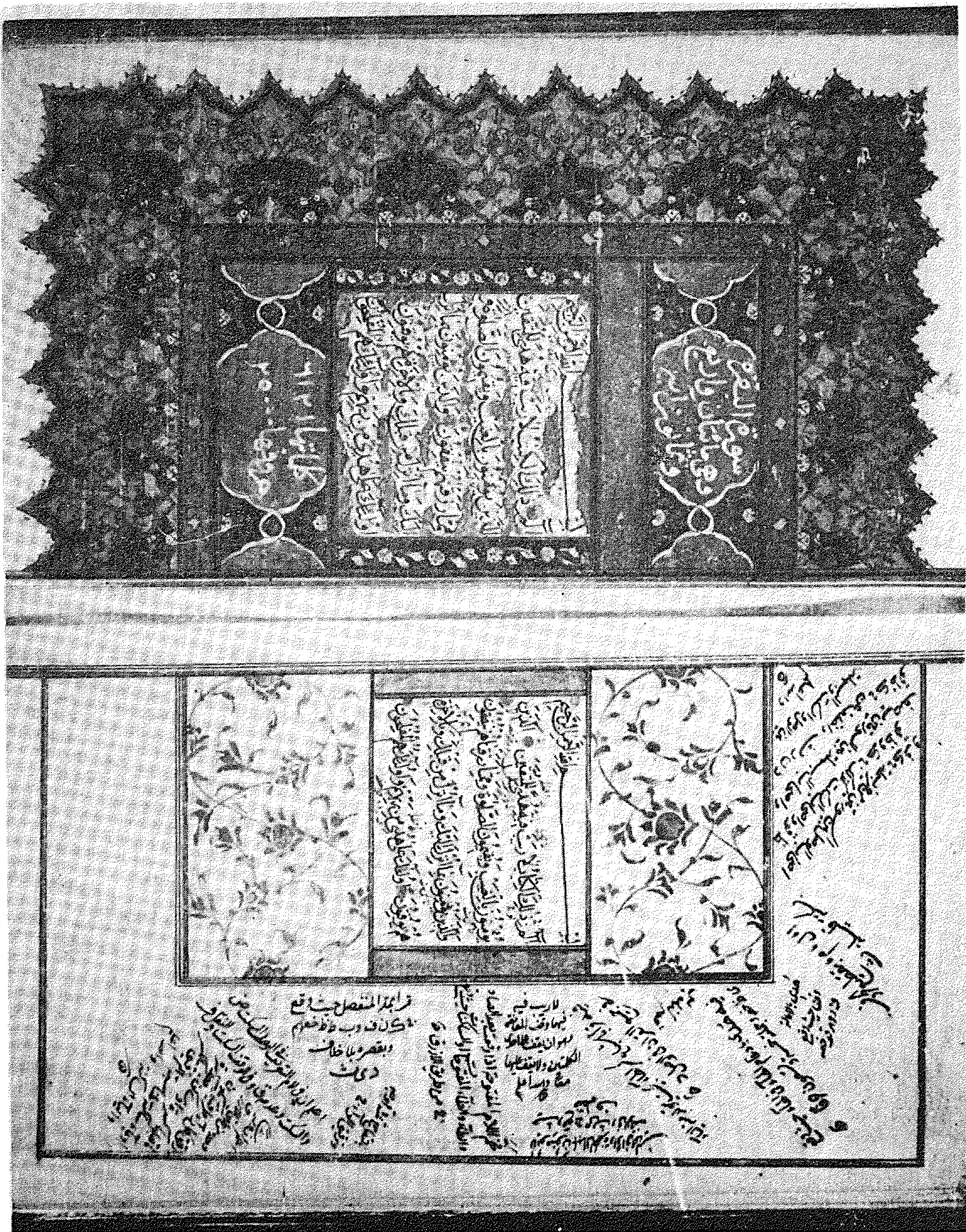




لوحة (٤٣)

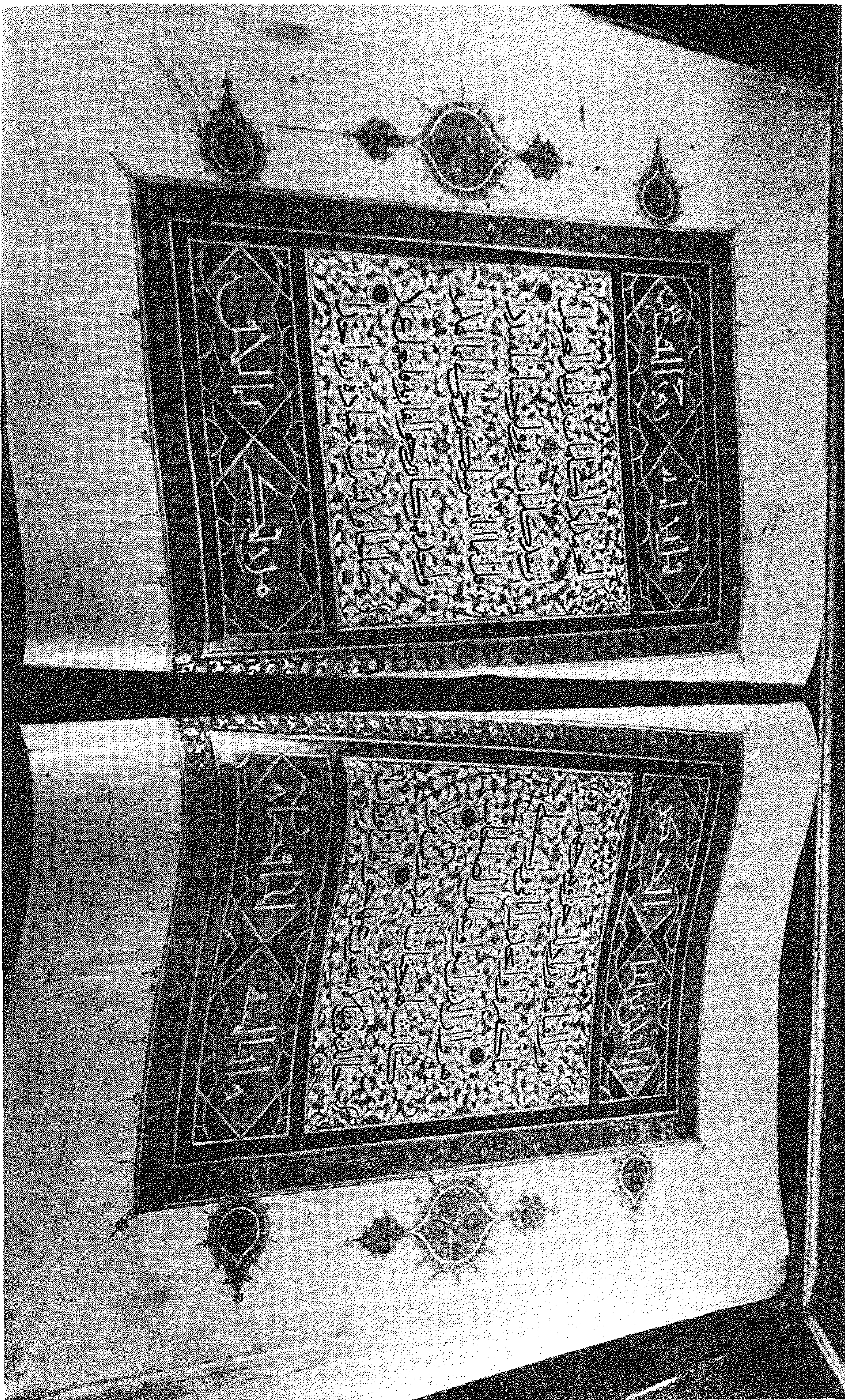


لوحة (٤٤)

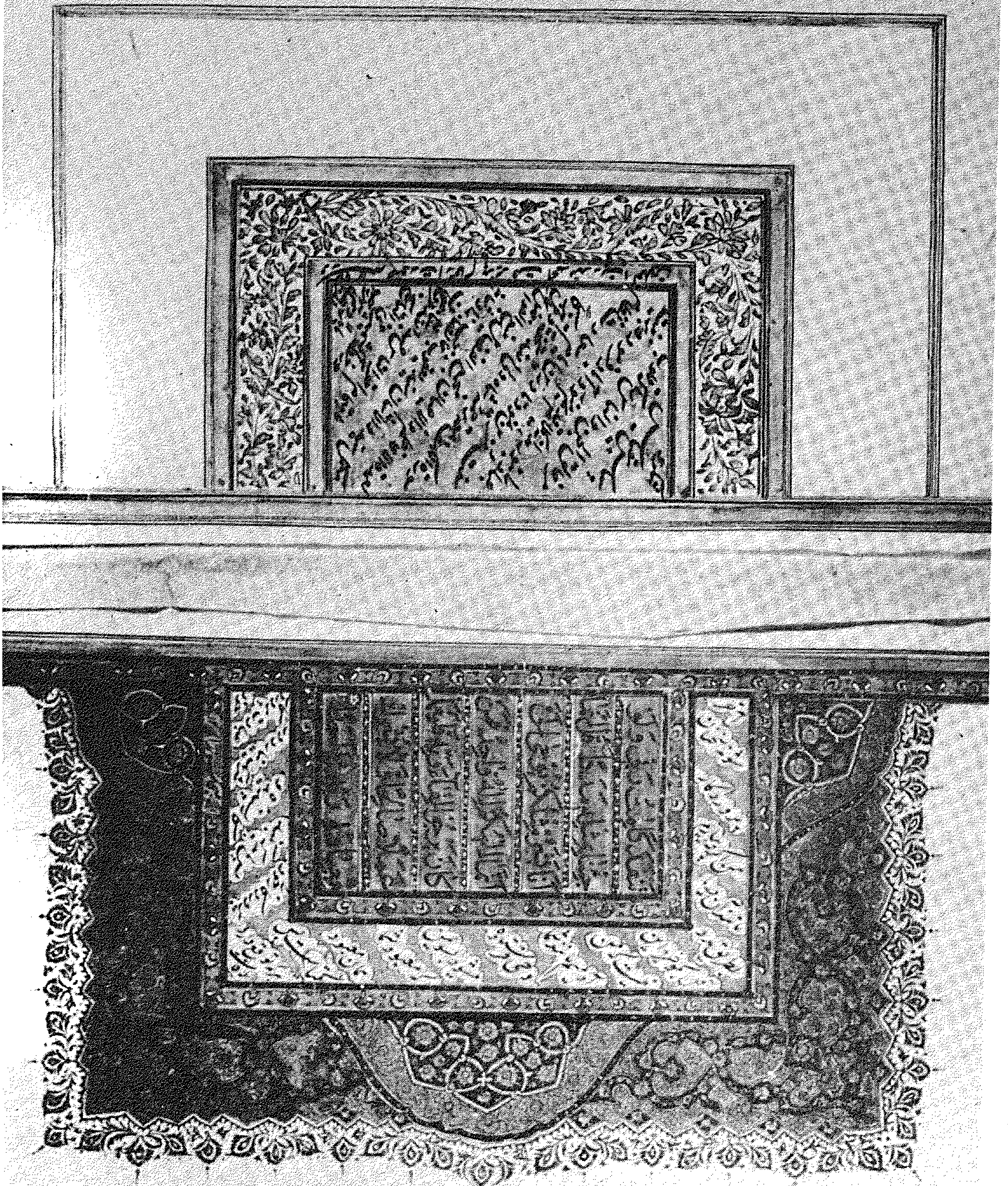


لوحة (٤٥)

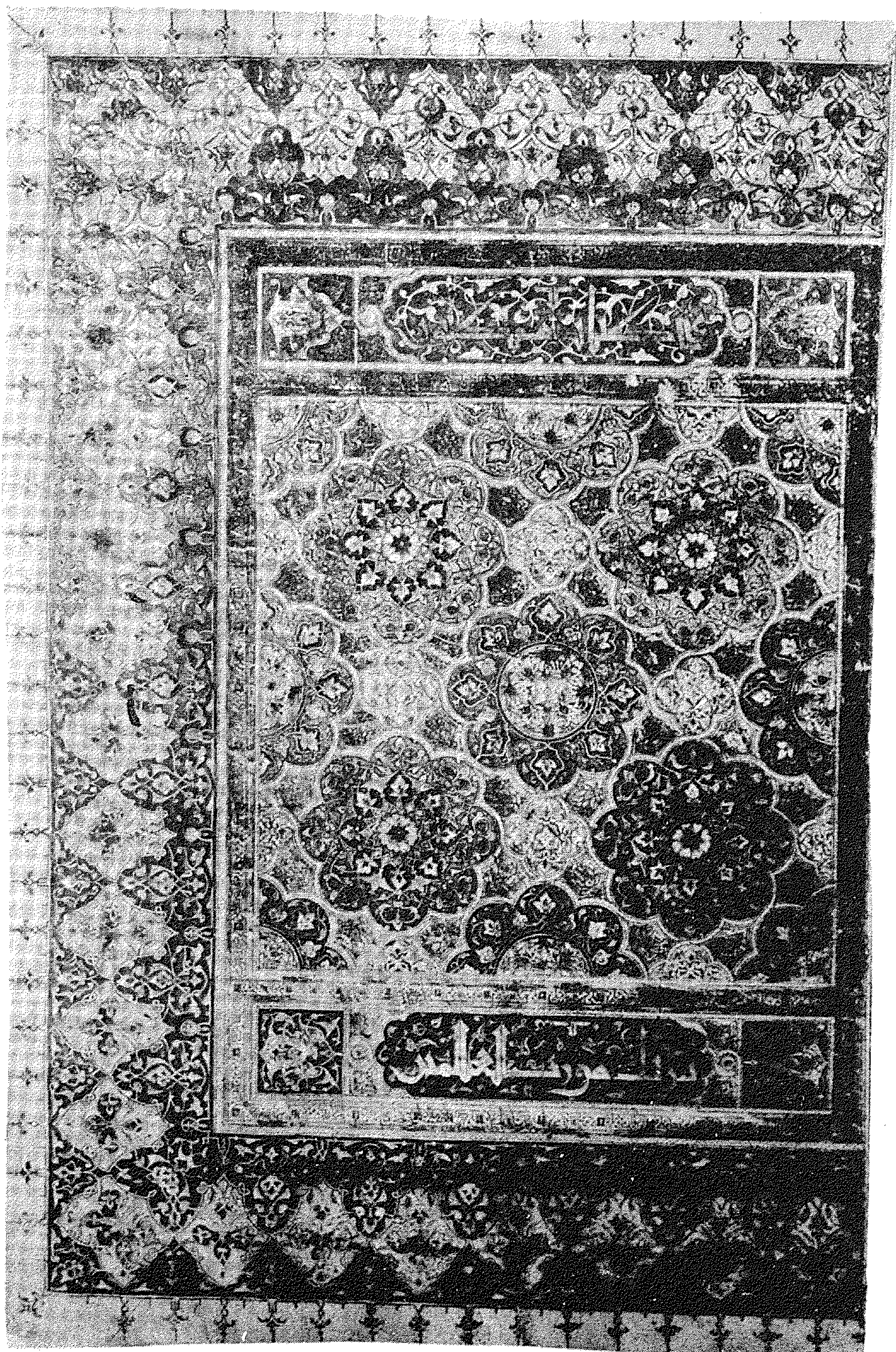
لوحة (٤٦)



لوحة (٤٧)



لوحة (٤٨)



لوحة (٤٩)

وانت خير الرحمين فاتخذتمو

هم سخريا حتى انسوكم ذكرى

وكنتم منهم تضحكون انى جز

يتهم اليوم بما صبروا انهم

هم الفائزون قال كم لبثتم فى ا

لارض عدد سنين قالوا لبثنا يو

ما او بعض يوم فسل العادين ق

ال ان لبثتم الا قليلا لو انكم

كنتم تعلمون افحسبتم انما

خلقنكم عبثا وانكم الينا لا تر

جعون فتعلى الله الملك الحق لا

اله الا هو رب العرش الكريم

ومن يدع مع الله الها اخر لا بر

هن له به فانما حسابه عند ربه انه

لا يفلح الكفرون وقل رب ا

غفر وارحم وانت خير الرحمين

بسم الله الرحمن الرحيم سورة

لوحه (٥٠)

لوحة (٥١)

انه لقرآن كريم في كتاب

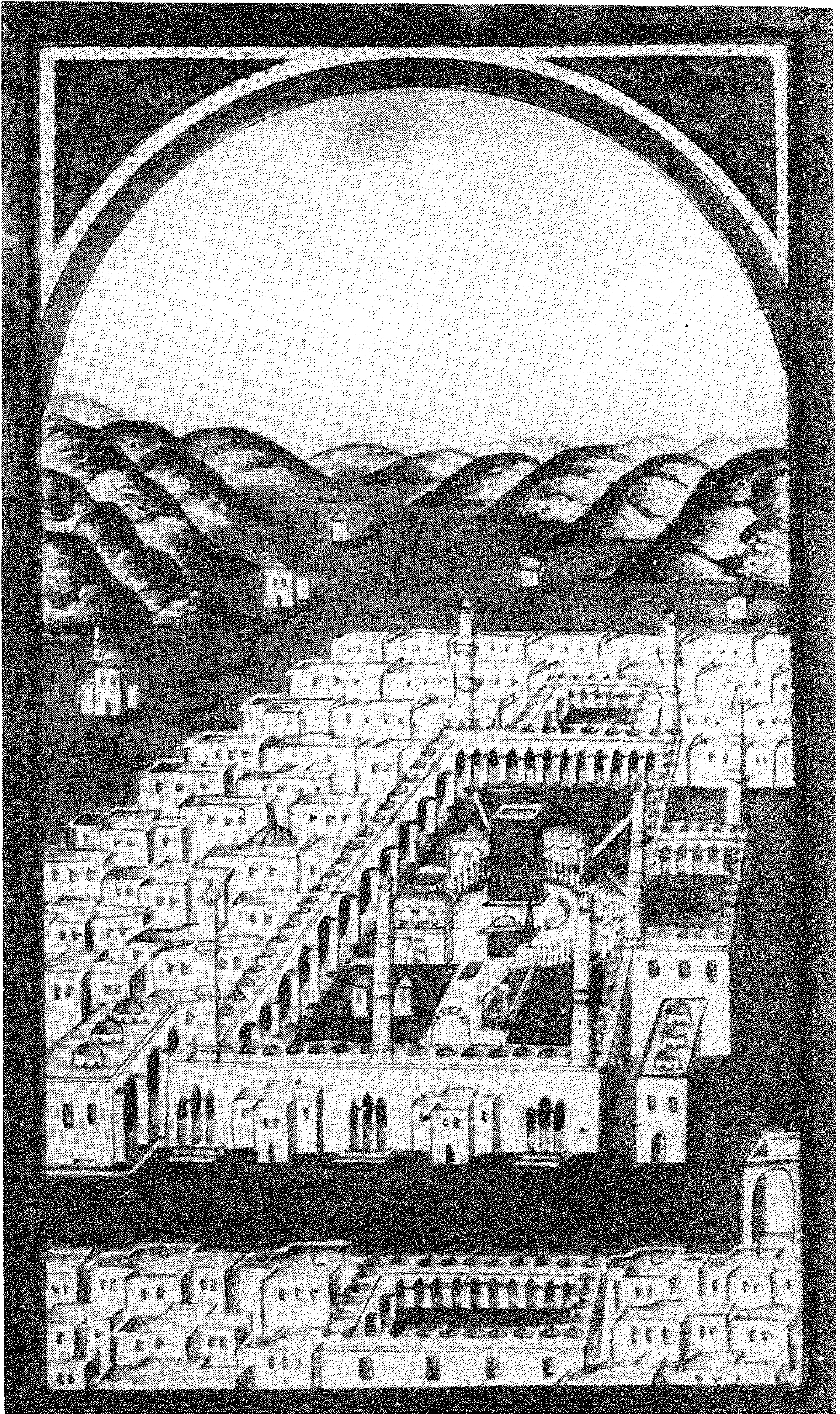
سيقول السفهاء من

الناس ما ولىهم عن

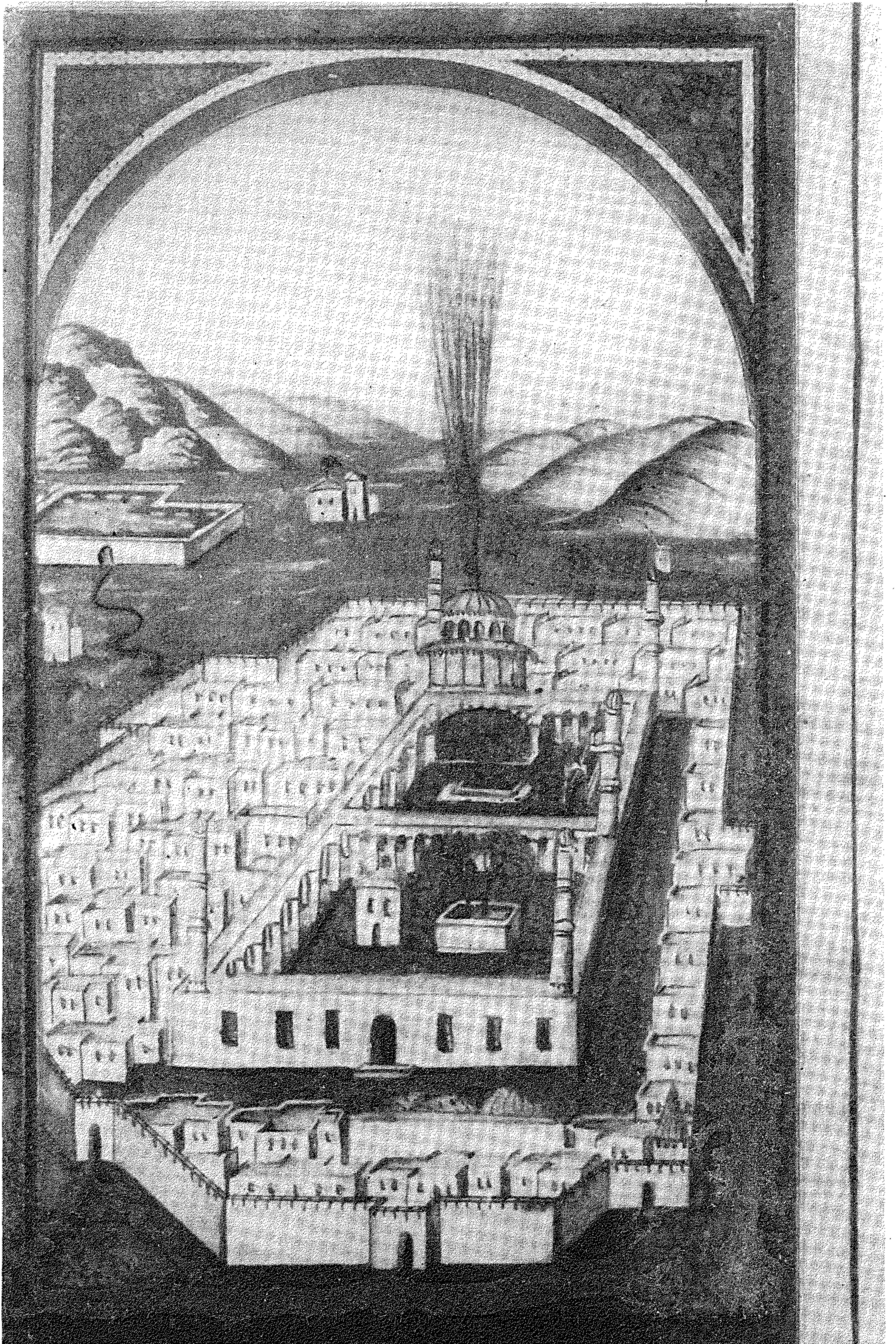
قبلتهم التى كانوا عليها

مكنون لا يمسه الا المطهرون

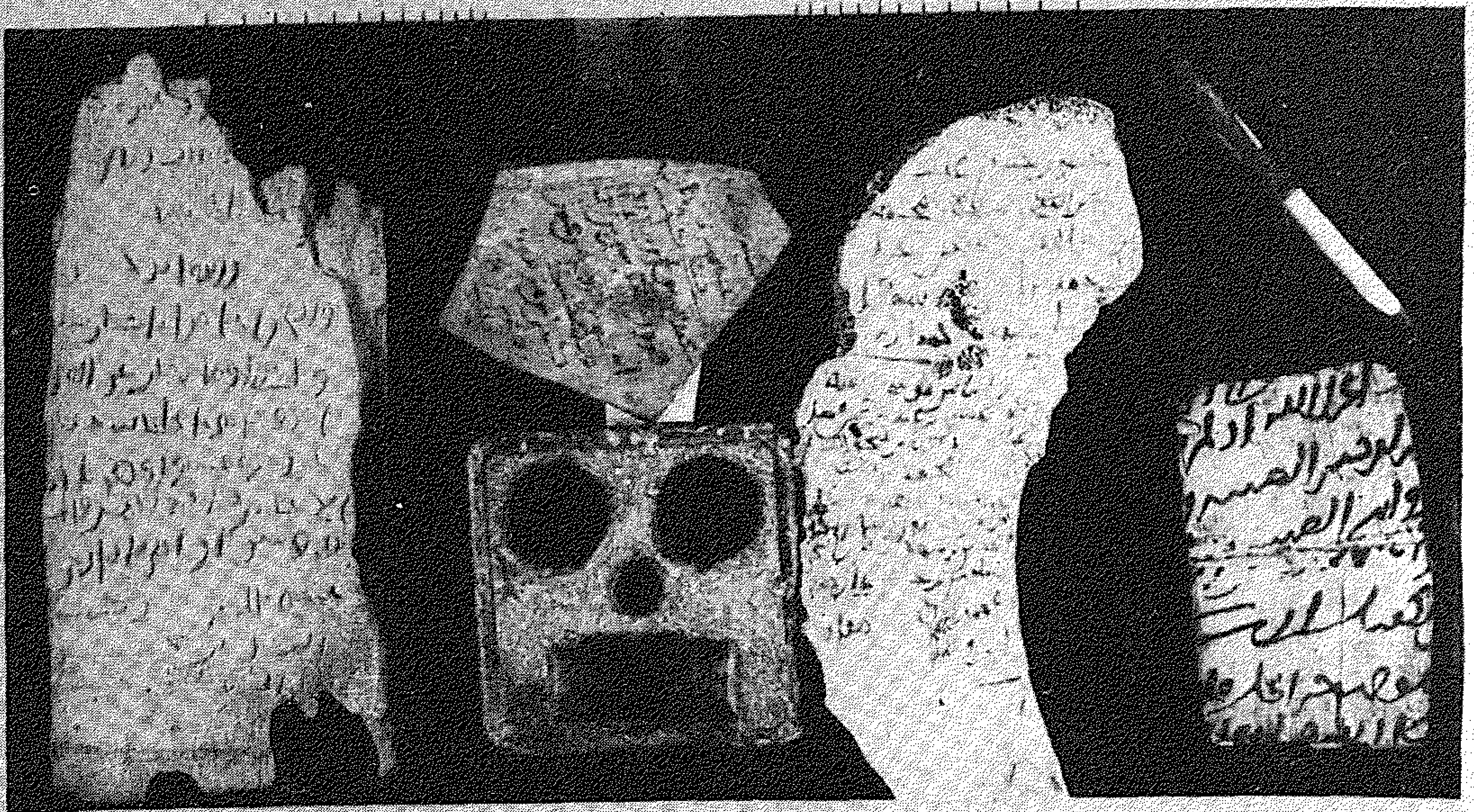
لوحة (٥٢)



لوحة (٥٣)



لوحه (٥٤)



لوحة (٥٥)

شرح الصور واللوحات

لوحة (١) كتاب « البيطرة و إنتاج الخيل وتربيتّها وتدريبها » لم يعلم مؤلفه ، اختصره من كتاب أحمد بن الحسن بن الأحنف مخطوط بخط على بن الحسن بن هبة الله تم كتابة سنة ٦٠٥ هجرية . الصورة اليمنى (صفحة ٩١) تبين جواداً مع فارسه ولم يركب فهو صعب محرم . ولذا يشد سراجه فى أرجله ويعلق برأسه ثم يسرج بسرج وثيق بلين خفيف كما هومكتوب فى الصفحة التى تليها . والصورة اليسرى (صفحة ٩٢) توضح جموح جواد لأن حزامه كان شديداً ضاق عليه فقطعه لمنعه غاية الجرى وأتى بفارسه والسرج إلى الأرض ، كما هو ظاهر فى هذه الصورة منقولة من كتاب « البيطرة و إنتاج الخيل وتربيتها » . الأصل محفوظ بمعرض دار الكتب والوثائق القومية (تحت رقم ٨ طب خليل أغا صندوق رقم ٣٦) .

لوحة (٢) صورة جواد مع فارسه وهى تبين علاجه بعد امتناعه من أكل العلف وإعطائه دواء يقال له : « سروان » وهو تمر الورد الذى يحمر إذا تناثر عنه الورد ويدق وينخل ويعجن بدم ديك ثم يسقط به كما هو وارد فى أول صفحة ١٩٧ التى على يمين الصورة .
منقولة من كتاب « البيطرة و إنتاج الخيل وتربيتّها وتدريبها » لم يعلم مؤلفه اختصره من كتاب ابن الحسن بن الأحنف .
مخطوط بخط على بن الحسن بن هبة الله . تم كتابة سنة ٦٠٥ هجرية. الأصل محفوظ بمعرض دار الكتب والوثائق القومية تحت رقم (٨ طب خليل أغا صندوق رقم ٣٦) .

لوحة (٣) كتاب « حنين بن إسحق » فى تركيب العين وعللها وعلاجها على رأى أبقراط وجالينوس تم كتابة سنة ٥٩٣ هجرية .
منقولة من الأصل المحفوظ بمعرض دار الكتب والوثائق القومية تحت رقم (١٠٠ طب تيمور صندوق رقم ٣٦) .

لوحة (٤) كتاب «مسالك الممالك » تأليف أبى القاسم إبراهيم بن محمد الفارس الإصطخرى المعروف بالكرخى من علماء أوائل القرن الرابع الهجرى — محفوظ بمعرض دار الكتب والوثائق القومية تحت رقم ١٩٩ جغرافيا صندوق رقم ٣٦) .

لوحة (٥) « خريطة العراق فى القرن الثالث الهجرى » منقولة من كتاب « صور الأقاليم السبعة » لأبى زيد البلخى ، وهو أول مصور جغرافى فى الإسلام ، وهو الذى عول عليه العلامة الجغرافى الإصطخرى المعروف بالكرخى من علماء أوائل القرن الرابع الهجرى كما قال فى صدر مؤلفه « مسالك الممالك » : إنه عول على صور الأقاليم السبعة لأبى زيد البلخى . محفوظ بدار الكتب والوثائق القومية (برقم ١٩٩ جغرافيا) .
وننشر هذه الخريطة بمناسبة التقاء الرئيسين جمال عبد الناصر والرئيس السابق عبد الرحمن عارف فى الاحتفال بعيد العلم الثانى عشر بقاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة مساء يوم الإثنين الموافق ٢٦ شوال سنة ١٣٨٦ (٦ فبراير سنة ١٩٦٧) . فى الخطاب الذى ألقاه الرئيس عبد الرحمن عارف أمام حشد البارزين فى العلوم والفنون والآدب قال :
« السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . إنه لشرف عظيم أن تتاح لى هذه الفرصة المباركة فأجد نفسى فى هذا الحرم الجامعى بين أجلة العلماء والباحثين من رجال الفكر والأدب والفن. ويغمرنى شعور بالاعتزاز والإعجاب بهذا المظهر المشرف فى تكريم العلماء فى يوم العلم الذى تنفرد به القاهرة . كما انفردت بغداد أيام الخلافة العباسية بالأمس فى إكرام العلماء والباحثين والمترجمين والأدباء والشعراء والمغنين » .

لوحة (٦) خريطة أخرى للعراق فى القرن الرابع الهجرى منقولة من كتاب « المسالك والممالك » للعلامة أبى القاسم أحمد بن حوقل من علماء القرن الرابع الهجرى . والكتاب محفوظ بدار الكتب والوثائق القومية (رقم ٢٥٨ جغرافيا) .
نتشرها لأنها كانت كما قال الرئيس عبد السلام عارف فى خطابه الذى ألقاه فى عيد العلم الثانى عشر .
« ولقد أبهر أسلافنا العالم بما كانوا به فى الطب والهندسة والرياضيات والفن والرياضة والأدب والتشريع . وبنوا حضارة كانت تفوق حضارات الأمم التى كانت تعيش من حولهم . ولم يرضوا أن يتخلوا ، بل كانوا أساتذة العالم . وكان الطلاب يفدون إلى حواضرهم يستمعون إلى علمائهم وينتظمون فى حلقات دروسهم » .

لوحة (٧) خريطة الديلم فى القرن الرابع الهجرى نقلا عن كتاب « المسالك والممالك » للعلامة أبى القاسم أحمد بن حوقل من علماء القرن الرابع الهجرى والكتاب محفوظ بدار الكتب والوثائق القومية . تحت (رقم ٢٥٨ جغرافيا)

لوحة (٨) صفحة من كتاب « مسالك الممالك » المعروف بكتاب « صور الأقاليم السبعة » تأليف أبى القاسم إبراهيم بن محمد الفارسى الإصطخرى المعروف بالكرخى من علماء أوائل القرن الرابع الهجرى وهى تبين جزءا من أرض السودان والواحة الخارجية .
منقولة من الأصل المحفوظ بمعرض دار الكتب والوثائق القومية [تحت رقم (١٩٩ جغرافيا) صندوق رقم ٣٦] .

لوحة (٩) خريطة مجرى « النيل الخالد » وأسماء المدن والبلاد الواقعة على شاطئيه فى القرن الثالث الهجرى . وترى بها فرع دمياط وجبل المقطم .
منقولة من كتاب « مسالك الممالك » ويعرف بكتاب « صور الأقاليم السبعة » تأليف أبى القاسم إبراهيم بن محمد الفارسى الإصطخرى المعروف بالكرخى من علماء أوائل القرن الرابع الهجرى . ويشتمل على حدود الممالك وصور أقاليم الأرض ومدنها وبحارها وأنهارها والمسافات بينها مفصلا. وقد وضح كل ذلك بالخرائط ويسميها « الصور » وجملتها ١٩ صورة . وقال المؤلف فى صدر كتابه : « إنه عول على صور الأقاليم لأبى زيد البلخى » وهو أول مصور جغرافى فى الإسلام . واسمه أبو زيد أحمد بن سهل البلخى .
أما العلامة الإصطخرى فقد نشأ بإصطخر ونبغ سنة ٣٤٠ هـ وطلب العلم وعنى بالأخبار عن البلاد وما يتعلق بها ، فأنشأ فيه ذلك شوقاً إلى السياحة فخرج سنة ٩٥١ م وطاف البلاد الإسلامية مبتدئاً من بلاد العرب إلى الهند إلى الأوقيانس الإتلنتيكى ولقى فى رحلته جماعة من العلماء فى كل فن .
الأصل محفوظ بمعرض دار الكتب والوثائق القومية [تحت رقم (١٩٩ جغرافيا) صندوق ٣٦].

لوحة (١٠) صورة بلاد السند فى القرن الثالث الهجرى منقولة من كتاب « صور الأقاليم السبعة » تأليف أبى القاسم إبراهيم بن محمد الفارس الإصطخرى المعروف بالكرخى من علماء أوائل القرن الرابع الهجرى وهى تبين جزءا من أرض السودان والواحة الخارجة .
الأصل محفوظ بمعرض دار الكتب والوثائق القومية [تحت رقم (١٩٩ جغرافيا) صندوق رقم ٣٦] .

لوحة (١١) « صورة العذراء » أى السنبلة بالفارسي– وهى إحدى البروج الفارسية للزيج الجلالى الذى قام بوضعها الشاعر العبقرى عمر الخيام وآخرون .
وهى ترمز لآخر فصل الصيف وهو شهر مورد الدولة (أى الخراج) منقولة من كتاب « ترجمة صور الكواكب » تأليف عبد الرحمن بن عمر الشهير بأبى الحسين الصوفى المتوفى سنة ٣٧٤ هـ ترجمه إلى الفارسية حسن بن سعد القاينى مخطوطة سنة ١٠٤٣ هـ محفوظة بمعرض دار الكتب والوثائق القومية [تحت رقم (٩ ميقات فارسى م) دولاب ٣٩] .

لوحة (١٢) برج الأسد منقولة من كتاب ترجمة صور الكواكب : تأليف عبد الرحمن بن عمر الشهير بأبى الحسين الصوفى المتوفى سنة ٣٧٤ هـ ترجمه إلى الفارسية حسن بن سعد القاينى تم كتابة سنة ١٠٤٣ هـ « برج الأسد » وهى إحدى البروج الفارسية للزيج الجلالى الذى قام بوصفها الشاعر العبقرى « عمر الخيام » وآخرون .
الأصل محفوظ بمعرض دار الكتب والوثائق القومية [برقم (٩ ميقات فارسى م) صندوق رقم ٣٩] .

لوحة (١٣) صفحة من القرآن الشريف .

لوحة (١٤) صفحة من القرآن الشريف .

لوحة (١٥) صفحة من القرآن الشريف .

لوحة (١٦) ديوان يوسف وزليخا – تأليف عبد الرحمن بن أحمد الجامى المتوفى سنة ٨٩٨ هـ (١٤٩٢م) وهو إحدى قصائده السبع المشهورة بعنوان هفت أورنك (أو العروش السبعة) ، مخطوط بقلم تعليق ، تم كتابة سنة ٩٤٠ هـ (١٥٣٣ م) ، محلى بالصور
الأصل مخطوط بدار الكتب والوثائق القومية [تحت رقم ٤٥ أدب فارسى]

لوحة (١٧) صفحة من كتاب « بستان سعدى » منقولة من الأصل المحفوظ بمعرض دار الكتب والوثائق القومية (تحت رقم ١١ أدب فارسى م .) .

لوحة (١٨) صفحة من كتاب «الشاهنامه» منقولة من الأصل المحفوظة بمعرض دار الكتب و الوثائق القومية (تحت رقم ٧٣ تاريخ فارسى) .

لوحة (١٩) صفحة من كتاب « بوستان سعدى » – تأليف الشيخ شرف الدين بن مصلح الدين الشهير بشيخ سعدى الشيرازى المتوفى سنة ٦٩١ هـ (١٢٩٢ م) ، مخطوط بقلم تعليق ، بخط سلطان على الكاتب سنة ٨٩٣ هـ (١٤٨٨ م ، وتذهيب يارى ، وبه ٦ صور من نقش بهزاد (اشتهر فى أواخر القرن الخامس عشر وأوائل السادس عشر الميلادى محفوظ بمعرض دار الكتب والوثائق القومية (تحت رقم ٢٢ أدب فارسى) .

لوحة (٢٠) مجموعة تحتوى على ١٦ لوحة بها صور ونماذج من خطوط بعض مشهورى الخطاطين الفرس والأتراك .
محفوظة بمعرض دار الكتب والوثائق القومية (تحت رقم ٢٦١ مرقعات) .

لوحة (٢١) صفحة من كتاب « الشاهنامه » منقولة من الأصل المحفوظ بمعرض دار الكتب والوثائق تحت رقم (٧٣ تاريخ فارسى) .

لوحة (٢٢) مصحف شريف بقلم نسخ بخط جمال القرآن بن حسين خوانسرى كتبه سنة ١٠٩٠ هـ (١٦٧٩م) محلى ومجدل (باللازورد والألوان) وبين سطوره جداول ذهبية . محفوظ تحت رقم (١٠٤ مصاحف طلعت) .

لوحة (٢٣) صفحة من القرآن الشريف .

لوحة (٢٤) مصحف شريف مكتوب بقلم مغربى سنة ١١٤٢هـ (١٧٢٩م) . برسم الشريف على نجل أمير المؤمنين وخليفة السلطان السلطان محمد بن عبد الله بن السلطان إسماعيل . محفوظ تحت رقم (٢٥ مصاحف) .

لوحة (٢٥) مصحف شريف فارسى .

لوحة (٢٦) الصفحة الأولى من الجزء الثانى من كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى . وهى تشتمل على صورة رائعة مصورة بالذهب والألوان لركن الدين زنكى مرة فارساً ومرة جالساً وحوله المغنيات والراقصات والندماء ، وهى تمثل مجلسا من مجالس الغناء والطرب ، وبعض آلات الطرب والموسيقى ، منقولة عن بعض أجزاء كتاب الأغانى المخطوطة سنة ٦١٤ هـ ومحفوظة بدار الكتب والوثائق القومية تحت رقم (٥٧٩ أدب) .
وعناصر الألوان الموجودة فى هذه الصورة : الذهب واللازورد والأحمر والأخضر والنقش فى غاية الدقة والإبداع والروعة والإتقان يدل على براعة الرسام .
وهذا الجزء مع أشقائه : الرابع والحادى عشر والثالث عشر كانت أدق وأصح النسخ التى اعتمدنا عليها فى تصحيح وتحقيق الأجزاء المطبوعة من هذا الكتاب ونشرتها دار الكتب المصرية ورمزنا إليها بالحرف (ط) إشارة إلى كاتبها محمد بن أبى طالب البدرى .
وهو محفوظ بدار الكتب والوثائق القومية تحت رقم (٥٧٩ أدب) .

لوحة (٢٧) الصفحة الأولى من الجزء الرابع من كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى . وهى تشتمل على صورة رائعة مصورة بالذهب والألوان لركن الدين زنكى مرة فارساً ومرة جالساً وحوله المغنيات والراقصات والندماء ، وهى تمثل مجلسا من مجالس الغناء والطرب وبعض آلات الطرب والموسيقى منقولة عن بعض أجزاء كتاب الأغانى المخطوطة سنة ٦١٤ هـ ومحفوظة بدار الكتب والوثائق القومية تحت رقم (٥٧٩ أدب) .
وعناصر الألوان الموجودة فى هذه الصورة : الذهب اللازورد والأحمر والأخضر أما النقش ففى غاية الإبداع والروعة والإتقان .
ولهذه الأجزاء الأربعة وهى : الثانى والرابع والحادى عشر والثالث عشر المحفوظة بدار الكتب والوثائق القومية تحت رقم (٥٧٩ أدب) جزءان شقيقان :
(السابع عشر والتاسع عشر) وهما بخط محمد بن أبى طالب البدرى سنة ٦١٤ هـ ومضبوطان ضبطا تاما بالحركات والشكل التام . وفى غاية الصحة والدقة . وأولهما محلى بالذهب والألوان وتراجمهما كذلك وهما من نسخة كتبت لبدر الدين زنكى وفى أول الصفحة الأولى منها صورة رائعة مصورة بالذهب والألوان لركن الدين زنكى المذكور : مرة فارساً ومرة جالساً ، وحوله المغنيات والراقصات والندماء ، وفى أيديهم آلات الطرب والموسيقى . كالأجزاء الأربعة المحفوظة بدار الكتب والوثائق القومية .
وهما محفوظان بمكتبة ملت فيض الله أفندى بالآستانة تحت رقم ١٥٦٦ .

وقد نقلت منهما دار الكتب والوثائق القومية نسخة بالتصوير الشمسى محفوظة بها (تحت رقم ١٩٠١٩ ز) .
أما الأجزاء الأربعة المحفوظة بدار الكتب والوثائق القومية فكانت أدق وأصح النسخ التى اعتمدنا عليها فى تصحيح وتحقيق الأجزاء المطبوعة من كتاب الأغانى ونشرتها دار الكتب والوثائق القومية ورمزنا إليها بالحرف (ط) إشارة إلى كاتبها محمد بن أبى طالب البدرى . كما ذكرنا سابقاً .

لوحة (٢٨، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١) من كتاب عجائب المخلوقات للصوفى – وهى تمثل صور : برج العقرب – برج الحمل – برج الثور – برج الميزان .

لوحة (٣٢) صفحة من القرآن الشريف .

لوحة (٣٣) صفحة من المصحف الشريف – مكتوب بقلم مغربى سنة ١١٤٢ هـ (١٧٢٩ م) برسم الشريف على نجل أمير المؤمنين وخليفة السلطان محمد بن عبد الله بن سلطان إسماعيل . وهو داخل إطار منقوش بأروع الرسوم البديعة والزخارف الجميلة بالذهب الخالص والفضة واللازورد والأخضر . محفوظ بمعرض دار الكتب والوثائق القومية تحت رقم (٢٥ مصاحف) صندوق ٣٥ نص الآيات الكريمة :
« كهيعص . ذكر رحمة ربك عبده زكريا . إذ نادى ربه نداء خفيا .
قال رب إنى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا . وإنى خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى عاقرا فهب لى من لدنك وليا . يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا. يازكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سمياً. قال رب أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا . قال كذلك قال ربك هو على هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا. قال رب اجعل لى آية قال آيتك ألا تكلم . . . . .
سورة مريم مكية الآيات من (١ – ١٠)

لوحة (٣٤) صفحة من القرآن الشريف محلاة بالنقوش البديعة والزخارف العربية الرائعة محفوظة بمعرض دار الكتب والوثائق القومية .

لوحة (٣٥) صفحة من القرآن الشريف المنقوش بأبدع الزخارف العربية والرسوم الجميلة وهو محفوظ بمعرض دار الكتب والوثائق القومية .

لوحة (٣٦) صفحة من كتاب « كليلة ودمنة » – قطعة منه مترجمة باللغة الفارسية ، محلاة بالصور المحفوظ بدار الكتب والوثائق القومية رقم (٦١ أدب فارسى)
صفحة من كتاب « كليلة ودمنة » – قطعة منه مترجمة باللغة الفارسية محلاة بالصور تحت رقم (٦١ أدب فارسى) .

لوحة (٣٧) من مختارات لبعض شعراء الفرس فى مجلد. مخطوطة بقلم تعليق مجدولة بالذهب ومحلاة بالصور ، تمت كتابته فى بلاد الهند سنة ٩٢١ هـ (١٥١٥م) محفوظ بدار الكتب والوثائق القومية تحت رقم (٦٠ أدب فارسى) .

لوحة (٣٨) صفحة من المصحف الشريف بالخط الكوفى على طريقة أبى الأسود الدؤلى .

لوحة (٣٩) المصحف الشريف مكتوب على رق غزال بالقلم الكوفى على طريقة أبى الأسود الدؤلى تمت كتابته فى أوائل القرن الثالث الهجرى ، وسطرته سبعة أسطر ، محفوظ بمعرض دار الكتب والوثائق القومية تحت رقم (١١٥ مصاحف) صندوق ٣ .

نص الآيات الكريمة الواردة فى هذه الصفحة .

« إِنَّما هُوَ إِلهٌ واحدٌ وليذَّكَّر أُولُوا الأَلباب »

(سورة إبراهيم مكية الآية ٥٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

[آلر . تلك آياتُ الكتابِ وقرآن مُبينٍ . رُبَمَا يَوَدُّ الذين كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِين.ذَرْهُمْ يـأْكُلُوا ويَتَمَتَّعُوا ويُلْهِهِمُ الأَملُ . . .

(سورة الحجر مكية من ١ - ٣)

لوحة (٤٠) صفحة من مصحف السلطان محمد بن قلاوون « هذا المصحف الشريف مكتوب جميع آياته الكريمة بالخط الثلث الجلى بالذهب وكذا أوائل السور ؛ وهو مضبوط بالشكل الكامل . محفوظ بمعرض دار الكتب والوثائق القومية [دولاب ١٣]

لوحة (٤١) صفحة من مصحف السلطان شعبان فى العصر المملوكى سنة ٧٦٤ هجرية . وهو من أبدع ما ذخر به معرض دار الكتب والوثائق القومية من مصاحف قرآنية شريفة ، وكتابته من أجمل المصاحف خطا مع روعة الفن والتحلية بالذهب ، والتجميل بالزخارف المختلفة بالألوان الزاهية والنقوش البديعة الرائعة .

لوحة (٤٢) صفحة من المصحف الشريف ؛ محفوظ بمعرض دار الكتب والوثائق القومية .

لوحة (٤٣) صفحة من المصحف الشريف ، محفوظ بمعرض دار الكتب والوثائق القومية .

لوحة (٤٤) صفحة من المصحف الشريف ؛ محفوظ بمعرض دار الكتب والوثائق القومية .

لوحة (٤٥) صفحة من المصحف الشريف ، محفوظ بمعرض دار الكتب والوثائق القومية .

لوحة (٤٦) صفحة من المصحف الشريف ، محفوظ بمعرض دار الكتب والوثائق القومية (رقم ٧٢ مصاحف)

لوحة (٤٧) صفحة من المصحف الشريف . كتب برسم السلطان الملك المؤيد بتاريخ ٨١٥ هـ الموافق (١٤٢١ م) والمعروض آخر سورة (الكهف) نصف القرآن .
وهو محلى بالذهب والألوان والنقوش البديعة الرائعة عند أوائل السور المكتوبة بالخط الكوفى المملوكى . وفى أوله وآخره الآيات وبالهامش منقوش بنقش جميل ومجدول بالذهب أيضاً .
الأصل محفوظ بمعرض دار الكتب والوثائق القومية (صندوق رقم ١٨) .

لوحة (٤٨) صفحة من المصحف الشريف – سورة الكهف – بقلم نسخ بخط عبد الله شاه ، كتبها سنة ١٢٩٣ ﻫ (١٨٧٦) م ، محلاة باللازورد والذهب والألوان على الطراز الهندى وبهامشها ترجمتها بالهندية لمولوى شاه ولى الله .
محفوظ بدار الكتب والوثائق القومية تحت رقم (٣١٤ مصاحف طلعت) .

لوحة (٤٩) الصفحة الأولى من أول الجزء من ربعة ملوكية وهى مزينة بالدوائر العربية المنقوشة بأبدع النقوش الجميلة ، وأحسن الرسوم الزخرفية الرائعة بالذهب واللازورد التى تدل على المهارة الفنية الدقيقة .
وكذا أوائل السور مكتوبة بالخط الكوفى المملوكى داخل إطار منقوش بالرسوم البديعة بالجواش الأبيض ، محفوظ بمعرض دار الكتب والوثائق القومية تحت رقم (١١٩ مصاحف) صندوق ٥ .

لوحه (٥٠) صورة شمسية لمصحف شريف كان فى سمرقند فى جامع خواجا عبيد الله الأحمر . ثم اشتراه حاكم تركستان ونقله إلى بطرسبرج فوضع فى دار الكتب القيصرية وسمى هناك « المصحف السمرقندى » وأشيع أنه المصحف الإمام الذى استشهد عليه الخليفة عثمان بن عفان . فكان الناس يزورونه فى أيام معينة . ثم نشرته جمعية الآثار القديمة على يد الخطاط المصور الروسى (Pissarex) وطبعت منه خمسين نسخة .
وبقى هذا المصحف فى دار الكتب القيصرية إلى الانقلاب البلشفى. وفى أواخر سنة ١٩١٨ حمل فى حفل عظيم تحت حراسة الجند إلى إدارة مكونة من الشخصيات الإسلامية البارزة . هناك تسمى (النظارة الدينية) وذلك إرضاء للمسلمين وكسباً لتعظيمهم ، وبقى فيها خمس سنوات .
وفى أواسط سنة ١٩٢٣ نقل إلى تركستان وبقى فى سمرقند فترة من الزمن وهو الآن فى طشقند .
محفوظ بمعرض دار الكتب والوثائق القومية تحت رقم (٢٠٤ مصاحف) صندوق ٢.
نص الآيات الكريمة :

«وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ . فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الفَائِزُونَ . قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ . قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْئَلِ الْعَادِّينَ . قَالَ إِنْ لَبِثْتُم إِلاَّ قَلِيلاً لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُم تَعْلَمُونَ . أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُم عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ . فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ . وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلهاً آخَرَ . لاَ بُرْهَانَ لَهُ به فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرون . وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ » .
(سورة المؤمنون مكية الآيات من ١٠٩ – ١١٨)

لوحة (٥١) مصحف شريف – الجزء الثلاثون من ربعة – بقلم نسخ بخط يحيى حلمى. كتبها (سنة ١٢٨٤ هـ ١٨٦٧ م) محلى ومجدول باللازورد والذهب والألوان وفواتح السور وفواصل الآى كذلك . محفوظ بمعرض دار الكتب والوثائق القومية تحت رقم (٢٨٢ مصاحف طلعت) .

لوحة (٥٢) مصحف شريف – الصفحة الأولى من أول الجزء من ربعة ملوكية محفوظ بمعرض دار الكتب والوثائق القومية (صندوق رقم ٢٣) .

لوحة (٥٣)،(٥٤) صورة الحرمين الشريفين(المكى والمدنى) منقولة من كتاب « توفيق موفق الخيرات لنيل البركات من خدمة منبع السعادات » وهو شرح لدلائل الخيرات للإمام الجزولى شرح محمد ابن أحمد الشهير بقره زاده المتوفى سنة ١١٧٠ هجرية .
محفوظ بمعرض دار الكتب والوثائق القومية تحت رقم (٢ أدعية صندوق رقم ٤٤) .

لوحة (٥٥) صورة أدوات الكتابة التى كانت تستعمل قديماً. منقولة من معرض دار الكتب والوثائق القومية .



تصوير وتجميل
الكتب العربية فى الإسلام

اهتم العلماء الباحثون ، والمؤرخون القدامى ، والمحققون المعاصرون ، بتاريخ التصوير من فجر الإسلام إلى اليوم ، وتصوير وتحلية الكتب العربية فى الإسلام .

كما اهتموا بتتبع سير نوابغ المصورين والرسامين والمزوّقين والمذهّبين من العرب فى العصور الإسلامية ، وما امتازوا به من الإتقان والإبداع والروعة فى الزخرفة والنقش والتذهيب والتزميك ، وغيرها من « الفنون الجميلة » التى مارسها العباقرة من الإسلاميين ، وبرعوا فيها حتى بلغوا القدح المعلّى مما يظهر الدرجة العالية التى وصلوا إليها فى الحضارة والعمران . وحظهم الموفور فى شتى أنواع المعرفة .

ص
٨٠

١٩٦٧٠/١